

كتاب

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية

لؤلف اندلسي من أهل القرن الثامن الهجري

— — —
حققه

الدكتور مهيل زكار الامام عبد القادر زمامه

— — —

نشر وتوزيع

دار الرشاد الحديثة

كتاب

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية

لمؤلف اندلسي من أهل القرن الثامن الهجري

— — —

حقيقه

الدكتور سهيل زكار الاستاذ عبد القادر زمامه

✻

نشر وتوزيع

دار الرشاد الحديثية

40 شارع فكتور هيكو — تيفات : 27.32.56 — 27.48.27 — الدار البيضاء

الطبعة الاولى 1399 — 1979

حقوق الطبع محفوظة

تقديم

ان من ابرز اوجه النشاط الثقافى العربى فى ايامنا ، البحث فى تاريخ العرب والاسلام ، ومعلوم ان الشرط الاول لنجاح اعمال البحث التاريخى وسلامتها ، هو نشر المصادر الاصلية بشكل علمى صحيح ، وفى هذا المقصد نقدم للقارئ هذا الكتاب ، وهو « كتاب الحل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية » .

ان هذا الكتاب ، وهو على صغر حجمه يعد فى المصادر ، قديما وحديثا ، من الامهات ، المعينة على البحث فى تاريخ دولتى المرابطين والموحدين ، اللتين امتد نفوذهما فى ارجاء المغرب الاسلامى بما فى ذلك شبه جزيرة الاتدلس ، وبذلكا مجهودات ونفخيات جليلة من اجل ايقاف الزحف الصليبيى العام على مسلمى الاتدلس ، هذا الزحف الذى شنته الممالك والامارات النصرانية ، التى تهيأت لها ظروف سياسية وفرص تاريخية من اجل تكوين وحدات ، رعتها البابوية ، فى شمال شبه الجزيرة مع شمالها الشرقى والغربى ، وساعدتها البيئة الطبيعية : من جبال عالية ، واثاليم نائية ، وانهار جارية ، تقيم حولها الحصون والقلاع وتشيدها ، وتنفيذ الهجمات والغارات التى خططت لها البابوية ، ومولتها . وكانت هذه الممالك والامارات تحمل اسماء : قشتالة ، وارغون ، وجليقية ، وبرتغال ، زيادة على امارة قطلونية فى الشمال الشرقى ، التى اطلت على البحر الابيض المتوسط من جهة ، وكانت تتصل بالامارات الفرنجية من جهة اخرى ، حيث تلقت الاهدادات والاعانات .

وكانت هذه الممالك تعيش فى ذات الظروف التاريخية التى عاشتها اوربة الغربية بعد تفكك اوصال « الامبراطورية الكارلونية » تجتمع وتفترق ، وتهب عليها رياح الوحدة ، وزعازع التمرد فيما بينها ، الا انها كانت ازاء مسلمى الاتدلس وملوكهم وامرائهم ، ومدنهم وامصارهم ، تقف موقفا واحدا صلبا شرسا منسجما ، مع الموقف الذى كانت تقفه الحملات الصليبية الكبرى على المشرق الاسلامى — فى الشام ومصر وجزائر البحر

الابيض المتوسط — فالعصر واحد ، والخطة واحدة ، والهدف واحد .

والمتتبع لفصول هذا الكتاب يجده من جهة الاطار الزمانى ، لا يقف عند حدود دولتى المرابطين والموحدين ، بل يتعداها ، بشكل مقتضب ، ليلىم بتاريخ دولة بنى مرين فى المغرب وبيئتها ، وظروف قيامها ، والملوك الذين تعاقبوا على حكمها ، وما قام به بعضهم من جهاد فى الاندلس ، على عهد دولة بنى الاحمر بغرناطة — التى الف الكتاب فى ظلال نفوذها ، وكأنه يلبي رغبة ، او يقضى دينا ، او يحقق هدفا من أهداف احد ملوكها ، وهو « محمد الفنى بالله » كما سنرى فيها بعد

من اجل هذه الميزات التى ذكرنا وغيرها ، مما نجده داخل فصول الكتاب كان كتيب الحل ، يبدو أمام الباحثين ذا مكاتة ، وثقل من ناحية المعلومات التى يقدمها والنصوص والوثائق ، التى يحتفظ بها ، والتى استقاها مؤلفها من مصادر جلها يعتبر الآن بحكم المفقود .

وينبغى — بل يجب علينا — هنا أن نصارح قراء هذا الكتاب ، أن مؤلفه ، لم يقصد به الإخبار المراكشية ، التى تتعلق بمدينة مراكش ، المدينة العظيمة ، الحافلة بالعالم والآثار ، والتى كانت عاصمة لكل من دولتى المرابطين والموحدين ، وشهدت الأحداث الكبرى فى تاريخ المغرب والاندلس ، ووصفت بأنها « بغداد المغرب » — بل انه قصد أشياء أخرى ، بعيدة عما يوحى به عنوان الكتب

اننا اذا استثنينا ما كتبه المؤلف ، عن تأسيس المدينة ، وما حققه تاريخ هذا التأسيس ، وما ذكره عرضا ، من مؤسسات المرابطين والموحدين بها ، وما ذكره فى خاتمة الكتاب من اجماليات تاريخية ، فاننا لا نجد شيئا ذا أهمية فى هذا الكتاب من أخبار مدينة مراكش ، فلا نجد فيه شيئا عن قصورها ومساجدها وحماماتها ، وبيمارستاناتها ، وأسواقها الكبرى ، وخططها ، التى تحدث عنها جغرافيون ورحالون عدة ، كما اننا لا نجد فى الكتاب ، شيئا قليلا أو كثيرا ، عن الاعلام الذين حلوا بها فى مختلف العصور ، وعلى هذا :

رغم أن هذا الكتاب يحمل عنوانا يضعه بين الكتب المؤلفة فى تاريخ المدن ، فهو فى قصوله ، ومادة أبحاثه ، لم يتقيد بفن تاريخ المدن وقواعده ، وانما تحدث عن تاريخ المغرب والاندلس فى حقبة نشطة ، فكان بذلك كتاب تاريخ عام ، أرخ لعدة دول ولم يؤرخ لمدينة مراكش

وعمل مؤلف هذا الكتاب يجرنا تلقائيا — فى باب المقارنة والنقد — الى

ان نقارن بين ماورد فى كتاب « الحلل » عن مراکش وبين ما ورد فى كتاب « الانيس المطرب » عن مدينة فاس ، والمؤلفان عاشا فى قرن واحد ، وهو القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر م ، الا ان ابن أبى زرع « صاحب الانيس » عاش فى بدايته « وعاش صاحب « الحلل فى نهايته ، ويبدو انه لا مجال فى حقيقة الامر للمقارنة بين عمل المؤرخين ، وذلك لان مؤلف « الانيس » مواطن مغربى ، عاش فى مدينة فاس ، وتقمص حضارتها ، ولايس معالمها وخططها ، بخلاف مؤلف « الحلل » ، فهو اندلسى الدار ، عاش فى ظلال دولة بنى الاحمر ، وربما لم تسمح له ظروف حياته بالرحلة الى المغرب ، وحتى اذا كانت سمحت ، فانها كانت عملا عابرا ، لاداء اهداف معينة

الى هنا ونحن نتحدث عن الكتاب وقيمته التاريخية ، التى سيقاكد منها القارئ الكريم اثناء مطالعته ، ولكن اليس من المتعين علينا أن نعرف هوية مؤلف الكتاب والظروف التى املت تأليفه ؟ .

نحن لا نستطيع الآن بحكم ما نملكه من مصادر ان نجزم جزا باعطاء اسم المؤلف ، وتاريخ حياته ، ولهذا سنبدأ بالحديث عن الظروف التى املت تأليف الكتاب عليها تقودنا الى معرفة المؤلف ، ولو بطريق الحدس والفرضية

ذكر صاحب « الحلل الموشية » انه انجز تأليف كتابه « يوم الخميس الثانى عشر لشهر ربيع الاول من عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة » ، فماذا كان يجرى فى المغرب والاندلس هذا العام ؟ .

من أجل الاجابة على هذا السؤال ، علينا الرجوع الى المصادر التاريخية المتعددة التى تناولت تاريخ المغرب والاندلس فى اواخر القرن الثامن للهجرة ، وهى مصادر كثيرة ومتنوعة المشارب والاساليب والالوان .

ومن خلال البحث المعمق فى هذه المصادر نجد ان المغرب عاش فى هذه الحقبة من الزمن ازمة سياسية كانت معقدة اشد تعقيد ، وقد مثلت فصول هذه الازمة المحزنة فى كل من غرناطة ، وفاس ، ومراكش مع اقاليم اخرى متعددة من شمال المغرب وجنوبه ، وسالت فيها دماء كثيرة ، وصرع فى خضم وقائعها ابرياء عدة ، وتغيرت اوضاع ، وتحكمت اهواء ، ونشطت مطامح ، وعمات مطامع عملها ، بلا ضوابط ، حتى كاد المغرب يفقد بسببها وحدته السياسية والترابية . وتزقه الاهواء وحب

السلطان والتحكم من الداخل والخارج شر ممزق

ويبدو ان ذلك كله استغل أو تم بتدبير من ملك غرناطة « محمد الغنى بالله » وبايحاء منه وتخطيط ، وذلك لاستغلال وضع قام في البلاد آنذاك ، ونتج عن صراعات حادة بين عدد من المتغلبين على عرش بنى مرين والمستبدين به بفاس من وزراء وحجاب قادة .

وكان لبنى مرين يد بيضاء ، وتعمة غراء على « الغنى بالله » ، وذلك يوم اقتضى عن عرشه في غرناطة ، فقد وجد لديهم البر والمعونة طيلة ايام محنته (760 — 763 هـ) حتى عاد الى عرشه في ظروف معروفة اخبارها ، ومنذ عودته الى عرش غرناطة حدث في الاثني العشري بالمغرب صراعات حول الحكم بين المتغلبين على عرش بنى مرين في فاس ، وبينهم من جهة وبين حكام تلمسان من بنى عبد الواد من جهة اخرى ، ولم يقف الغنى بالله من هذه الصراعات موقف المحايد ولا المهادن المصلح ، بل تورط في غمارها وسعى الى استغلالها

وفي اثناء ذلك كله ، حدث ما زاده حقداً وبصناً في تدخلاته ، وذلك ان وزيره ، ومدير دولته الاولى والثانية ، لسان الدين ابن الخطيب ، فر من غرناطة ، تاركا المنصب والجاه ، والتجأ الى فاس ، واحتسب بملوك بنى مرين والقائمين بدولتهم من حجاب ووزراء ، ولم يشأ هؤلاء ان يخفروا ذمتهم ، وان يسلموا هذا الوزير الملتجئ ، الى الغنى بالله ، رغم الحاجة وتهديده ، لينتقم منه ، ويجرعه كأس المنون ، وهو المنكر ، والمؤرخ ، والسياسي اللامع الذائع الصيت ، ومن اجل ذلك ، اصبح الغنى بالله ، في المقيم المقعد ، يريد الفتك بوزيره السابق ، والانتقام ممن آووه ، واسدلوا عليه رداء الحصانة والحماية .

وفي سبيل الوصول الى هدفه : الفتك بابن الخطيب ، والانتقام من حماته ، عمل الغنى بكل ما يملك من وسائل مادية وادبية ، لاستقاط النظام المريني المركزي في فاس ، وهو يعلم دقيق العلم ما كان يعاقيه هذا النظام من ازمات وتخطبات ، وسلك لذلك مسلكا مكشوفاً . لغت انظر المؤرخين ، فسجلوا مراحلهم ، واحصوا ما تم فيها ومعها من مآس ونكبات ، واستعمل « الغنى بالله » لذلك أمرا من أمراء بنى مرين ، الذين كانوا يعيشون عنده في غرناطة ، وهو الامير عبد الرحمن بن علي بن عمر بن السلطان ابي سعيد الاكبر ، وكان عبد الرحمن هذا ، يشغل في غرناطة ، منصبا عسكريا عاليا ، وهو منصب « شيخ الغزاة » ، وكان حاقدا على

الوضع القائم في المغرب ، بسبب انه كان يشعر بابعاده عن الحكم والنفوذ في المنطقة التي كان يحكمها جده في سجلماسة ، ويستبد بها ، واورث ذلك ابناءه من بعده .

وابن الخطيب اشار لعبد الرحمن هذا في كتابه الاحاطة ، اثناء الترجمة التي وقعها على حياة « الغنى بالله » (الاحاطة : 38/2 — 39) واعطى معلومات مفيدة عن شخصه ومطامحة السياسية التي استغلها الغنى بالله بعد ما انجز ابن الخطيب كتابه . وجهاز الغنى بالله شيخ الغزاة في مملكته — عبد الرحمن — وامده بها استطاع ان يمد به من رجال وعناد وسفن ، تنقل الجيع الى شواطئ المغرب ، وتقتذف بهم هناك ، ليوقدوا نار التمرد والثورة .

وفعلا نزلوا بساحل الريف في شمال المغرب ببلاد قبيلة بطيوس (ابن خلدون . ط . بيروت : 702/7) .

وفي الوقت نفسه اعلان الغنى بالله على اقامة أم مرينى آخر كان محتجزا في طنجة ، وهو ابو العباس احمد بن السلطان ابي سالم المرينى واعتزم الفرصة فاستولى على ثغر جبل طارق ، وشحنه بالجنود وكان ثغرا مرينيا يستغله بنو مريين لتدريب المجاهدين الذين يرغبون في حراسة الثغور الاندلسية والدفاع عنها عند الحاجة .

وبذلك اصبحت البلاد المغربية ، غارقة في فتن داخلية وحروب مريرة تفتك بأبنائها ، وتعرض مدنها وقراها الى الخراب والدمار

واختلف الاميران « العميلان الثائران » ، ثم اتفقا على خطة للهجوم على فاس ، وكلن اللقاء على مقربة من وادي النجاة في احواز فاس ، وتم حصار المدينة البيضاء ، ثم الدخول اليها ، وتنحية كل من كان يقف دون تنفيذ رغبات الغنى بالله ، واسفرت العملية المدبرة عن :

1 — مبايعة ابي العباس احمد بن ابي سالم ملكا على عرش بنى مريين في فاس وتسليم الوزير لسان الدين ابن الخطيب الى اعوان الغنى بالله وزيائته ، ليفتكوا به تلك الفتكة الشنيعة التي لاسوغ لها ، والتي تعد وصمة سوداء في تاريخ دولة بنى الاحمر ...

2 — منح الامير عبد الرحمن حكم مراكش ، وقد اشتط في مطلبه هذا ، وفرضه بعد الاتفاق البدئي ان يمنح حكم سجلماسة ودرعة ، لكن عبد الرحمن تصلب في موقفه ، وحقق هدفه بقوة (التعريف بابن خلدون

واستطاع عبد الرحمن أن يستولى على مراكش ، ويحكمها ويفرض وجوده ، لا على اقلية مراكش فقط ، لكن على اقاليم اخرى من المغرب ، بحيث اننا نلمس من نصوص كلام المؤرخين ، حديثا عن « تقسيم واقعى » لتنفيذ فى الاقاليم المغربية بين فاس ومراكش ، وادى ذلك الى صراعات وحروب وفتن دامت ما يقرب من تسع سنوات .

ويحدثنا ابن خلدون — وهو شاهد عيان — أن الغنى بالله بعث خاصته الوزير ابا القاسم ابن الحكيم الرندى « ليعقد الصلح بينهما » : ابن خلدون : 719/7 . لكن هذا الصلح لم يطل عمره ، وما لبث الامر أن تفاقم ، وتجددت الحرب ، ووقع حصار مراكش الذى استمر تسعة أشهر ، وانتهى بمصرع عبد الرحمن داخل مقبعتها سنة 784 هـ .

وهذا الحصار الذى تحدث عنه المؤرخون ، هو الحصار الذى يشير اليه مؤلف كتاب « الحل » فى المقدمة والخاتمة على انه الحافز الذى دفعه الى كتابة « كتابه » ، بأمر من الغنى بالله ماك غرناطة ، الذى كان غارقا فى أحوال المؤامرة

لقد كان الغنى متشبها بخطة تمزيق وحدة المغرب ، وظل يشجع القوى المتصارعة ماديا ومعنويا ، الى أن تبددت احلامه واخفقت خططه ، وفى باب التشجيع اوحى لاحد رجالته فى غرناطة ان يؤلف كتابا عن مراكش ، وكان هذا الكتاب هو الحل الموشية .

لقد صنف كتاب الحل اثناء الحصار ، وتداولته الايدي فى المغرب والاندلس ، واثناء هذا اخفقت المؤامرة ، وعادت الوحدة الى المغرب ، فتبدلت موازين القوى ، وتبع ذلك تبدل فى السياسة فى كل من غرناطة وفاس ، الامر الذى لم يعد بالامكان متابعة استثمار الفكرة التى اوحى تصنيف الكتاب ، مما دعا مؤلفه الى التنصل منه ، فأخفى اسمه ، وساعده ظروف عدة فرضها الواقع الجديد على ذلك . ويبدو انه حين صنف هذا الكتاب ، كان تحت تصرف مؤلفه محتويات خزائن غرناطة ، ومن هذه المحتويات المحجوبة عنا الآن نهل المؤلف ، خاصة من كتاب ابن الصيرفى عن تاريخ المرابطين ، كما نهل من سواه ، وصحيح أن المؤامرة اخفقت لكن الكتاب بما حواه من معلومات ثمينة ووثائق فريدة ، جعل الناس يتسككون به ويكثرون من تداوله والنقل عنه ، والعمل منذ بداية هذا القرن على نشره .

وينبغى هنا قبل الحديث عن النسخ المعتمدة في التحقيق ، ان نشير الى ما تحدث به بعض الباحثين عن ظنوه مؤلف هذا الكتاب ، فهناك المؤرخ المغربي — ابو الربيع سليمان الحوات ، الذى عاش في القرن الثالث عشر للهجرة ، ذكر في مخطوطة كتابه — البدور الضاوية — ان مؤلف الحل الموشية هو ابو العلاء بن السماك ؛ وصاحب هذه الشخصية لا نكاد نجد له ترجمة في كتب التاريخ المتوفرة بين ايدينا الآن ، اللهم الا ان لسان الدين ابن الخطيب ذكره في كتابه الكتيبة الكامنة (ص : 198 ط — بيروت) . وكتابه اوصاف الناس (ص : 67 ط . الرباط) ، وجاء هذا الذكر عبارة عن اشارات عابرة لا تسمن ولا تغنى الباحث ، وبالتالي لا تمكنه من التعرف الى شيء من سماته .

وحيث اننا لا نعرف مستند المؤرخ الحوات غيما ذهب اليه ، لا يمكننا المضى في البحث في هذه القضية ، خاصة بعدما بينا الظروف التى املت تصنيف الكتاب .

لقد طبع كتاب الحل للمرة الاولى في تونس سنة / 1329 هـ / ، نأشره الى لسان الدين ابن الخطيب ، وجاءت هذه الطبعة في / 144 ص / من الحجم المتوسط ، ولقد ألم بنص الكتاب اثناء طباعته ما لايحصى من الاخطاء ، كما اصاب نصه السقط والبتير في اماكن عدة ، وطبعاً لم يلحق بأية فهارس ، ولم يضبط نصه ، ولم يلحق بشيء من الحواشى والشروح الضرورية .

ثم طبع هذا الكتاب للمرة الثانية في الرباط سنة 1936 بعناية س . علوش ، وجاءت هذه الطبعة في / 178 ص / ، ولقد تم اخراج هذه الطبعة بشكل اجود من شكل الطبعة الاولى ، كما الحق النص ببعض الفهارس ، واقتصرت حواشيه على ذكر الفوارق بين النسخ الخطية المعتمدة في عمل التحقيق ، هذا وخرجت هذه الطبعة عن معهد الدروس العليا المغربية .

لكن رغم اناقة مظهر هذه الطبعة فانها حوت ذات الاخطاء التى حوتها الطبعة الاولى حتى ليخيل للمرء ان صاحبها سلخ الطبعة الاولى واخرجها بمظهر جديد ، لكن دون اى تغيير في المضمون تصويبا وتقويما .

ومنذ سنين عديدة نفذت نسخ الطبعة الثانية من كتاب الحل ، وكانت نسخ الطبعة الاولى نافذة قبل ذلك بأعوام ، وباتت الحاجة ملحّة لهذا الكتاب ، وكان اشد ما يخشاه الانسان ان يبادر « أحد

الوراقين » فيخرج الكتاب مصورا عن احدى الطبعين

والباحث يحتاج الآن الى نسخة من هذا الكتاب محققة بشكل علمي متقن ، لهذا بادرننا نحو اداء هذا الواجب .

ولقد اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية ، واحدة خاصة ، واثنان في الخزانة العامة في الرباط ، مع الطبعتين الاولى والثانية .

توجد اقدم النسخ الخطية في الخزانة العامة ، وهي محفوظة تحت رقم / 2300 ك / ، وتحتوي هذه النسخة / 67 / ورقة ، كل واحدة مسطرتها : 23×19 سم ، وحوت كل صفحة ما يقارب الس / 17 / سطرا ، وجاء في كل سطر ما بين / 8 الى / 10 كلمات ، ولقد رمزنا لهذه النسخة أثناء التحقيق بحرف (ك) .

وقد جاء في آخرها ما نصه : « كتبها من نسخة قديمة ، قل ان يوجد بها كلمة مستقيمة ، فمن رأى بها نقصا كمله ، او تصحيفا اصلحه ، ولله الكمال على كل حال ، وكان الفراغ من هذا الكتاب يوم الاثنين ، بل يوم الجمعة التاسع ذي القعدة الحرام عام تسعة وعشرين ومائة والف ، عرفنا الله خيره ، ووقتانا شره وضيئه ، آمين يارب العالمين » .

اما النسخة الثانية فهي ايضا محفوظة في الخزانة العامة تحت رقم / 1428 د / وهي واقعة ضمن مجموع ، احتلت منه من / ص 191 الى / 209 / ومسطرة كل صفحة منها : / 22×17 سم / ، وحوت الصفحة الواحدة / 22 / سطرا ، وجاء في كل سطر ما بين / 7 الى / 10 كلمات ، وكتب في آخر هذه النسخة ما نصه : « وكان الفراغ من نسخه بعد عصر يوم الاثنين السابع من شهر الله ربيع الاول سنة خمس وتسعين ومائتين والف » وقد رمزنا لهذه النسخة أثناء التحقيق بحرف (د) .

وحوت النسخة الثالثة التي هي في خزانة أحد الاصدقاء في فاس / 94 / ورقة ، مسطرة كل صفحة منها : 23×17 سم ، وحوت الصفحة / 21 / سطرا ، في كل سطر ما بين / 5 الى / 7 كلمات ، وجاء في نهاية هذه النسخة : « انتهت كتابة هذه النسخة بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل في رمضان عام 1298 — اللهم اغفر للمؤلف والكاظم والناسخ والسامع ، ولمن كان سببا في كتابتها ، آمين ، وصلى الله على

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، والحمد لله رب العالمين ،
على يد محمد بن الحاج الفاسي الرجرجي ، وفقه الله آمين » ، ولقد
رمزنا لهذه النسخة بالحرف (ه) .

لقد كتبت النسخ الثلاث بخط مغربي كثير الاخطاء ، واصاب كل
نسخة منها بتر وسقط كثير ، وانعدم التوافق بين نصوصها في كثير من
الاحيان ، ومن ثم كان من المتعذر اعتماد واحدة من النسخ الخطية او
المطبوعة أصلا للتحقيق وعليه جاء التحقيق معتمدا على الاصول الخمسة ،
ومن هذه الاصول جهدنا في سبيل اخراج نص ، نعتقد انه صحيح وسليم
في نفس الوقت ، وساعدنا على نجاح مهمتنا هذه اعتمادنا لعدد من
المصادر والابحاث .

هذا ولقد سعينا اثناء التحقيق الى التقليل ما أمكن من الحواشي ،
فلم نذكر ما جاء من غوارق بين الاصول الا ما كان ضروريا ومعبرا في نفس
الوقت عن طبيعة هذه الفوارق ، كما جعلنا الشروح قصيرة ، فخير الكلام
ما أغنى قليله عن كثيره .

ان الامل كبير في أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا ، الذي يمكن اعتباره
من بعض الجوانب احدى ثمرات التعاون الثقافي بين جامعات الوطن
العربي ، فهو ان ائجه أصلا في مدينة فاس ، دمشق المغرب ، فان احد
محققيه موفد من جامعة دمشق الشام للتدريس في جامعة محمد بن عبد الله
التي يعمل فيها المحقق الآخر استاذنا محاضرا .

والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

فاس في : فاتح جمادى الاولى 1398 / 10 — 4 — 1978

عبد القادر زمامه

سهيل زكار

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

كتاب

الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية

الحمد لله الذي أجرى الامور على مشيئته وتقديره ، الفاتح
— لمن استغنى به وتوكل عليه — أبواب تيسيره ، والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا محمد عبده ونبيه ورسوله الكريم من عباده ،
وسيد معادن الخلق ، المبعوث لايضاح الحق وتقريره ، والرضى
عن آله وأصحابه الذين آووه ونصروه ، وقاموا بتعزيزه وتوقيره ،
وجاهدوا بأنفسهم النفيسة في حسم سبب الشرك وتتبيره ،
والدعاء لهذا المقام العلى المحمدى النصرى السلطانى المجاهدى ،
الذى سعد الاسلام بيمن نقيته ، وصالح تدبيره ، بضلة النصر
الذى يصحبه في حالى : مقامه ومسيره .

أما بعد ، فانه لما حدث لهذا العهد بحضرة مراكش ما وقع
من الحصار والتناوش ، والهياج (1) والتهاوش ، وتحدث الناس
بالايام وحوادثها ، وأشفقوا مما يتوقع من خطوبها وكوارثها ،
اذ الملة — والحمد لله — واحدة . والنفوس لشفقة الايمان غير
جاحدة ، فالمسلمون حيثما كانوا اخوة ، لا سيما من بهذه الجزيرة ،
وبنتك العدو ، فالقلوب بتوفيق الله تعالى غير متنافرة ، والعزائم
بحوله تعالى وقوته متعاضدة ومتضافرة (2) ، والوجوه مصروفة

1 — في د : الهيج ، وفي ك : المحن .
2 — في ك : فتلويهم بتوفيق الله غير متنافرة ، وعزائمهم يعون الله متعاضدة
ومتضافرة .

الى جهاد الامم الكافرة ، والله تعالى يطيل الاسلام ، ببقاء مولانا
الامام ، الخليفة الاعظم (3) ، والملجأ الاعصم حاملا
الكل (4) وكافل الكل ، ويوزع الجميع شكر نعمائه ، وينصره في
أرضه ، بملائكة سمائه ، بفضلته وكرمه .

فجمعت في هذا الموضع (5) نبذا من عيون أخبارها ،
وتعداد الكرات في حصارها ، الى غير ذلك مما كان فيها من
الاحداث الكبار ، والوقائع ذات الاعتبار ، من لدن نزول سكانها (6) ،
واختطاط بقعتها ، ومكانها ، وابتداء تسويرها وبنيانها ، وذكر
الباعث لاتخاذها مقرا لسلطانها .

واقترنت في ذلك كله على القليل خوفا من الاكثار ،
وانتقيته (7) من عدة من الاسفار ، مجموعة من دواوين العلماء
الكبار ، ووضعت كل نازلة في زمانها ، مندرجة في اسم سلطانها ،
وسقت خبر ملوكها أحسن مساق ، على انتظام من القول واتساق ،
واقترنت في الدولة السنية اليعقوبية المرينية ، على التواريخ ،
دون الاخبار ، جنوحا للايجاز ، وميلا للاختصار ، اذ لا يفى هذا
المختصر كل الايفاء ، بأخبار جملة الخلفاء ، على أننى لم أخله
من قطع الاشعار ، ونكت الرسائل القصار ، وتضمنين مسائل
نادرة يتعجب من وقوعها ، وموعظة يعتبر بمسموعها ،

3 — كذا ، مع ان المشهور هو ان بنى الاحمر كانوا يتخذون لقب « أمير
المسلمين » .

4 — اى الهوم .

5 — في ك : الموضوع .

6 — في ك : : سلطانها .

7 — في ه : واصطفيته .

وأوصاف (8) كائنة تصرح بخبر تابعها ومتبوعها ، فيتصور
الانسان الحروب ومكائدها ، ومن لم يشاهدها بنفسه فكأنه
يشاهدها ، فالكيس اذا نظر بفطنته في أخبار الناس ، واطلع
منها غنى وصف الحروب والمراس ، قام له ذلك مقام المشاهدة
والعيان ، وتمثلت له الاحداث مصورة بأفصح البيان ، فيزيد
بمعرفة ذلك حنكة وتجربيا ، ويكتسب تخريجا وتدريرا ، وتقل
مبالاته بالامور المهولة ، ويقف على تصريف الايام من الصعوبة
الى السهولة ، ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسة
الفاضلة ، وجهلت الدول ، ومات ذكر الاول ، وفي ضمن ذلك
معتبر وموعظة ومزدجر ، يفيد قارئه حكمة والهاما ، ويقرطس
من الآراء المسددة سهامها .

وهذا حين الابتداء ، بما أشرت اليه من الانباء ، ولما بلغ
الى هذا المقدار جرمه ، وجب أن يوضع اسمه ، فسميته
« كتاب الحل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية »
والى الله تعالى أبتهل أن يمنحني الرشد ، ويبلغني الأمل
والقصد ، انه مجيب (9) السؤال ، كفيل بصلاح الاحوال ،
فسبحانه لا اله الا هو ، الكبير المتعال ، ذو الجلال .

8 — في ك : وموعظة يعبر لموعظها ، ووصف كائنه تشرح

9 — في د : يجيب .

ذكر السبب في اختطاط مدينة مراكش وبنيانها وارتياد موضعها ومكانها حرسها الله بمنه

ذكر السبب في اختطاط مدينة مراكش وبنيانها وارتياد
موضعها ومكانها حرسها الله بمنه

اعلم رحمك الله ، أن سبب ذلك ، على ما نقله جماعة من
علماء التاريخ ، أن الأمير أبابكر بن عمر بن ابراهيم بن تورفيت
اللمتوني ، لما خرج من الصحراء باللمتونيين ، واحتلوا بأغمت
وريكة (10) ، وكثر الخلق بها ، وضيقوا على أهلها ، وكانوا
على حال صعبة ، شكا أشياخ وريكة وهيلانة ، الى الأمير أبى
بكر بن عمر ، ما يلحقهم في ذلك من العناء ، والمشقة ، وأنهوه اليه
المرّة بعد المرّة ، الى أن قال لهم : عينوا لنا موضعا نبني فيه
مدينة ان شاء الله .

فاجتمعوا على أن يكون بناؤها بين بلاد هيلانة ، وبين بلاد
هزميرة ، فعرفوا بذلك الأمير أبا بكر بن عمر ، وقالوا له : قد
نظرنا لك أيها الأمير ، موضعا صحراء ، رحب الساحة ، واسع
الفناء ، يليق بمقصدك ، وقالوا له : نفيس (11) جنانها ، وبلاد

10 — قال الحميرى في الروض المعطار : اغمت ، بأرض المغرب . . .
بينها وبين (وادى نفيس) مرحلة . . . واغمت مدينتان ، أحدهما
تسمى اغمت وريكة ، والاخرى اغمت هيلانة ، وبينهما نحو ثمانية
اميال ، وباغمت وريكة تسكن الاعيان ، وبها ينزل التجار « هذا
ومعروف أن وريكة وهيلانة ، أو ايلان ، من قبائل البربر .

11 — نفيس اسم يطلق على واد ومدينة من احواز اغمت ومراكش
اندثرت .

دكالة فدانها ، وزمام جبل درن (12) بيد أميرها .
 فعند ذلك ركب الأمير أبوبكر بن عمر ومعه قومه الملتزمون (13) ،
 وأتياخ المصامدة ، ووجوه الناس ، وصاروا معه الى فحص
 مراکش ، وهو خلاء ، لا أنيس به ، الا الغزلان والنعام ، ولا
 ينبت الا السدر والحنظل ، وكان ذلك سنة اثنتين وستين
 وأربعمائة ، فانطلقوا الى تلك الرحبة ، فوجدوا في فحصها من
 المسرح الخصيب للجمال ، والدواب ، ما غبطهم بها ، وشرع
 الناس في بناء الدور من غير تسوير عليها ، فبينما الأمير أبوبكر
 بن عمر ، قد نزل بها ، وأخذ في بناء الديار ، اذ وفد عليه رسول
 من قبيلة لتونة بالصحراء ، يعلمونه أن جدالة أغارت عليهم ،
 وكانت بينهم فتنة دائمة ، فاستخلف ابن عمه (14) يوسف بن
 تاشفين على المغرب ، ودخل الى الصحراء لاصراخهم ، ولاخذ
 ثأرهم من عدوهم .

12 — هو ما يعرف اليوم بسلسلة جبال الاطلس الكبير .

13 — في ك : ومعه جماعة من الملتزمين .

14 — في هـ : ابن عمته .

ذكر السبب في خروج المثلثين ونبتذ من أخبار أوائلهم المتقدمين

هؤلاء المثلثون ينتمون الى لمتونة ، وهم أولاد ، لمت ،
وجدالة ، ولمط ، ومسطوف ، ينتسبون الى صنهاجة .
فلمت جد لمتونة ، وجدال جد جدالة ، ولمط جد لمطة ،
ومسطوف جد مسوفة (15) ، وهم ظواغن في الصحراء ، رحالة
لا يطمئن بهم منزل ، وليس لهم مدينة يأوون اليها ، ومراحطهم
في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين ، ما بين بلاد السودان
وبلاذ الاسلام ، وهم على دين الاسلام ، واتباع السنة ،
يجاهدون غيرهم من طوائف السودان .

قال أبو عبد الله محمد بن يحيى الزهرى (16) : كان
أهل بلاد السودان الذين حاضرتهم مدينة غانة متشرعين فيما
سلف من الدهر بدين النصرانية الى سنة تسع وستين
وأربعمائة ، فأسلم أهلها ، وحسن اسلامهم ، وذلك عند
خروج الامير أبى (زكريا) يحيى أخى الامير أبى بكر بن عمر
اللمتوني ، وليس بين لمتونة وبين البربر نسب الا الرحم ،

15 — سقط هذا الكلام من اوله حتى هنا من المطبوعتين ، وجبر من
الاصول الخطية ؛ انظر ايضا ص : 25 من كتاب تاريخ السودان
لعبد الرحمن السعدى ، ط . باريس 1898 م ، حيث نقل نفس
العبارة عن صاحب الحلل الموشية .

16 — الزهرى هو محمد بن أبى بكر ، وليس ابن يحيى ، كما ورد في
النص ، ويدعى كتابه « الجغرافية » بالعين المهملة ، وقد نشر
في مجلة المعهد الفرنسى بدمشق ، العدد — 21 — سنة 1978 ،
انظر ص : 182 وما يليها .

وصنهاجة يرغعون أنسابهم الى حمير ، وأنهم خرجوا من اليمن ،
وارتحلوا الى الصحراء ، وهى موطنهم بالمغرب (17) ، وسبب
ذلك أن أحد الملوك من التبابعة لم يكن فيمن تقدمه من ملوك قومه
مثله ، ولم يبلغ أحد منهم فى فضله ، وعزة ملكه ، وبعد غزوه (18) ،
ونكاية عدوه ، وقهره العرب والعجم مبلغه ، فأنسى جميع
الامم ممن كان قبله ، وكان قد أخبره بعض الاحبار بحوادث
الأيام ، وبالكتب المنزلة من الله على رسله ، عليهم الصلاة
والسلام ، وأن الله يبعث رسولا هو خاتم الانبياء ، ويرسله الى
جميع الامم ، فأمن به ، وصدق بما يأتى به ، وقال فيه :

شهدت على أحمد أنه رسول الله ...

ونظمها فى أبيات من الشعر :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى دهره لكنت وزيرا له وابن عم
فى أبيات كثيرة ، قصتها مشهورة ، ثم سار الى اليمن ، ودعا
أهل مملكته الى ما آمن به ، فلم يجبه الى ذلك الا طائفة من قومه
حمير .

ولما هلك غلب أهل الكفر على أهل الايمان ، فكان كل من آمن
به ، وتبع ملته بين قتيل وطريد ، ومطلوب وشريد ، فعند ذلك
تلتزموا ، كفعل نسائهم فى ذلك الزمان ، وفروا بأنفسهم ، وتفرقوا

17 — فى د : الصحراء ووطنهم فى المغرب .

18 — فى ك : غوره .

أيادي سبأ (19) ، في الاقطار ، فكان هذا سبب خروج سلف
 المثلثين عن اليمن ، كما ذكر ، وكانوا أول من تلثم ، ثم انتقلوا
 من قطر الى قطر ، ومن مكان الى مكان ، حتى صاروا بالمغرب
 الاقصى ، ببلاد البربر ، فاحتلوا به ، واستوطنوه ، وصار اللثام
 زيهم الذي أكرمهم الله به ، ونجاهم لاجله من عدوهم ،
 فاستحسنوه ، ولازموه ، وصار زيا لهم ولاعقابهم لا يفارقونه
 الى هذا العهد .

وانما تبربرت ألسنتهم لجاورتهم البربر ، وكونهم معهم ،
 ولمصاهرتهم اياهم .

والموجب لخروجهم من الصحراء الى وطن المغرب ، أن
 أحد بني جدالة ، ويعرف بيحيى بن ابراهيم كان قد توجه لاداء
 فريضة الحج ، واجتاز في اياه على مدينة القيروان ، وذلك سنة
 أربعين وأربعمائة ، فحضر بها مجلس الفقيه المدرس أبى عمران
 الفاسى (20) ، فسأله عن قبيلته ووطنه ، فذكر له أنه من الصحراء ،
 من قبيلة جدالة احدى قبائل صنهاجة ، فقال له الفقيه : ما
 مذهبكم ؟ فقال له : ما لنا علم من العلوم ، ولا مذهب من المذاهب
 لاننا في الصحراء متقطعون لا يصل الينا الا بعض تجار جهال ،
 حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء ، لا علم عندهم ، وفينا أقوام

19 — مثل تالته العرب . وينته على اخبار سيل العرم وخراب سد
 مارب ، فتفرق اهل مملكة سبأ بسببه .

20 — كذا في الاصل ، وفيه ما فيه ، ذلك ان وفاة الفاسى كانت سنة
 ثلاثين وأربعمائة ، انظر مقال الاستاذ عبد القادر زمامه في مجلة
 البينة — العدد الثالث — 1962 .

يحرصون على تعلم القرآن ، وطلب العلم ، ويرغبون في التفقه في الدين ، لو وجدوا الى ذلك سبيلا ، فعسى ياسيدنا أن تنتظر لنا من طلبتك من يتوجه معنا الى بلادنا ليعلمنا ديننا .

فقال له الفقيه : سأنظر لك في ذلك ان شاء الله تعالى ، فعرض الفقيه الامر على الطلبة ، فلم يوافقته أحد ، لبعد الشقة ، والانقطاع في الصحراء ، فدلّه الفقيه على رجل من فقهاء المغرب الاقصى ، مستوطن بالسوس ، يدعى وكاك بن زلو ، مشهورا بالخير والعبادة ، كانت بينهما قراءة (21) ومعرفة ، فخاطبه في القضية ، وأكد عليه في المشاركة فيها ، فلما وصل يحيى بن ابراهيم المذكور ، اجتمع به ، ودفع اليه كتابه ، فرحب به ، وأكرمه ، واختار له رجلا يعرف بعبد الله بن ياسين الجروني ، من طلبة الشيخ المذكور ، وأرسله معه ، ودخل الى الصحراء الى بلاد جدالة ، وهو مع يحيى بن ابراهيم .

وكان عبد الله دخل الاندلس في دولة ملوك الطوائف ، وأقام بها سبع سنين ، يلازم القراءة ، فحصل علما كثيرا ، وعاد الى المغرب الاقصى .

فسار معه الى قبيلة جدالة ففرحوا ، واجتمع عليه منهم نحو سبعين شيخا من فقهاءهم ، وأهل الخير منهم ، ليعلمهم ويفقههم في دينهم ، فانقادوا اليه انقيادا عظيما ، وأولوه (22)

21 — في ك : قرابة ، ومن المعروف ان وجاج قد قرا على الفاسي ، فقد جاء في ترجمته في التشوف : 66 « من أهل السوس الاقصى ، رحل الى القيروان ، فأخذ عن أبي عمران الفاسي ، ثم عاد الى السوس ، فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم ، وقراء القرآن » .

22 — في ك + د : ووالوه .

برا وتكريما ، ولازموه مدة طويلة .

. واجتمع عليه منهم عدد وافر ، الى أن أمر عبد الله بن ياسين قبائل جدالة بغزو لمتونة ، فحاربهم حتى دخلوا في دعوة عبد الله بن ياسين ، وغزوا معه سائر قبائل الصحراء ، وحاربوهم ، وقوى أمر جدالة ، وزاد في ظهورهم ، وهم ممثثلون لامره ، منقادون لحكمه ، وتوجه الى لمتونة ، فانقادوا له ، وأطاعوه ، وكان أشد (الناس) انقيادا اليه أمير لمتونة أبوزكريا يحيى بن عمر .

وكان الأمير أبوزكريا اذا تقدم بجيشه ، قدم أمامه الشيخ أبا محمد عبد الله بن ياسين ، والشيخ كان في الحقيقة الأمير ، وهو الذى يأمر وينهى ، وكان يقول لهم : انما أنا معلم دينكم ، وكان يلى لمتونة جبل فيه قبائل من البربر على غير دين الاسلام ، فدعاهم الشيخ عبد الله بن ياسين الى الدين ، فامتنعوا عليه ، فأنشأ على الأمير أبى زكريا بن عمر بغزوهم ، فغزاهم بلمتونة ، وكانوا حينئذ أزيد من ألف فارس ، فهزموهم ، وسبواهم ، وقسموا أموالهم ، وخمسوا سبيهم ، فيقال انه كان أول خمس قسمه للمتونيون في صحرائهم (23) ، وفقد منهم في هذه المعركة خلق كثير ، وعند ذلك سماهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن ياسين بالمرابطين (24) ، لما رأى من شدة صبرهم ، وحسن بلائهم على المشركين .

قال أبو عبيد عبد الله البكرى : وكان للمتونة في قتالهم شدة وبأس

23 — في ك : الصحراء .

24 — كذا ، وهناك خلاف حول زمان استخدام هذه التسمية ومكانها .

ليس لغيرهم ، وبذلك ملكوا الارض ، وكان قتالهم على
الانجب (25) أكثر من الخيل ، وكان معظم قتالهم مترجنين ،
يقفون على أقدامهم صفا بعد صف ، يكون بأيدي الصف الاول
منهم القنا الطوال ، وكانوا يختارون الموت على الانهزام ، ولا
يحفظ لهم فرار من زحف ، ولما رأى الشيخ أبو محمد عبد الله
بن ياسين استقامة لتونة ، واجتهادهم ، أراد أن يظهرهم ويملكهم
بلاد المغرب ، فقاتل لهم : انكم صبرتم ، ونصرتم دين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وقد فتحت ما كان أمامكم ، وستفتحون
— ان شاء الله — ما وراءكم ، فأمرهم بالخروج من الصحراء الى
سجلماسة (26) ، ودرعة ، وأهلها يومئذ تحت طاعة أمراء
مغراوة من زناته ، وأميرهم يومئذ مسعود بن وانودين بن خزون
ابن فلفول الهزرجي ، وذلك بعدما خاطبوهم ، فلم يجيبوهم على
ما طلبوا منهم ، فغزاهم في جيش كثيف حتى غلبوا عليهم ، ودخلوا
سجلماسة وملكوها ، وكانت بها أناس كثيرة ، وكانت بينهم وبين
مغراوة حروب كثيرة .

وبعد ذلك توجه الامير أبو زكريا يحيى بن عمر مع امامه

25 — في د + ك + هـ : البخت ، والذي ورد في كتاب البكري المطبوع
ص : 166 ، موافق لما اثبتنا ، ومن المفيد الإشارة اليه أن هناك
خلافاً بين نص البكري ، وما أورده المؤلف هنا .

26 — كانت سجلماسة من أشهر مدن المغرب المسماة للصحراء ، وقد
شغلت حتى فترة ليست بعيدة ادواراً هامة ، سياسية وتجارية
وقد اندثرت الآن ، وغطتها الرمال ، وموقعها على مقربة من قصر
السوق في إقليم تاغيلالت ، وتعرف بقعتها باسم « العامرة » وذلك
على قاعدة المغاربة الحضارية ، حيث نجدهم يدعون الرصاص
بالخفيف ، والفحم بالبياض ، والاعمى بالبصير ومن المفيد
أن نذكر أن التنقيبات الأثرية جارية فيها الآن .

الشيخ أبى محمد عبد الله بن ياسين بجيش كثيف من امتونة ،
ومسوفة ، ولمطة ، وهزرجة ، وسار بهم الى بلاد درعة ، فتلاقوا
هنالك مع جيش جدالة ، فقتل الامير أبو زكريا بن عمر ، وقتل
معه بشر كثير .

ولما كان بعد ذلك قدم الشيخ أبو محمد عبد الله بن ياسين
أخاه الأمير أبابكر بن عمر ، فبايعته لمتونة وسائر المثلثين ،
وأهل سجلماسة ، ودرعة (27) ، وانصرف الى بلاد المصامدة ، بقصد
أغمت ، وطاعت له : وريكة ، وهيلانة ، وهزميرة ؛ وكان وصوله
لأغمت سنة خمسين وأربعمائة ، فتلقته أشياخ المصامدة ،
وأدعوا له بالطاعة ، واحتل مدينة أغمت ، واستوطنها مع امامه
الشيخ أبى محمد عبد الله بن ياسين ، ثم انصرف الشيخ
أبو محمد عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا ليسكنهم ، ويحضهم
على الطاعة ، فقتلته برغواطة (28) .

ولما كان فى سنة ستين وأربعمائة استقامت الامارة للامير
أبى بكر بن عمر ، وطاعت له البلاد ، ووجه عماله اليها واستوطن
مدينة أغمت ، وتوالت عليه الوفود والجيوش من الصحراء ،
فكثر الخلق ، وعظم الازدحام بأغمت ، فشكوا اليه ما يجدونه
من ذلك ، وأشاروا عليه بالانتقال الى فحص مراکش ، فاننتقل
اليها ، حسبما تقدم قبل هذا ، وفى أثناء مقامه بلغه ما كان من ظهور
جدالة على لمتونة ، فشرع فى العودة الى الصحراء ، واستخاف على
المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين .

27 — منطقة معروفة بالملكة المغربية وراء الاطلس الكبير .

28 — من اجل برغواطة يمكن العودة الى ما كتبه البكرى فى كتابه المسالك
والمالك ص 134 .

ذكر يوسف بن تاشفين ونسبه رحمه الله

هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي ، الصنهاجي الحميري ، وفي ابراهيم يجتمع مع ابني عمه الاميرين اللذين كانا قبله : أبى زكريا ، وأبى بكر ابني عمر بن ابراهيم بن تورقيت .
وكنيته : أبو يعقوب .

بنوه : (أبوبكر) سير ، و ابراهيم ، وعلى — المولى بعده ، وأبو الطاهر تميم ، والمعز .
ووزرائه : صهره سير بن أبى بكر .

وكانت خلافته (29) من أول ولايته بالمغرب ، باستخلاف ابن عمه الامير أبى بكر بن عمر اياه ، وانصرافه الى الصحراء الى حين وفاته أربعاً وثلاثين سنة ، وبالاندلس من يوم خلعه لعبد الله بن بلقين (30) الى حين وفاته سبعا وعشرين سنة .

ولما أخذ ابن عمه الامير أبوبكر بن عمر في الحركة الى الصحراء ، حسبما تقدم ذكره آنفاً ، ولاء المغرب مكانه على صورة الغيابة عنه ، وقسم الجيش ، فترك له الثلث من امتونة ،

29 — كذا ، علماً بأنه لم يستخدم لقب الخلافة ، بل اعترف بالخلافة العباسية ، ويبدو أن المؤلف اعتاد على استخدام هذه العبارة مجازاً ، بحكم شيوع استخدامها من قبل صغار الحكام في عصره ، وقد يرى البعض أن المؤلف استخدمها لاستخلاف يوسف من قبل ابن عمه .

30 — صاحب غرناطة واحد ملوك الطوائف ، وسيرد خبر خلعه ، ومن المنيد التنبيه اليه ان تقدير المؤلف لمدة حكم يوسف فيه ما فيه؟

وانصرف بالثلثين معه داخلا الى الصحراء ، وذلك فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، فأقام بعده يوسف بن تاشفين مدبرا للامور ، قائما بالملك ، واشتغل ببناء الحصن المسمى بحصن قصر الحجر ، برحبة مراكش (31) ، وجعله تحت سور وأبواب ، وحصنه .

ولما كان فى سنة أربع وستين وأربعمائة ، قوى أمره ، وعظمت شوكته ، فاشتري جملة من عبيد السودان ، وبعث الى الاندلس ، فاشتري منها جملة من العلوج (32) ، فأركبهم ، وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون فارسا ، شراء بماله ، ومن العبيد (33) نحو ألفين ، فأركبهم فرسانا ، فغلظ حجابهم ، وعظم ملكه ، وافترض على اليهود فى تلك السنة فريضة ثقيلة ، اجتمع له منها جملة مال ، استعان به على ما كان بسبيته .

ولما كان فى سنة خمس وستين وأربعمائة ، وصل الامير أبوبكر بن عمر من الصحراء ، وعاد الى المغرب بعد أخذه بثأر قومه ، واصلاح شأنهم ، فنزل بأغمت خارج المدينة ، ونزلت محلته (34) دائرة به ، وألفى ابن عمه يوسف بن تاشفين قد استولى على الملك ، وطاعت له بلاد المغرب ، فعلم أنه عزم على الاستبداد بالملك ، وتسابق أكثر أصحابه ، ممن وصل معه ، الى مراكش ، لرؤية بنيانها ، والسلام على يوسف بن تاشفين أميرها ، وكانوا قد سمعوا عن ضخامته ، وجميل

31 — قصر الحجر ، كان موقعه — كما يظن — حيث قبر يوسف بن تاشفين المجدد الآن ، قرب ساحة جامع الفناء .

32 — أى من الصقالبة وسواهم من الرقيق الاوربى الابيض البشرة .

33 — أى من الزنوج الافارقة .

34 — المحلة ، اصطلاح مغربى ، يقصد به ، الجيش .

كرامته ، وجزيل احسانه لاخوانه ومعارفه ، فاجتمع عنده من القادمين عليه خلق كثير ، فوصلهم على قدر منازلهم ، وأعطاهم بمقدار مراتبهم ، وأمر لهم بالكسوة الفاخرة ، والخيول المسومة ، والاموال الجمة ، والعبيد المتعددة .

ولما تشوف الامير أبوبكر بن عمر على أحوال ابن عمه يوسف بن تاشفين ، وعلم حبه في الملك ، وأنه قد استمال نفوس من معه باحسانه ، انقطع رجاؤه من الملك ، فطلب منه تعيين يوم لاجتماعهما فيه ، فخرج الامير يوسف بن تاشفين في جنوده وعبيده وتلقاه في نصف الطريق ، فكان اجتماعهما ما بين أغمات ومراكس ، على تسعة أميال منها ، فسلم عليه راكبا على دابته ، ولم تكن تلك عادته قبل ، ثم ترجلا وقعدا على برنس ، فسمى ذلك الموضع بفحص البرنس ، فهو يعرف بذلك الى هذا العهد !.. فتعجب الامير أبوبكر بن عمر مما رأى من ضخامة ماكه ، ووفور عساكره ، وترتيب جنوده ، وتحدث معه ، ثم قال له : يا يوسف أنت أخی ، وابن عمی ، ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك ، ولا أحق به منك ، وأنا لا غناء لى عن الصحراء ، وما جئت الا لأسلم الامر اليك ، وأهنتك في بلادك ، وأعود السى الصحراء ، مقر اخواننا ، ومحل استيطاننا ، فشكره يوسف بن تاشفين على ذلك ، وأثنى عليه ، وأحضر (35) أشياخا لمتونة وأعيان الدولة ، وأمرء المصامدة ، والكتاب والشهود ، والخاصة والعامة ، وأشهد على نفسه بالتخلّى له عن الامر بوطن المغرب ،

وقام فودعه الأمير يوسف بن تاشفين ، وعاد الامير أبوبكر الى موضع نزوله من أغمات ، ورجع يوسف بن تاشفين الى مراكز موضع ملكه .

ولما وصل اليها بعث اليه بهدية أهداها اليه ، كان معظم ما فيها : خمسة وعشرين ألف دينار من الذهب العين ، وسبعين فرسا ، منها خمسة وعشرون مجهزة بجهاز محلى بالذهب ، وسبعين سيفاً منها عشرون محلاة بالذهب ، والخمسون غير محلاة (36) ، وعشرين زوجاً من المهامز (37) المحلاة بالذهب ، ومائة وخمسين من البغال المتخيرة الذكور والاناث ، ومائة عمامة مقصورة ، وأربعمائة من السوسى (38) ومائة غفارة ، ومائتين من البرانس منها : بيض ، وكحل (39) ، وحر ، وألف شقة من لون حب الرمان ، ومائة شقة من أشكري (40) ، وسبعمائة كساء بيض ومصبوغة ، ومائتى قبطية ثال مختلفة الالوان والانواع ، ومائتى جبة واثننتين وخمسين جبة أشكرلاط ملف (41) رفيع ، وسبعين كبة ملف رفيع ، وسبعة بنود كبار ، منها بند واحد محلى ، وعشرين جارية

36 — فى ك : دون حلى .

37 — فى ك + د : المهاميز

38 — فى ط . علوش : الشواشى وما اثبتناه هنا جاء تبعاً لما ورد

فى الاصول الخطية ؛ والسوسى : هو ثوب منسوب الى السوس

فى المغرب ، او الى افريقية (تونس) والشواشى ج شاشية .

معروفة وهى منسوبة الى الشاش من بلاد العجم وراء نهر سيحون .

39 — الاكل هو الاسود ، ذلك ان لون الكحل (حجر الاثمد) هو الاسود .

40 — انظر معجم دوزى ؛ 25/1 .

41 — نوع من الثياب الصوفية يخاط منها الاكسية والاردية ، ومن المرجح

ان اصل الكلمة مشتق من كلمة امالفى ، اسم احدى دويلات ايطاليا

فى العصور الوسطى .

أبكارا ، ومائة خادم ، واحد وخمسين خادما ، وعشرة أرطال من العود الرطب ، منها رطلان من الغالى النفيس ، وخمسة نوافج من المسك الطيب ، ورطلان من العنبر الطيب ، وخمسة عشر رطلا من الند ، الى غير ذلك مما يطول ذكره من : البقر ، والغنم ، والقمح ، والشعير .

وكتب اليه كتابا يعتذر فيه اليه ، ويرغبه فى قبول الهدية ، ويقول له : كل ذلك قليل فى حقك ، فطابت نفس الامير أبى بكر ، وقال : هذا خير كثير ، ولم يخرج الملك من بيتنا ، ولا زال عن أيدينا ، والحمد لله على ذلك ، فناول اخوانه من تلك الخيرات ، وانصرف الى الصحراء ، فأقام بها ثلاثة أعوام ، والامير يوسف ابن تاشفين يمدد بالهدايا والتحف ، الى أن قتله السودان المجاورن له فى الصحراء ، فى بعض الحروب التى كانت بينهم .

وفى سنة ست وستين وأربعمائة : فتح الامير يوسف بن تاشفين مدينة مكناسة ، واستنزل منها الخير بن خزر الزناتى .

وفى سنة سبع وستين وأربعمائة : فتح مدينة فاس ، وكان أميرها الفتوح بن حونس من أبناء حماسة ، من أحفاد زيرى بن عطية الزناتى (42) .

وفى سنة ثمان وستين بعدها : فتح مدينة تلمسان ، وكان أميرها العباس بن يحيى الزناتى .

42 — مختلف حول تاريخ سقوط فاس للمرابطين مع اسم حاكمها آنئذ ، انظر اعمال الاعلام لابن الخطيب (القسم الثالث نشر باسم تاريخ المغرب فى العصر الوسيط) : 162 — 163 . روض القرطاس ، ط . الرباط 1973 : 111 — 114 .

ويوسف بن تاشفين كان يدعى بالامير ، فلما خضعت مملكته ، واتسعت عمالته ، اجتمع اليه أسياء قبيلته ، وأعيان دولته ، وقالوا له : أنت خليفة الله في هذا المغرب ، وحقك أكبر من أن تدعى بالامير ، بل ندعوك بأمير المؤمنين ، فقال لهم : حاش الله أن نتسمى (43) بهذا الاسم ، انما يتسمى به خلفاء بنى العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة ، لانهم ملوك الحرمين : مكة ، والمدينة ، وأنا رجلهم ، والقائم بدعوتهم ، فقالوا له : لابد من اسم تمتاز به ، وبعدما أجاب الى « أمير المسلمين وناصر الدين » (44) ، خطب له بذلك على المنابر وخطب به من العدوتين ، وأمر كتابه أن يكتبوا عنه في ذلك ، فكتبوا ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .

من أمير المسلمين ، وناصر الدين ، يوسف بن تاشفين .
الى الاشياء والاعيان والكافة والخاصة من أهل
« الفلانة » (45) أدام الله كرامتهم بتقواه ، ووفقهم لما يرضاه .

43 — في ك : تسموني .

44 — في ك : وانا قائم بدعواهم ، وتابع لهم ، فقالوا له : لابد من اسم تمتاز به ، فقال لهم : ان كان لابد ، فادعوني بأمير المسلمين وناصر الدين هذا وهناك خلاف حول تاريخ اتخاذ يوسف لهذا اللقب ، فهناك من يذهب الى ان ذلك كان بعد معركة الزلاقة التي سبأتى ذكرها .

45 — في ك : من بنى فلان

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : حمدا لله ، أهل الحمد والشكر ، ميسر اليسر ،
وواهب النصر ، واتصلا على محمد المبعوث بنور الفرقان
والذكر ، وانا كتبنا اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها
الله ، في منتصف محرم سنة ست وستين وأربعمائة ، وانه لما من
الله علينا (46) بالفتح الجسيم ، وأسبغ علينا من أنعمه الظاهرة
والباطنة ، برود النعيم ، وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد
المصطفى الكريم ، صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم
التسليم ، رأينا أن نخصص أنفسنا بهذا الاسم ، لنمتاز به عن
سائر أمراء القبائل . وهو « أمير المسلمين وناصر الدين » فمن
خاطب الحضرة العلية السامية ، فليخاطبها بهذا الاسم .
الله تعالى ، والله ولي العدل بمنه وكرمه ، والسلام .

وكانت علامته الصادرة عنه « الملك والعظمة لله » .

قال كاتب هذا : وقد جرى في مدة الخليفة الناصر لدين
الله عبد الرحمن بن محمد ، ثامن الخلفاء من بني أمية بالاندلس
مثل هذا ، وذلك أنه كان يسمى « بأمر المؤمنين الناصر لدين
الله » وأوقع هذين الاسمين على نفسه ، وقد مضت من خلافته
ست عشرة سنة . وكان ذلك سنة ست عشرة وثلاثمائة ،
ونسخ بها ما كان يدعى به أولا من اسم الامارة ، بعد أن سلك
في ذلك مسلك آبائه في الاندلس منذ استخلف الى هذه السنة ،
فقد كان لنمو فضله ، وتصرف الايام لجاريه ، واطباق النفوس

على تجلته ، وتعظيم صفاته ، واسماء ذكره ، وربما كان بعض أولى التحصيل والتأمل من الناس سموه بهذا الاسم ، قبل أن يتسمى به هو ، وخاطبه به كثير من خاصتهم في كتبهم وأسمارهم ، فكثر ذلك عليه ، ووافاد من كل ثنية ، وجاءه من كل ناحية ، حتى اضطره الى حمله ، وحاجوه أن يكون باخسا لنفسه في رفضه ، وهونوا عليه مخالفة آباءه في اقتصارهم على سواه ، واستشهدوا عليه بما فهمه الله سليمان في الحكمة دون والده ، عليهما الصلاة والسلام ، فأنفذ الكتاب بذلك الى عماله في جميع أقطار بلاد الاندلس ، وأوصى (47) باجراء هذين الاسمين على اللسنة في مخاطبته في الكتب عنه واليه ، والدعاء له بهما على منابر أعماله ، وإثباتهما في أعلامه ، ومطارده ، وطرازه ، ودنانيره ، ودراهمه ، ونفذ الامر بذلك ، وجرى العمل عليه الى آخر مدته ، وصيره « كلمة باقية في عقبه » (48) ، سلكوا سبيله في ذلك الى انقراض (49) دولتهم (50) ، والنسخة التي أنفذ بذلك الى عماله بأقطار الاندلس :

بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد : فانا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، فنحن بالذى فضلنا الله به ، وأظهر منزلتنا (51) فيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسر على أيدينا

47 - في ك : وامضى .

48 - الزخرف : 28

49 - في ك : الى ان انقرضت .

50 - في ه : مدتهم .

51 - في ك : رتبنا .

ادراكه (52) ، وسهل بدولتنا مرامه ، وللذى أشاد في الآفاق من ذكرنا ، وأعلى في البلاد من أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم إلينا ، واستبشارهم بما أظلمهم بدولتنا ، فالحمد لله ولى الانعام بنا ، وأهل الفضل بما تقصّل علينا به ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا « يأمر المؤمنين ونأمر الدين » وخروج الكتاب عنا ، ووروده علينا بذلك ، اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له (53) ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه منه .

وعلمنا أن التماذى على ترك الواجب لنا من ذلك ، حق أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه ، فمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، وأجر مخاطبتك لنا عليه ، ان شاء الله ، والسلام .

وبعد ذلك بسنة خرج أيضا عهده ، ونفذ كتابه أن يكون الخطاب كله جوابا بالكتابة عنه « بالهاء » التى هى كناية العائب دون « الكاف » ، التى هى للمخاطب ، فرقا بينه وبين من هو دونه ، وأن يلتزم ذلك أهل المملكة ، وأن تخرج كتبه بالخبر عن مخاطبته ، تعظيما لقدره ، واكبارا لمحلّه ، فجرى الرسم بذلك .

قال كاتب هذا : ان تتبع هذا النوع يخرج منه عن الغرض المقصود من الاقتصار ، فأعود الى ما كنت بسبيله من التعريف بأخبار الامير يوسف بن تاشفين .

وافتتح مدينة فاس سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان

52 — فى ك : دركه .

53 — فى ك : مدعى له .

أميرها اذ ذاك الفتوح بن دوناس بن حمامة . من أخنوخ زيرى بن
عطية المفاوى .

وانفتح مدينة تلملطان فى سنة ثمان وستين وأربعمائة ،
وكان أميرها العباس بن يحيى الزناتى (54) .

ولما كان فى سنة سبعين وأربعمائة ، نزع فى تجديد
الساكر ووفورها . وبعث الى الصحراء : لتتونة . ومسوفة ،
وجدالة ، وغيرهم . يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب ،
وطاعة أمه ، ويؤكد عليهم فى القدوم اليه . : فوجد عليه منهم
جموع كثيرة ، ولاهم الاعمال ، وصرف أعينهم فى مهمات
الاشغال ، فاكسبوا الاموال ، وملكوا رقاب لرجال . وكثروا بكل
مكان ، وساعدهم الوقت والزمان ، وكثرت جموعهم ، وتوفرت
عساكرهم ، وعظم ملك يوسف بن تاشفين . وضم من جزولة ،
ولمطة ، ومصمودة ، وقبائل زناته جموعا كثيرة . وسماهم
بالحشم ، وضم طائفة أخرى من أغلجه . وألف داخلته
وحاشيته ، فصاروا جموعا كثيرة ، وسماهم الداخين ، فاجتمع
له فى الطائفتين ثلاثة آلاف فارس .

وفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وفد عليه جماعة من
أهل الاندلس ، وشكوا اليه ما حل بهم من أعدائهم ، فوعدهم
بإمدادهم ، واعانتهم ، وصرفهم الى أوطانهم .

وكان (55) ممن كتب اليه بذلك المتوكل على الله ابن الاغطس

54 — تكرار لها سبق ، لا نفى اصادر هو عن المؤلف . عن النسخ ؟

55 — بداية سطر طويل فى المطبوعتين .

يستصرخه حين كلب العدو على بلاده ، ومن بعض مخاطبته :
لما كان نور الهدى - ايدك الله - دليلك ، وسبيل الخير
سبيلك ، ووضحت في الصلاح معالمك ، ووقفت على الجياد
عزائمك ، وصح العلم بأنك لدولة الاسلام أعز ناصر ، وعلى
غزو الشرك أقدر قادر ، وجب أن تستدعى ، لما أعزل الداء ،
وتستعاث فيما أحاط بالجزيرة من البلاء .

فقد كانت طوائف العدو تطيف بها عند افراط تسلطها
واعتدائها ، وشدة ظلمها ، واستشرائها ، تلاطف
بالاحتتيال ، وتستنزل بالاموال ، ويخرج لها من كل ذخيرة ،
وتسترضى بكل خطيرة .

ولم يزل دأبها التشطط والعناد ، ودأبنا الاذعان والانقياد ،
حتى نفذ الطارف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاذ ،
وأيقنوا الآن بضعف المنن ، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن ،
وأضرمت في كل جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم
وشفارهم ، ومن أخطاء القتل منهم ، فانما هم في أيديهم
أسارى وسبايا يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، وقد هموا
بما أرادوه من التوثب ، وأشرفوا على ما أملوه من التغلب ،
غيا لله ، وبالله للمسلمين ، أيسطو هكذا بالحق الافك ، ويغلب
التوحيد الشرك ، ويظهر على الايمان الكفر ، ولا يكشف هذه
البلية الا النصر .

ألا ناصرا لهذا الدين المهتضم ، ألا حاميا لما استبيح من
حمى الحرم ؟ وانا لله على ما لحق عبيده من ثكل ، وعزه من

ذل ، فانها الرزية التى ليس فيها عزاء ، والبالية التى ليس مثلها
بلاء .

ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك ، أعزك الله بالنازلة فى مدينة
قورية (56) ، أعادها الله للإسلام ، وأنها مؤذنة للجزيرة بالخلاء ،
ولمن فيها من المسلمين بالجلء ، ثم ما زال ذلك التخاذل والتدابر
يتزايد ، حتى تخطت القضية ، وتضاعفت البلية ، وتحصلت بيد
العدو مدينة سرية (57) ، وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع فى
التحصن والامتناع ، وهى من المدينة كنقطة الدائرة ، تدركها من
جميع الجهات ، دائرة بنواحيها ، ويستوى فى فئ الارض بها
قاصيها ودانيها ، وما هو الا نفس خافق ، ورمق زاهق ، استولى
عليه عدو مشرك ، وطاغية منافق ، ان لم تدركوها بجماعتكم
عجالا ، وتبادروا ركبانا ورجالا ، وتنفروا نحوها خفافا وثقالا ،
وما أحضكم على الجهاد بما فى كتاب الله ، فانكم له أتلى ، ولا بما
فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكم الى معرفته
أهدى ، وفى كتابى هذا (الذى يحمله اليكم) الشيخ الفقيه الواعظ
(مسائل مجملة) يفصلها ويشرحها ، ومشتمل على نكت هو
يبينها لكم ويوضحها ، فانه — لما توجه نحوك احتسابا ، وتكنف
المشقة اليك طالبا ثوبا — عولت على بيانه ، ووثقت بفصحة

56 — Coria — من مدن الثغر الأدنى فى غرب الاندلس ، قال عنها
الحيرى : « قرية من ماردة ، بينها وبين تمنطرة السيف
مرحلتان ، ولها سور منيع ، وهى أولية البناء ، واسعة الفناء ،
من احصن المعقل ، واحسن المنازل » انظر ايضا كتاب الجغرافية
لابن سعيد : 179 .

57 — Soria — من مدن قشتالة القديمة ، وكانت ضمن بلدان اشغر
الاعلى .

لسانه ، والسلام .

وانه لما بلغ هذا الخطاب لأمير المسمين ، يوسف بن تاشفين ،
كتب اليه يعده بالجواز ، والامداد على العدو .

وقد كان المتوكل على الله ابن الإفطس ، وصله كتاب من
عند عدو الاسلام ، المواجه الى بلاده ، ومن الجواب يفهم مقصده ،
والجواب عليه (58) :

وقد وصل الينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير ،
وأحكام العزيز القدير ، يرعد ويبرق ، ويجمع تارة يفرق ، ويهدد
بجنوده الوافرة ، وأحواله المتضاربة ، ولو علم أن لله جنودا أعز
بهم ملة الاسلام ، وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام :
« أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم (59) » ، بالتقوى يعرفون ، وبالتوبة
يتضرعون (60) وينصرون ، ولئن لمعت من خلف الروم بارقة غياض
الله « وليعلم المؤمن (61) » « وليميز الله الخبيث من
الطيب (62) » « وليعلمن المنافقين (63) » .

وأما تعبيرك للمسلمين غيما وهن من أحوالهم ، وظهر من
اختلالهم ، فبالذنوب المركوبة ، والفرقة المكتوبة ، ولو اتفقت كامتنا
مع سائرنا من الاملاك ، لعلمت أي صاب أذقناك ، كما كانت

58 — نهاية السقط في المطبوعتين .

59 — المائدة : 54 .

60 — في د : يتصرفون .

61 — آل عمران : 166 .

62 — الانفال : 37 .

63 — العنكبوت : 11 .

آبائوك مع آبائنا تتجرعه ، فلم تزل تذيقيها من الحمام ، وضروب
الآلام ، شر ما تراه وتسمعه ، وأداء المال تتوزعه ، وبالامس
كانت قطيعة المنصور (64) على سلفك اهداء ابنته اليه ، مع
الذخائر التي كانت تقد (65) في كل عام عليه .

وأما نحن ، وان قلت أعدادنا ، وعدم من المخلوقين
استمدادنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولا صعب نروضه ،
إلا سيوفا تشهد بحدتها رقاب قومك ، وجلادا تبصره في ليلك
ويومك ، وبالله تعالى وملائكته المسومين ، نتقوى عليك ، ونستعين ،
ليس لنا سوى الله مطلب ، ولا لنا الى غيره مهرب ، وما
« تربصون بنا إلا احدى الحسنيين (66) » : نصر عليكم ، فيالها
من نعمة ومنة ، أو شهادة في سبيل الله ، فيالها من جنة ، وفي
الله العوض مما به هددت ، وفرج (67) يبتتر ما مددت ، ويقطع
بك فيما أعددت .

ويرجع الخبر الى الامير يوسف بن تاشفين ، وذلك أنه
لما وفد عليه جماعة من الاندلس ، حسبما تقدم ذكره ، بعث الى
الاندلس برسم شراء العدة ، وآلات الحروب ، فاشتري له منها
كثير ، وكان ذلك العام عام اقتناء العدة ، واتخاذ السلاح ،

64 — القطيعة : المال المفروض على العدو كل عام ، وقد يقابله في
اصطلاح المشاركة « الهدية » وكلاهما نوع من انواع الجزية ،
ضمنت بها المهادنة من المسلمين ؛ والمنصور هو ابن ابي عامر
مؤسس الدولة العمارية ، التي استبدت بالاندلس ، وحكم
رجالها باسم الخليفة هشام المؤيد .

65 — في د : تردد .

66 — التوبة : 52 .

67 — في د : يفتربما .

واقْتناء الأجناد ، واختيار الرجال ، فبلغ جيشه الى اثني عشر ألف فارس ، كلهم نخبة أنجاد ، وجاز الى الاندلس أربع مرات .

الجسواز الاول

سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وذلك أن أهل الاندلس ، لما بلغهم ما كان عليه من القوة والاستعداد ، والمحبة في الجهاد ، وفد عليه جماعة من وجوهها ، فأخبروه بحالها ، وبكلب العدو عليها ، وكان الطاغية أذفنش في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، قد غلب على طليطلة (68) ، واستولى على أعمالها ، وحازها لنفسه ، وكثر الروع على الاندلس ، واشتد الخوف ، وتطرق لبلاد المعتمد على الله ابن عباد ، ولما ملك أذفنش أعمال طليطلة ، طمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها ، وهابت الملوك أمره : لكون طليطلة نقطة دائرتها ، خاطب المعتمد على الله أبا القاسم بن عباد ، يطلب منه تسليم « أعماله » الى رسله وعماله ، واثبت عليه في الطلب ، وأظهر له السرور بالغلب ، فمما خاطبه به :

من الكبييطور ، ذى الملتين ، الملك المفضل ، الأذفنش بن شانجه ، الى المعتمد بالله سدد الله آراءه ، وبصره مقاصد الرشاد : سلام عليك ، من مشيد ملك شرفته (69) القنا ، ونبتت في ربعه المنى ، فاعتز اعتزاز الرمح بعامله ، والسيف بساعد

68 — كانت قبل الفتح الاسلامي قاعدة الحكم القوطي ، لحصانتها ولتوسطها شبه الجزيرة الايبيرية ، وموقعها على مقربة من مدريد ، ومازالت تحوى بعض الآثار الاسلامية .

69 — في ك : شريعته .

خامله ، وقد أبصرتم ما نزل بطليطلة وأقطارها ، وما صار بأهلها
حين حصارها ، فأسلمتم اخوانكم ، وعطلتم بالدعة زمانكم ،
والحذر من أيقظ بالله ، قبل الوقوع في الحباله ، ولولا عهد سلف
بيننا ، نحفظ ذمامه ، ونسعى بنور الوفاء أمامه ، لنهض بنا
نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو ووارده ،
لكن الانذار ، يقطع الأعذار ، ولا يجعل الا من يخاف الفوت غيما
يرومه ، أو يخشى الغلبة على ما يسومه ، وقد حملنا الرسالة اليكم
القرمط ألبرهانس ، وعنده من التسديد الذى يلقي به أمثالك ،
والعقل الذى يدبر به بلادك ورجالك ، مما أوجب استنابته فيما يدق
ويجل ، وفيما يصلح لا فيما يخل وأنت عندما تأتية من آرائك ،
والنظر بعد هذا من ورائك ، والسلام عليك ، يسعى بيمينك وبين
يديك .

ولما وصل هذا الكتاب الى المعتمد ابن عباد ، جاوب عنه بخطه
من نظمه ونثره ، بما نصه :

الذل تأباه الكرام وديننا	لك ما ندين به من البأساء
سمناك سلما ما أردت وبعد ذا	نغزوك فى الاصباح والامساء
الله أعلى من صليك فادرع	لكتيبة حطمتك فى الهيجاء
سوداء غابت شمسها فى غيمها	فجرت مدامعها بفيض دماء
ما بيننا الا النزال وفتنة	قدحت زناد الصبر فى الغماء
فلتقدمن اذا لقيت أسنة	زرقا ترى بالوجنة الوجناء

فى أبيات كثيرة .

وبعد ذلك : من الملك المنصور بفضل الله ، المعتمد على الله :

محمد بن المعتضد بالله ، أبى عمرو بن عباد ، الى الطاغية الباغية
أذفنش بن شانجة ، الذى لقب نفسه بملك الملوك ، وسماها بذى
الملتين ، قطع الله دعواه .

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فانه أول ما نبدأ به من دعواه ، أنه « ذو الملتين » والمسلمون
أحق بهذا الاسم ، لأن الذى تملكوه من أمصار البلاد ، وعظيم
الاستعداد ، ومجيبى المملكة ، لا تملكه قدرتكم ، ولا تعرفه ملتكم ،
وانما كانت سنة سعد أيقظ منها مناديك ، وأغفل عن النظر السديد
جميل مباديك ، فركبنا مركب عجز نسخه الكيس ، وعاطيناك
كهة مسددة ، قلت فى أثنائها : ليس ، ولا تستحى أن تأمر بتسليم
البلاد لرجالك ، وانا لنعجب من استعمالك برأى لم تحكم أنحاؤه ،
ولا حسن انتحاؤه ، واعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار ، واغتررت
بنفسك أسوأ الاغترار ، أما تعلم أنا فى العدد والعديد ، والنظر
السديد ، ولدينا من كمة الفرسان ، وجيل الانسان ، وحملة
الشجعان ، يوم يلتقى الجمعان ، رجال تدرعوا الصبر ، وكرهوا
الكبر ، تسيل نفوسهم على حد الشفار ، وتتعاهم الهام (70)
فى القفار ، يديرون رحى المنون بحركات العزائم ، ويشفون من
خبط الجنون بخواتم العزائم (71) ، قد أعدوا لك ولقومك جلادا ،

70 — كانت العرب قبل الاسلام ترى ان الهامة طائر يخرج من رأس
الميت ، وكانوا يقولون : ان القتل تخرج هامه من هامته — أى من
رأسه — فلا تزال تقول : استقونى ، استقونى ، حتى يقتل قاتله —
لسان العرب .

71 — أى التائم — ج نيمة — التى يكتبها الساحر : ومنها جاء اسم
العزام .

رتبة الاتفاق ، وشفارا حدادا ، شحذها الاصفاق ، وقد يأتى
المحبوب من المكروه (72) ، والندم من عجلة الشروع ، نهبت من
غفلة طال زمانها ، وأيقظت من نومة تجدد أمانها ، ومتى كانت
لأسلافك الاقدمين مع أسلافنا الاكرمين يد صاعدة ، أو وقفة
متساعدة ، الا ذل تعظم مقداره ، وتتحقق مثاره ، والذي جرأك
على طلب ما لا تدركه قوم كالحر (73) : « لا يقاتلونكم جميعا
الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر (74) » ، ظنوا المعقل تعقل ،
والدول لا تنتقل ، وكلن بيننا وبينك من المسالمة ، ما أوجب التعود
عن نصرتهم ، وتدبير أمرهم ، ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما
أتيناها فى أنفسنا وفيهم . من ترك الحزم ، وإسلامهم لأعاديهم ،
والحمد لله الذى جعل عقوبتنا توبيخك وتثريبك ، بما الموت دونه ،
وبالله نستعين عليك ، ولا نستبطىء فى مسيرتنا اليك ، والله ينصر
دينه الكريم : « ولو كرد الكافرون (75) » ، والسلام على من علم
الحق فاتبعه ، واجتنب الباطل وخدعه .

وان المعتمد على الله ابن عباد كان قد أشار عليه خواصه
بمصانعة أذقنثس ، وعقد السلم معه على أداء مال معلوم عن كل
حول ، فنكل عن أدائه لضعف بلاده ، وجلاء أهلها عنها ، فافترض
على أهل اشبيلية فريضة ، افتقر فيها أكثرهم ، وانجلى آخرون ،
فوصل اليه رسول أذقنثس ، ومعه اليهودى ابن ثائب ، لقبض مال

72 — فى هذا اشارة الى قوله تعالى فى سورة البقرة : 216 « وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

73 — انظر سورة الحشر : 50 — 56 ، حيث نجد أصل المعنى هنا ومقصد
الكاتب .

74 — الحشر : 14

75 — التوبة : 32 ؛ 'حسف : 8 ، غافر : 14 .

الجزية على عاداتهم ، فى كل سنة ، ونزلوا خارج اشبيلية ، فوجه اليهم المعتمد ابن عباد المال المعلوم مع بعض أشياخ اشبيلية ، منهم ابن زيدون (76) وغيره ، فلما وصلوا الى خبائه ، وأخرجوا اليه المال العين والسبائك ، قال لهم اليهودى : والله لا آخذ منه هذا العيار ، ولا آخذ منه الا مشحرا (77) ، ولا يؤخذ منه فى هذا العام الا أجفان البلاد : وزاد فى كلامه ونقص ، وأساء الأدب ، فبلغ المعتمد خبره ، فدعا بعبيده وبعض جنوده ، وأمرهم بالخروج لقتل اليهودى ابن شالب ، وأسر من كان معه من النصارى ، ففعلوا ما أمرهم به من ذلك .

فلما بلغ ذلك أذفنش ، أقسم بإيمان مغلظة ، أن لا يرفع يده عنه ، وأنه يحشد من الروم عدد شعر رأسه ، ويصل بهم الى بحر الزقاق ، فكان ذلك .

وخرج أذفنش فى جيش لا يحصى كثرة ، وأفسد فى الشرف (78) فسادا كبيرا ، وحرقه ، واجتاز عليه ، قاصدا حصن طريف ، فوقف على شاطئ بحر الزقاق ، والموج يضرب أرساغ فرسه ، وخطب الأمير يوسف بن تاشفين بما نصه :

من أمير الملتين أذفنش بن شانجة بن فرنداة ، الى الأمير يوسف بن تاشفين ، أما بعد :

76 — هو أبوبكر بن زيدون ، ابن الشاعر المشهور ، وكان وزير ابن عباد ، انظر الروض المعطار — مادة الزلاقة — حيث قدم المؤلف رواية فيها تفاصيل ليست موجودة هنا وتختلف بعض الشيء .

77 — الذهب المشحر ، هو الذهب الخالص ، لانه « شحر » على النار ، فزال منه كل معدن خسيس ، والعبارة ما زالت مستعملة فى دارجة المغرب .

78 — Ajarafe — ان هذه التسمية هى اقرب الى الاصل العربى =

فلا خفاء على ذى عينين أنك أمير المسلمين ، بل الملة المسلمة ،
كما أنا أمير الملة النصرانية ، ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم
بالأندلس من التخاذل ، والتواكل ، والاهمال للرعية ، والاخلاد الى
الراحة ، وأنا أسومهم الخسف ، فأخرب الديار ، وأهتك الأستار ،
وأقتل الشبان ، وأسّر الولدان ، ولا عذر لك فى التخلّف
عن نصرهم ، ان أمكنتك فرصة هذا ، وأنتم تعتقدون أن الله تبارك
وتعالى ، فرض على كل واحد منكم قتال عشرة منا ، وأن قتلاكهم
فى الجنة ، وقتلانا فى النار ، ونحن نعتقد أن الله أظفرنا بكم ،
وأعاننا عليكم ، ولا تقدرّون دفاعا ، ولا تستطيعون امتناعا ، وبلغنا
عنك أنك فى الاحتفال ، على نية الاقبال ، فلا أدري أكان الجبن
ييطىء بك ، أم التكذيب بما أنزل اليك ، فان كنت لا تستطيع
الجواز ، فابعث الى ما عندك من المراكب لاجوز اليك ، وأنا أقاتلك
فى أحب البقاع اليك ، فان غلبتنى فتلك غنيمة جلبت اليك ، ونعمة
مثلت بين يديك ، وان غلبتك كانت لى اليد العليا ، واستكملت
الامارة ، والله يتم الارادة .

فأمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، أن يكتب اليه على
ظهر كتابه : جوابك يا أذفنش ما تراه لا ما تسمعه ، ان شاء
الله ، وأردف الكتاب ببیت أبى الطيب المتنبى :

ولا كتب الا المشرفية والقنا

ولا رسل الا الخميس العزمم (79)

= كلمة — الجرف — وهو ريف اشبيلية ، وهو عبارة عن « جبل
شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الخضرة ، فراسخ فى فراسخ
طولا وعرضا ، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه ،
واشتباك غصونه ، وزيته من اطيب الزيوت (الروض المعطار) .

79 — ديوانه — ط . بيروت 1926 ، ص : 250 . وانظر كتاب اعمال
الاعلام قسم المغرب ص 239 .

وقد كان ابن عباد قبل هذا ، لما رأى أمره فى ادبار ، وأن الأذفنش قد عزم عليه ، شاور خاصته ، ووجوه دولته ، فى شأن استدعاء يوسف بن تاشفين ، فأشاروا عليه بمداواة الأذفنش ملك قشتالة ، وطلب معاهدته ، وعقد السلم معه على ما يذهب اليه من الشروط ، وكيف ما أمكن ، وأن ذلك أولى من تجويز المرابطين .

ثم انه خلا بعد ذلك بابنه ، وولى عهده الرشيد أبى الحسن عبيد الله ، وقال له : يا عبيد الله انا فى هذه الاندلس ، غرباء بين بحر مظلّم ، وعدو مجرم ، وليس لنا ولى ولا ناصر الا الله تعالى ، وان اخواننا وجيراننا ملوك الاندلس ليس لنا فيهم نفع ، ولا ترجى منهم نصره ولا جنة (80) ان نزل بنا مصاب ، أو نالنا عدو ثقيل ، وهذا اللعين أذفنش قد أخذ طليطلة من يد ابن دى النون ، بعد سنة سبع وسبعين ، وعادت دار كفر ، وها هو قد رفع رأسه الينا ، وان نزل علينا بكاله ما يقلع عنا حتى يأخذ اشبيلية ، ونرى من الرأى أن نبعث الى هذا الصّحراوى ، ملك العدو ، نستدعيه للجواز ليدفع عنا هذا الكلب اللعين ، اذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا ، فقد تلف مجباننا ، وتبددت أجنادنا ، وأبغضتنا العامة والخاصة ، فقال له ابنه الرشيد (81) : يا أبت أتدخل علينا فى أندلسنا من يسلبنا ملكنا ، ويبدد شملنا ؟ ! فقال : أى بنى ، والله لا يسمع

80 — اى حياية ، ومنها المجن اى الترس .

81 — انظر ما كتبه ابن الخطيب فى الاحاطة : 109/2 ، عن المعتمد بن عباد وأولاده .

عنى أبدا أنى أعدت الاندلس دار كفر ، ولا تركتها للنصارى ،
فنتقوم علي اللعنة في منابر الاسلام مثلما قامت على غيرى ، حرز
الجمال والله عندى ، خير من حرز الخنازير ، فقال له ابنه : يا أبت
افعل ما أراك الله ، فقال : ان الله لم يلهمنى هذا الا وفيه خير
وصلاح لنا ، ولكافة المسلمين .

فاستفتح مخاطبته ، وجعل يستصرخه ويستميله بمكاتبات ،
منها ، من انشائه ، ومنها من انشاء كتابه ، فمن انشائه وخطه
ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما .

الى حضرة الامام ، أمير المسلمين ، وناصر الدين ، محيى
دعوة الخليفة ، الامام أمير المسلمين ، أبى يعقوب يوسف بن
تاشفين .

من القائم بعظيم اكبارها ، الشاكر لاجلالها ، المعظم لما عظم
الله من كريم مقدارها ، اللائذ بحرمتها ، المنقطع الى سمو مجدها ،
المستجير بالله ، وبطولها ، محمد بن عباد .

سلام الله الكريم يخص الحضرة العلية ، المعظمة السامية ،
ورحمة الله وبركاته .

وكتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية غرة جمادى
الاولى سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأنه أيد الله أمير المسلمين ،
ونصر به الدين ، انا نحن العرب في هذه الاندلس ، قد تلفت قبائلنا ،

وتفرق جمعنا ، وتغيرت أنسابنا ، بقطع المادة عنا من معيننا ،
فصرنا شعوبا لا قبائل ، وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر ، فقل
ناصرنا ، وكثر شامتنا ، وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين
أذفنش ، وأناخ علينا بكلكله ، ووطئنا بقدمه ، وأسر المسلمين ،
وأخذ البلاد والقلاع والحصون ، ونحن أهل هذه الاندلس ليس
لاحد منا طاقة على نصره جاره ، ولا أخيه ، ولو شأؤوا لفعلوا ،
الا أن الهوان منعهم عن ذلك ، وقد ساءت الاحوال ، وانقطعت
الآمال ، وأنت أيديك الله ، ملك المغرب أبيضه وأسوده ، وسيد
حمير ، ومليكها الاكبر ، وأميرها وزعيمها (82) ، ونزعت بهمتي
اليك ، واستتصرت بالله ثم بك ، واستغثت بحرمكم ، لتجوزوا
لجهاد هذا العدو الكافر ، وتحياو شريعة الاسلام ، وتذبوا عن
دين محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكم بذلك عند الله الثواب
الكريم ، والأجر الجسيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ،
والسلام الكريم على حضرتكم السامية ، ورحمة الله تعالى
وبركاته .

ومما كتب في استدعائه من انشاء كتابه ما ينسب الى
الوزير الكاتب أبي بكر بن الجد (83) :

82 — كان آل عباد من اسرة رفعت نسبها الى المناذرة ملوك الحيرة ،
الذين كانوا من اصل يمانى ، ومعروف ان حمير ان نسب
الملثمون انفسهم اليها من اصل يمانى ، وكانت دولة حمير آخر
دولة حكمت اليمن قبيل ظهور الاسلام ، ولذلك قام ابن عباد
بمخاطبة يوسف بن تاشفين هكذا ... !
83 — كذا في الاصل ، وفيه ما غيه ، ويبدو ان المراد هو ابو القاسم بن
الجد ، الذى هو من رجال قلائد العقيان ، ص : 122 من ط .
باريس ، كما ترجم له ابن دحية في المطرب ص : 190 ، اما أبو بكر
فهو شخصية أخرى ، تأخرت وفاتها ، انظر الاعلام للسملالى ،
الراكشى : 121/4 — 123 .

الى الملك المؤيد بفضل الله أمير المسلمين ، وناصر الدين ،
وزعيم المرابطين ، أبى يعقوب يوسف ابن تاشفين ، نور الله به
الآفاق ، وجمع به الجيوش والرفاق .

من الملك المفضل بنعمة الله ، المستجير برحمة الله ، المعتمد
على الله ، محمد بن عباد ، سلام على حضرة تجرد إيمانها ، واشتهر
أمانها ، أما بعد :

فان الله سبحانه أيد دينه بالاتفاق والائتلاف ، وحرم مسالك
الشتات ، ودواعي الاختلاف ، وأنعم على عباده بأمير جديـد
« وقوم أولى بأس شديد » (84) ، وتطول علينا بمعلوم جدك ،
ومشهور جدك ، وقد جعلك رحمة يحيى غيثها ربوع الشريعة ،
وخلقك سلما الى الخير وذريعة ، وقد طرأ على الاسلام حادث
أنسى كل هم ، وهمت النكبات بوقوعه وهم ، وذلك عدو أطمعه في
البلاد شتات وبين ، واختلاف سببه لم تطرف له في الدعة عين ،
يقوى ونضعف ، ويتفق ونختلف ، وننام مطمئنين من آفات
الزمان ، وتتاسخ الأمان ، وقد جاءنا ابراقه وأرعاده ، ووعدده
وايعاده ، لنسلم له المنابر والصوامع ، والمحارب والجوامع ، ليقـم
بها الصلبان ، ويستتيب بها الرهبان ، ومما يطمعه استمالته ايانا
بالدعة ، واملاؤه في الرحب والسعة ، استجرارا لما أبطنه ،
واهجاما علينا وطنه .

وقد وطد الله لك ملكا شكر الله عليه ، جهادك ، وقيامك بحقه
واجتهادك ، ولك من نصر الله خير باعث ، يبعثك الى نصر منارده ،

واقْتَبَسَ نوره وناره ، وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته ، ويحضر الحرب بآلاته ، فان شئت الدنيا ، فقطوف دانية ، وجنات عالية (85) ، وعيون آنية (86) ، وان أردت الاخرى فجهاد لا يفتر ، وجلاد يحز الغلاصم ويبتتر ، هذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم ، واجمال معروفكم ، نستعين بالله وملائكته ، وبكم على الكافرين ، كما قال الله سبحانه ، وهو أكرم القائلين : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (87) » .
والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها ، ونعمة الاسلام نشكرها ، ورحمة الله نتحدث بها وننشرها ، والسلام الموصول الجزيل على أمير المسلمين ، وناصر الدين ، ورحمة الله وبركاته (88) .

ولما ترادف خطابه عليه ، ووقف على مقتضى ما كتب به ، وعرف ما ذكر من معناه ، أطلع عليه اخوته ، وبنى عمه ، وقال لهم : ما ترون فيما كتب به هذا الرجل ، وكان هؤلاء المرابطون ، قوما صحراويين ، لم يعاينوا قط نصرانيا ، ولا شاهدوا حربا الا ما يكون بينهم ، وكانوا يودون أن يغزوا ، ويدخلوا الاندلس ،

85 — انظر سورة الحاقة : 22 — 23 ، فمنها جاء الاقتباس .

86 — انظر سورة الغاشية : 5 ، وغريب هذا الاقتباس منها ، لان معناه في القرآن عكس ما اراده الكاتب هنا ، ولعل تصحيحا ما اصاب اصل الكلمة ، التي ربما كانت « جارية » .

87 — التوبة : 14 .

88 — وردت فقرات من هذه الرسالة ضمن رسالة استغاث بها محمد بن الاحمر — ثاني ملوك غرناطة — بيعقوب المريني ، انظر الذخيرة السنية — ط . الرباط 1972 : 141 ، وكان الاستاذ عبد الله عنان في كتابه دول الطوائف — ط . القاهرة 1960 : 78 ، قد نبه على ذلك .

فلما استشارهم امامهم ، قالوا له : أيد الله أمير المسلمين ، أما ما ذكرت من استعانة هذا الرجل بك ، فواجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله اعانة أخيه المسلم ، وأخرى فانه لا يحل لنا أن يكون جارنا ، وبيننا وبينه ساقية ماء ، فنفرده طعمة للعدو ، فهذا كما ترونه ، والامر لله تعالى ، ولأمير المسلمين .

وبعد ذلك خلا بأحد كتابه ، وهو عبد الرحمن بن أسباط ، وكان أندلسيا من أهل مدينة المرية (89) ، واستشاره فقال له : ان الأمر لله تعالى ولكم ، فقال له : ومع هذا فقل ما عندك ؟ فقال له : واجب على كل مسلم اعانة أخيه المسلم والانتصار له ، غير أن لى كلاما أنهيه اليكم ، فقال له : قل ما عندك يا عبد الرحمن ، فقال له : أيد الله الأمير تعلمون أن الاندلس جزيرة مقطوعة في البحر ، يعمر المسلمون منها الثمن ، وسبعة أثمان يعمرها النصراني ، وهى ضيقة حرجة ، سجن لمن دخلها ، لا يخرج الا تحت حكم صاحبها ، وان أنت جزت اليها ، وحصلت فيها ما يكون لك في نفسك شئ ، وهذا الرجل الذى استدعاك ما بينك وبينه متات قديم ، ولا صداقة متصلة ، ويتقى اذا قضى الله الغرض من العدو ، أن يمسكك بها ، والحال كما ترونه ، والنظر اليكم ، فاكتب اليه أنك لا يمكنك الجواز اليه الا أن يعطيك الجزيرة الخضراء (90) ، فتجعل فيها ثقاتك وأجنادك ، ويكون الجواز بيدك

89 — Almiria ، هى اشهر مراكز الاندلس المتوسطة ، بناها عبد الرحمن الناصر سنة 344 هـ ، وهى فى الجنوب الشرقى للاندلس ، واتصفت بالحصانة وبنشاطها التجارى والصناعى ؛ انظر مادتها فى الروض المعطار .

90 — Algeciras — كانت الجزيرة الخضراء بمرساها الجيد ، اقرب المناطق للعبور من المغرب الى الاندلس ، انظرها فى الروض المعطار — مادة خضراء — .

متى شئت ، فقال له : صدقت يا عبد الرحمن (91) لقد نبهتني على شيء لم يخطر ببالي ، واكتب له بذلك .

فكتب له ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

من أمير المسلمين ، وناصر الدين ، محيي (92) دعوة أمير المؤمنين .

الى الأمير الاكرم المؤيد بنصر الله ، المعتمد على الله ، أبى القاسم بن عباد ، أدام الله كرامته بتقواه ، ووفقه لما يرضاه .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فانه وصل خطابكم المكرم ، فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك ، وما ذكرته من كربتك ، وما كان من قلّة حماية جيرانك ، فنحن يمين لشمالك ، ومبادرون لنصرتك وحمايتك ، وواجب علينا ذلك من الشرع ، وكتاب الله تعالى ، وانه لا يمكننا الجواز الا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء ، تكون لنا ، لكى يكون جوازنا اليك على أيدينا متى شئنا ، فان رأيت ذلك فأشهد به على نفسك ، وابعث الينا بعقودها ، ونحن فى اثر خطابك ، ان شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .
ولما ورد هذا الخطاب على ابن عباد، قال له ابنه الرشيد : يا أبت،

91 — ترجم له ابن الخطيب فى الاحاطة : 523/3 ، وقد توفى بسبّعة سنة 487 هـ ، وتقلد كتابة يوسف بن تاشفين بعده ابوبكر بن القصيرة .

92 — فى ك : معز .

الآن تنتظر وتشهد الى ما طلب لك ؟ فقال له : يا بنى ذاك قليل فى حق
نصرة المسلمين . فجمع ابن عباد القاضى والفقهاء ، وكتب عقد
هبة الجزيرة الخضراء ليوסף بن تاشفين ، وتسليمها له بمحضر
ذلك الجمع ، وبعث به اليه ، وكان ابنه الراضى يزيد ، اذ ذاك
صاحب الجزيرة الخضراء ، فأمره باخلائها والانتقال عنها .

ولما وصله العقد والخطاب بالتأكيد بالجواز ، استنفر
جميع حشوده (93) ، وبعث فى البلاد الى جنوده (94) ، ورحل
الى سبتة (95) ، فأقام بها ، وأخذ فى تجويز عساكره حتى لم
يبق منهم أحد ، وجاز هو فى اثرهم ، واحتل بالجزيرة ، ولما
بلغ ابن عباد جوازه ، استعد بالضيافات الحافلة ، والهدايا الخطرة ،
وقد كان يجمعها ويحتفل فيها ، ولما احتل يوسف بن تاشفين
بالجزيرة ، شرع فى بناء أسوارها ، ورم ما تشعث من أبراجها ،
وحفر الحفير (96) عليها ، وشحنها (97) بالاطعمة والاسلحة ،
ورتب فيها عسكرا انتقاء من نخبة رجاله ، وأسكنهم بها ، ورحل
نحو اشبيلية : فتلقاه ابن عباد على مرحلة من الجزيرة ، فسلم
عليه ، وهم ابن عباد بتقبيل يديه ، فبادر لمعانقته ، وسأله عن
حاله ، وانبسط معه فى الحديث ، وهناك ابن عباد بالسلامة ، ولحقت

93 — فى د — ك : جنوده .

94 — فى د : جيوشه .

95 — مدينة معروفة بالمغرب ، هى الآن تحت الاحتلال الاسبانى ، ومنها
كان يتم الجواز الى الاندلس لانها تقع قبالة مرسى الجزيرة الخضراء .
ولها فى تاريخ المغرب ماض حافل بالعلوم والمعارف واليهما ينسب
عدة أعظم .

96 — أى الخندق .

97 — فى ك : وملاها .

ضيافات ابن عباد ، فعمت جميع المحلة على حال كبيرها ، وركب ابن عباد ودار بالمحلة ، ونظر الى العسكر فرأى عسكرا نقيا ، ومنظرا بهيا ، فلم يشك أن ذلك الجمع لا يخلو من بركة ، وأن اللعين أذفئش لا محالة مهزوم ، فكان كما كان ، فحمد الله سبحانه وأثنى عليه ، وسجد لله سجدة ، وعفر وجهه في التراب تواضعا لله سبحانه وتعالى .

ونهضت المحلة (98) الى اشبيلية في الضيافات الحافلة ، والهدايا المستطرفة ، والمأكولات الرغدة ، حتى وصلوا الى اشبيلية ، فأقاموا بها ثلاثة أيام ، وارتحلوا الى مدينة بطليوس (99) .

وقد كان يوسف بن تاشفين كتب الى سائر أمراء الاندلس يستنفرهم للجهاد ، ويستدعيهم للحاق بمحلقته ، فلحق به الأمير المظفر أبو محمد عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس ، صاحب غرناطة وأعمالها ، وأخوه المستنصر تميم صاحب مالقة (1) ، وراجع صاحب المرية المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح ، يعتذر بسبب العدو الملاحق له بحصن لبيط (2) من أعمال لورقة (3) .

98 — في ك : العساكر نحو .

99 — Badajos — هي من مدن غرب الاندلس ، وهي الآن قرب الاراضى البرتغالية ؛ انظرها في الروض المعطار .

1 — Malaga — هي مدينة معروفة ، وتعتبر الآن من مشاهير مدن اسبانيا الساحلية ؛ انظرها في الروض المعطار .

2 — في ك : بفحص لبيط ؛ وهو الذى يدعو الاسبان بـ Aledo وسيرد ذكر هذا الحصن في الحديث عن الجواز الثانى ليوسف بن تاشفين الى الاندلس . وموقعه بين مرسية ولورقة .

3 — Lorca — هي مدن شرقى الاندلس — تدمير — ذات موقع حصين ؛ انظرها في الروض المعطار .

ولحق به من وصل من الرماة (4) والاجناد، وخف من المتطوعين للجهاد ، فلتقاهم المتوكل بن الافطس على ثلاث مراحل من بطليوس ، واحتفل لهم بالتضييف ، والعلف والقرى الواسع .

وكان بين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وأذغنش ملك قشتالة قبل هذا مخاطبات ، منها أن يوسف ابن تاشفين ، لما دنا من بطليوس ، على مقربة من فحص الزلاقة ، (5) قدم اليه كتابا على مقتضى السنة ، يعرض عليه فيه : الدخول في الاسلام ، أو الجزية ، أو القتال ، من فصوله :

وقد بلغنا يا أذغنش أنك دعوت الى الاجتماع بك ، وتمنيت أن تكون لك فلك تعبر البحر عليها الينا ، فقد اجترناك اليك ، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك : « وما دعاء الكافرين الا في ضلال (6) » .

فلما وصل الكتاب الى أذغنش ، وسمع ما كتب به اليه ، جاش بحر غيظه ، وزاد في طغيانه وكفره ، وقال : أبمثل هذه المخاطبة يخاطبني ، وأنا وأبى نغرم الجزية لاهل ملته منذ ثمانين سنة ! وأقسم أن لا يبرح من مكانه الذي نزل فيه ، وقال : يزحف الى فاني أكره أن ألقاه قرب مدينة تعصمه ، وتمنعني منه . فلا أشفى نفسي بقتله ، ولا أبلغ أملى فيه ، بينى وبينه هذا البسيط

4 — في ك + د : الرؤساء .

5 — Sagrajos — دعاها الحميري : « بطحاء الزلاقة من إقليم بطليوس من غرب الاندلس » وهى الآن قرب أراضى دولة البرتغال ، والاسم شهر بعد المعركة التى سيرد ذكرها ، انها هو ليس علما على بلدة من البلدان أو مدينة ، بل اسم لبسيط من الارض يقع شمال شرقي مدينة بطليوس .

6 — الرعد : 14 .

المتسع ، فأعلم السفراء أمير المسلمين بانتخائه ، وما أظهر من طغيانه وكبريائه .

وقد كان قبل خروج اللعين أذفنش الى هذا اللقاء ، وهو بطليطة رأى رؤيا قبل وقبعة الزلافة بشهر ، وذلك أنه رأى فى النوم فى بعض الليالى ، كأنه راكب على فيل ، والى جانبه طبل معلق ، وهو يضربه ، فاستيقظ فزعا مذعورا ، فلما أصبح بعث الى الأساقفة من النصارى ، وأخبار اليهود ، وقال لهم : انى رأيت رؤيا أفزعتنى ، وذكر لهم نصها ، وقال لهم : ما هالنى ولا أفزعنى الا أن الفيل ليس فى بلادنا ، ولا هو بقربها ، ولا عايناه . فمن أين لنا به ثم ان الطبل ما هو من شكلنا ، ولا من زينا ، فمن أين لنا به ؟ فانظروا فى تأويل هذه الرؤيا وفسروها لى ، فغدد أفزعنى ما عاينت منها ، فقال له القسيسون والاحبار : أيها الملك ، تدل رؤياك على أنك تهزم جميع المسلمين ، وتغنم أموالهم ، وتسبى محلتهم ، وتأخذ بلادهم ، وترجع الى وطنك عزيزا ظافرا ، وأما الفيل الذى كنت تركبه ، فهو هذا الملك القادم ، صاحب البر الكبير ، المشترط للقاءك ، تركبه برغم أنفه ، وتذله فمثل لك بالفيل لعظمه ، ولكون الفيل من الصحراء ، وهذا من الصحراء ، — يعنون أمير المسلمين يوسف بن تاشفين — مثل لك به ، فقال لهم : نفسى تحدثنى ، وهى صادقة ، أنكم فى تفسيركم لنا مى على باطل ، وما تعرفون شيئا ، ثم رد رأسه الى جماعة من المسلمين ، ممن حضر مجلسه ، من بقايا الساكنين ببلادهم ، فقال لهم : أتعلمون هنا أحدا من علماء المسلمين ؟

فقالوا له : نعم هنا رجل من فضلاء المسلمين وعلمائهم ، ويعرف
بمحمد بن عيسى المغامى ، يقرئ فى مسجده كثيرا من فقهاء
المسلمين ، فقال لبعض منهم : انطلقوا اليه وأتونى به ، فانطلقوا ،
وقالوا له : ان الملك يدعوك ، فقال : وما حاجته بى ، فقالوا له :
انه رأى رؤيا أفزعته ، وقد فسر لها أساقفة النصرى وأخبار
اليهود ، فلم يرض بقولهم ، ولا صدقهم ، فقال لهم : والله لا آنى
كافرا أبدا ، فقالوا له : اتق الله على نفسك من سطوته ! فقال
لهم : ان الله ولى وحافضى ، والخير والشر بيده ، فطمعوا به
ليصل اليه ، فأبى ، ورجعوا الى أذفنش ، فقال لهم : وأين الرجل
الذى توجهتم اليه ؟ فحسبوا له اللفظ ، واعتذروا عنه ، وقالوا له :
ايها الملك ، ان الرجل عابد ورع ونحن المسلمين عبادنا ما يرون
فى دينهم أن يغشوا أبواب الملوك ، فان رأى الملك أن يلقى ابننا
من الكلام ما نأتى به من عنده بجواب شاف ، فعل ، فقال لهم : كنت
أرى كذا وكذا ، وقص عليهم رؤيائه ، فانطلقوا الى الفقيه أبى عبد الله
المغامى ، فوجدوه يقرأ بمسجده داخل طليطلة (7) مع من بقى
بها من فقهاء من المسلمين ، فقصوا عليه الرؤيا ، وقالوا له :
تدبرها فى نفسك ، حتى تلقى ابننا نص تفسيرها له : فقال لهم
الفقيه : الأمر فيها قريب ، أعلمود أنه سيهزمه المسلمون هزيمة
قبيحة ، يخرج منها مفلولا فى نفر يسير من أصحابه ، والدليل
على ذلك من كتاب الله العزيز ، فى قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل
ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم

طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل (8) » ، عنى بها
البارى عز وجل أبرهة الحبشى ، وأما الطبل الذى كان يخربه ،
فمن قوله تعالى : « فاذا نقر فى الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير .
على الكافرين غير يسير (9) » ، فرجعوا اليه ، وأعلموه بنص
ما عبر لهم ، فقطب وجهه ، وقال : ودين المسيح لئن كذب لأمثلن
به ، فبلغ الخبر الى الفقيه المغامى ، فقال : والله ما يقدر على ذرة
الا باذن الله وقضائه ، وأنا واثق بالله ربى ، ولا قوة الا بالله
العلى العظيم (10) .

وان أذفنش — لعنه الله — نسى تلك الرؤيا ، وأخذ فى جمعه
وحشده ، وتأهب للقاء المسلمين ، واحتفل فى الاستعداد ، وخرج
ومعه ثمانون ألف فارس ، لابسين الدروع دون غيرهم ، حتى
انتهى الى فحص الزلاقة ، وكان عسكر المسلمين يناهز خمسين
ألف فارس : أربعة وعشرون ألفا من فرسان الاندلسيين ما بين
مدرع ولابس ، ومثلها أو أكثر منها مرابطون ، وأهل العدو (11) .

8 — الفيل : 1 — 4 .

9 — المدثر : 8 — 10 .

10 — آثار الاختراع على هذه القصة واضحة ، انظر رواية اخرى لها
تختلف فى الروض المعطار — مادة زلاقة — ، اما المغلى ، فهو
من اهل طليطلة ، وتوفى باشبلى سنة 485 هـ . انظر صلة ابن
بشكوال : 258/2 . (ط . القاهرة) .

11 — هناك خلاف حول اعداد جيوش الزلاقة ، ذكر الحميرى فى روضه —
مادة زلاقة — بأن اذفنش — الفونسو — اختار ممن اجتمع اليه
انجادهم : « وقال حين نظر الى ما اختاره من جموعه : بهؤلاء
اقتاتل الجن والانس ، وملائكة السماء ، فالقتل يقول : كان هؤلاء
المختارون من اجناده اربعين الف دارع ، ولايد لمن هذه صفته أن
يتبعه واحد أو اثنان ، وأما النصرى فيعجبون ممن يزعم ذلك
ويقوله ، واتفق الكل ان عدة المسلمين كانت أقل من عدة المشركين » .

ولما احتلت عساكر المسلمين بظاهر بطليوس ، واحتل أذفنش بفحص الزلاقة ، على أربعة فراسخ من بطليوس ، كتب انى أمير المسلمين مكرامه ، يقول : « ان غدا يوم الجمعة ، ولا نحب مقاتلتكم فيه لانه عيدكم ، وبعدد السبت يوم عيد اليهود ، وهم كثيرون فى محلتنا ، ونحن نفنقر اليهم ، وبعده الاحد عيدنا ، فنحترم هذه الأعياد ، ويكون اللقاء يوم الاثنين ، فقال أمير المسلمين : أتركوا اللعين وما أحب (12) .

حدث أبو محمد عبد العزيز بن الامام ، أحد خواص المعتمد بن عباد ، قال : كنت فى عسكره عند توجهه مع يوسف بن تاشفين الى لقاء الطاغية أذفنش بن فرلندة ، ملك قشتالة فى غزوة الزلاقة ، وهى أول غزوة غزاها المرابطون بالاندلس ، وكان الناس يرحلون برحيل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وينزلون بنزوله تقديما له ورعيا لمكانه من السن ، وعظم الملك ، ووفور العدد ، وجودة الرأى ، وكمال العقل ، فسمعنا طبوله تضرب ، وقيل ان أمير المسلمين يتقدم الى لقاء العدو . فأمر المعتمد بن عباد منجمه بتحقيق طالع الوقت ، والنظر فيه ، قال : فوجده بحسب ما تقتضيه

12 — ذكر الحميرى — نفس المصدر والمادة — ان المعتمد ابن عباد قال آنذ ليوسف بن تاشفين : « هذه خديعة من ابن فرلندة ، انما يريد غدر المسلمين ، فلا تطمئن اليه ، وليكن الناس على استعداد له طول يوم الجمعة ، وعلى احتراس كبير ، وابن عباد مواظب على احتراس جميع المحلات خائفا عليها من كيد العدو » ، واهتم ابن عباد بمحلات اللثمين الصحراويين « اذ هم غريباء لا علم لهم بالبلاد ، وجعل يتولى ذلك بنفسه ، حتى قيل ان الرجل من الصحراويين كان يخرج عن طرق محلاتهم لبعض شأنه ، أو لقضاء حاجته ، فيجد ابن عباد بنفسه مطيافا بالمحلة ، بعد ترتيب الكرايس من خيل على أفواه طرق محلاتهم ، فلا يكاد الخارج منهم عن المحلة يخطئ ذلك من لقاء ابن عباد ، لكثرة تطوافه عليهم » .

أصول تلك الصنعة ، دالا على أن الدائرة تكون على المسلمين : وأن الظفر وانغلبة للمشركين .

قال : فأشفق المعتمد من ذلك ، وكره اعلام أمير المسلمين به ، لنفاره من الاستدلال بالنجوم ، والتظاهر بها ، والعمل بها ، ولم يمكنه غير مساعدته ، والانتقال معه ، فبينما هو يحاول ذلك ، اذ خفتت الأصوات ، وهدأت الضجة ، وجاء من أخبر أن أمير المسلمين ، قد بدأ في الانتقال من مناخه ، فلما كان بعد ساعة من ذلك اليوم بعينه ، عادت الأصوات ، وضربت الطبول ، فأمر ابن عباد منجمه ، بأخذ طالع الوقت ، والنظر فيه . فوجده أوفق طالع ، وأسعد « نصبة » له ، وأدلها على الظفر للمسلمين ، والدائرة على المشركين ، حسبما جرى الأمر عليه .

قال : فتعجبت من ذلك ، ومن قوة سعد يوسف بن تاشفين . وقال : هذا ، من المصنوع لهم ، المعنى بأمرهم (13) ، الملهمين إلى رشدهم ، الذين يدبر لهم التوفيق ، ويخدمهم (14) البخت وذلك كله بمشيئة الله تعالى ، وسابق علمه ، ونافذ حكمه ، وكتب إليه من منزله المذكور ، هذه الأبيات :

غزو عليك مبارك في طيه الفتح القريب
لله سيفك أنه سخط على دين الصليب
لأبد من يوم يكو ن له أخا يوم القليب (15)

13 — في ك : المعنى بأمر المسلمين إلى رشدهم .

14 — في د : يحمدهم ، وفي ك : يخدمهم .

15 — أي يوم معركة بدر الكبرى ، والأبيات هذه رواها الحميري في موضعه — مادة زلاقة — مع زيادة بيت واختلاف بالالفاظ .

فكأنه نطق بالغيب ، فكانت الهزيمة على اللعين ، يوم الجمعة الثاني عشر لرجب الفرد ، سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، فلما كان يوم الجمعة ، استعد اللعين للقاء المسلمين ، ليأخذهم على حين غفلة ، غدرا منه ، وارتقى في ربوة مع جماعة زعماء قومه ، ليبيصر أعداد جيوشه ، فأعجبه ما رأى من كثرتهم ، ولمعان دروعهم ، فقال لابن عمه غرسية ، هذا اليوم لنا فيه الغلبة على المسلمين ، فقال غرسية : ان كان سبق لك بذلك القضاء ، فقال : أنا الغالب ، سبق أو لم يسبق ، فقال له ابن عمه : انى لا أحضر معك هذا اللقاء ، واعتزل بناسه — وكانوا نحو ألف فارس — فعند ذلك تقدم بجيشه قاصدا محلة المسلمين ، فأقبلت طلائع ابن عباد تنادى وتقول : ان الروم في أذيالنا ، والناس على طمأنينة ، وقد كانوا اتفقوا على أن : يكون المعتمد بن عباد في قلب المقدمة ، والمتوكل ابن الافطس في ميمنتها ، وأهل شرق الاندلس في مييسرتها ، وسائر أهل الاندلس في الساقة ، والمرابطون وأهل العدو كمائن متفرقة ، تخرج من كل جهة عند اللقاء ، فلما أعلم ابن عباد بقدوم الطاغية عليه ، بادر الركوب على غير تعبئة ، ولا أهبة ، وغشيتهم خيل العدو كالسيل ، وءمتهم كقطع الليل ، وظنوا أنها وهية (16) لا ترقع ، فوافق محلة ابن عباد في طريقه بأهل اثيبيلية وسائر عماله ، فوقعت بينهم حروب صعبة كانت الدائرة فيها على أهل اثيبيلية ، استأثر الله فيها بأرواح شهدت لها الرحمة ، وخطبتها الجنة ، وخرج ابن عباد بجراحات ، وأبلى في ذلك اليوم بلاء حسنا ، وأنشد في ذلك اليوم

16 — في د : وهلة لا تدفع .

شعرا ، قاله في أثناء الحرب يذكر ابنه زين الدولة (17) ، المولى ،
أبا هاشم :

أبا هاشم هُشمتي الشفار فله صبرى لذاك الأوار (18)
ذكرت شخيمك ما بينها فلم يثنى حبه للفرار (19)

قال : ثم ثاب العسكر من المسلمين لأنفسهم ، وحملوا على
محلة أذغنش حملة صادقة .

وقد كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على حين غفلة ،
ولم يكن عنده علم بما وقع ، اذ كانت محلته بعيدة عن محلة ابن
عباد ، حتى بعث اليه ابن عباد كاتبه ابن القصيرة (20) ،
فأخبره (21) ، فركب وأحدق به زعماء لمتونه ، وكبراء صنهاجة ،
وسائر عسكره ، فقصدهم محلة الطاغية فاقتحمها ، وأضرمتها
نارا ، وضرب طبوله فاهترت له الارض ، وتجاوبت الآفاق ،
فارتفعت قلوبهم ، وتجلجت أفئدتهم ، ورأوا النار تشتعل في
محلّتهم ، وأتاهم الصريخ بهلاك أموالهم وأخبيّتهم ، فسقط (22)
في أيديهم ، فثنوا أعنتهم ، ورجعوا قاصدين محلّتهم ، فالتحمت

17 — في الروض المعطار — مادة زلافة — : « وتذكر في تلك الحال ابنا له
صغيرا ، وكان مغرما به ، كان تركه باشبيلية عليلا ، اسمه المولى ،
وكنيته ابو هاشم » .

18 — في د : فله من حد ذاك الأوار .

19 — في د : فلم يثنى حبه للفرار .

20 — في الروض المعطار — مادة زلافة — هو ابو بكر محمد بن سليمان ،
انظره في الاحاطة : 516/2 . الذيل والتكملة : 227/6 .

21 — زاد الحمري — نفس المصدر والمادة — تفاصيل أوفى مما جاء هنا .

22 — ذكر الحمري — نفس المصدر والمادة — أنه عندما تحرك الجيش
المغربى « امر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى
يدخل محلة النصرى فيضرمها نارا ما دام ابن فرذندد مشغولا مع
ابن عباد » .

، واختلطت اللتان ، واشتدت الكرات ، وعظمت النجاسة .
 وروب تدور على اللعين . وتطحن رؤوس رجاله : ومشاهير
 ايساله ، وتقفذ بخيلهم عن يمينه وشماله : وتداعى الاجساد
 والحشم والعبيد للنزال ، والترجل عن ظهور الخيل ، ودخول
 المعترك ، فأمسك الله المسلمين بنصره ، وقذف الرعب في قلوب
 المشركين ، وتحصلوا بين عسكر ابن عباد ، وعسكر يوسف بن
 تاشفين ، وفي أثناء ذلك ، تلاقى بالطاغية أذغنش غلام أسود بيده
 خنجر يدعوه البرابر ، بالافطس ، قطع جرز درء : وطعنه في
 فخذ مع مدار سرجه ، فكان أذغنش يقول بعد ذلك : التحق بى
 غلام أسود فضربنى في الفخذ بمنجل أراق دمي ، فتخيل لى
 الافطس أنه منجل لكونه رآه معوجا ، ففر أمامه وسيوف المسلمين
 تتبعه ، حتى ألجأوه الى ربوة عالية اعتصم بها لتعذر مرتقاها ،
 وأحدفت بها الخيل ، فقال لهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين :
 الكلب اذا أرقق لابد أن يعض ، وقد سلم الله المسلمين من
 معرته ، ولم يقتل منهم الا القليل ، فان هجمنا على هؤلاء : أبلوا
 بلاء عظيما ، ولكن اتركوهم (23) ، ولاحظوا حالهم ، فلما جن

23 — عندما يتسائل المرء عن الاسباب التي عاقت المسلمين عن استغلال
 نصرهم الكبير هذا ، نجد الحميرى يروى في روضه — مادة زلاطة —
 ما يفيد ، وهو : « ولما انحاز الطاغية بشرذمته ، جعل ابن عباد
 يحرص على اتباع الطاغية ، وقطع دابره ، غابى ابن تاشفين واعتذر
 بأن قال : ان ابتعناه اليوم لقي في طريقه اصحابنا المنهزمين راجعين
 الينا منصرفين فيهلكهم ، بل نصبر ببقية يومنا حتى يرجع الينا اصحابنا ،
 ويجتمعوا بنا ، ثم نرجع اليه فنحسم داءه . وابن عباد يرغب في
 استعجال اهلاكه ، ويقول ان نرا اماننا لقيه اصحابنا المنهزمون ،
 فلا يعجزون عنه ، ويوسف مصر على الامتناع من ذلك ، ولما جاء
 الليل تسلل ابن غرذاند وهو لا يلوى على شيء ، واصحابه
 يستاقطون في الطريق واحدا بعد واحد من اثر جراحهم ، فلم يدخل =

الليل ، فروا وأصبحوا يوم السبت فلم يوجد لهم أثر ، ثم ثنى أمير المسلمين عنانه ، فنزل الناس بنزوله ، وقد أبان الله بصارمه تلك الشوكة ، واستأصل أولئك الجموع المشركة ، ولم يفلت منهم أكثر من أصحاب غرسيه ، الذى اعتزل عن القتال ، وهم نحو أربعمائة أفلتوا مع الطاغية .

وكانت هذه الغزوة المعروفة بوقعة الزلاقة ، الغزوة التى أظهر الله فيها دين الاسلام ، ونصر حزبه ، ونفس عنه كربه ، ولم يكن فى الاندلس غزوة أعظم منها ، قتل فيها من النصارى نحو ثلاثمائة ألف .

قال الفقيه أبو يحيى بن اليسع (24): ذكر لى جماعة ممن حضرها أنه وجد فيها أقوام من الروم عليهم دروع محصنة ، قطعت السيوف وأساطها مع الجثث ! .
وأخبر الفقيه أبو مروان العذرى ، وكان ممن شهد تلك

== طليطلة الا فى دون المائة .

وتكلم الناس فى اختلاف ابن عباد وابن تاشفين ، فقالت شيع ابن عباد : لم يخف على يوسف أن ابن عباد أصاب وجهه الراى فى معاجلته ، لكن خاف أن يهلك العدو الذى من أجله استدعاه ، فيقع استغناء عنه ، وقالت شيع يوسف : انما أراد ابن عباد قطع حبال يوسف من العود الى جزيرة الاندلس ، وقال آخرون : كلا الرجلين أسر حسوا فى ارتقاء — أى اظهر امرا أراد فى قرارة نفسه غيره — وان كان ابن عباد احرى بالصواب .

24 — منسوب الى جده اليسع بن عيسى بن حزم الغافقى ، صاحب كتاب « المغرب — او المغرب — فى محاسن المغرب » ألفه لصالح الدين يوسف بن ايوب ، وهو صاحب الخطبة بقطع الدعوة الفاطمية فى مصر أيام نور الدين بن زنكى ، نقل عن كتابه المغرب المقرئ فى نفح الطيب ، مواد كثيرة ، وهو ايضا من مصادر كتاب نظم الحجاب لابن القطان ، انظره فى معجم اصحاب الصدفى ، ط . مدريد 1885 : 322 .

الوقعة ، وممن له ملابسة بتلك الأمور ، قال : وانتخب المسلمون في موضع المعركة الى قطع رؤوس النصارى ، فجمع منهم أعداد ، وكدس منها أكداس كالحوامع المنيفة ، ونظروا أطول قناة كانت في المحلة ، فنصب ورسر الرؤوس من حواليتها ، فغطتها ، ويذكر أن عدد الرؤوس التي جمعت بين يدي ابن عباد بلغت الى أربعة وعشرين ألف رأس (25) .

ولما فرغ الناس من هذا الفتح ، تناول ابن عباد اضبارة كاغد ، على عرض الاصبع ، وكتب فيها سطرين الى ابنه الرشيد : « الى ابني الرشيد ، وفقه الله ، اعلم أنه التقت جموع المسلمين بالطاغية أذفنش اللعين ، ففتح الله للمسلمين ، وهدم على أيديهم المشركين ، والحمد لله رب العالمين ، فأعلم بذلك من قبلك من اخواننا المسلمين ، والسلام (26) » .

وكان ذلك عند الزوال من الجمعة ، وعلق الاضبارة في جناح حمام ، كان احتمله معه لهذا الحال ، فكان الناس باثبيلية أقنط ما كان في ذلك اليوم ، فوصل الحمام من يومه ، وقرئت على الناس بمسجد اثبيلية ، فعم السرور ، وكثر الدعاء ، ثم بعد ذلك وردت الكتب تشرح مجمل هذا الفتح الجليل ، وكتب المعتمد بن عباد ، والمتوكل ابن الافطس ، والمظفر عبد الله بن بلقين ، وكل من شاهد الحرب من الملوك ، كتبهم الى الآفاق ، مبشرين بما شفى الله به الصدور ، وأذهب غيظ القلوب ،

25 — ليس هذا بالجغرافي الاندلسي المعروف ، الذي طبعت نصوص من كتابه في مدريد عام 1965 .

26 — انظر الاحاطة : 114/2 .

ومعلمين بما آتاه الله عليهم من أنفاهيم .

وكان مع كتب به ليعتمد ابن عبد الله حفيد اشبيلية ،
وسائر أعماله من إنشاء الكتاب أبي محمد عبد الله بن عبد
تير (27) اميري ، ومن فصوله ما نحه :

لما كان يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة تسع وسبعين
وتربعمائة ، سنى له أمرا يسر (28) أسبابه ، وفتح لنا السى
أفخر والفتوح باب ، وعطف علينا القابل لتوب ، لعافر للذنب ،
وتتقينا مع اطاعية الباغية ، الذى أجاب الموت دعيه ، وأخزى
تتوفيق مساعيه ، بعد غدر أبداء ، وجرى فيه مداد . وكان تواعدنا
معه لتلتقى فى سواد ، فأتى والنقض يجرر ذيل مداه ، والغيب
يشهد عليه بم أرداء ، والعر يعلمنا أنه طعمة من نواه ، فاستبشرنا
أنه ابتداء بالعر الذى يرضيه ، وتعجل سلوك طريق لاتهديه ،
وتحققنا أنها مقدمة فتح سبقت ، ونواسم سعد عقت ، والنصر
لا تخفى دلائله ، واليمن لا تسترد غلائله ، فتدارك اخواننا
المسلمون بالنصاف ، وتضافحوا بالاعتراف والانصاف ، وجرت
البسائط ذيون الزرد وشكرت الشفار فعل الصقيل الفرند ، ولما
اطولك ليل لحرب واغصص ، وغار ماء ثبجها فأعطش ، طلع
نجر السعادة فأنجح ، ونادى من كتب السلامة : أصبح ، أصبح ،
وعن قريب طعت شمسها تشرق ، وتهلك الكافرين وتحرق ، ليس
دونها حجاب يستر شعاعها ، ويحجب ناعها ، ولم تسامتت

27 — ترجمه صاحب الفوائد : 206 — من ط . باريس — ومنه اضيف

ما بين الحاصرين

28 — فى د : هيا ابابه —

الرؤوس ، وأحرق الرئيس بالمرؤوس ، ظللنا نرتب الجماجم .
 وكأنها من أعجب أحلام نائم ، ولما سعد المؤذنون أكواما بنتها
 أيدي الأيد من هاماتهم ، وحصدتها بواتر قطعتها بلاماتهم (29) .
 أعلنوا بكلمة الاخلاص فوق آذان وعت ، ما كانت عنه صمت .
 وأدمغة أنزلها الندم على ما . . . به همت ، وقرت العيون .
 وانشرحت الصدور ، « وأشرقت الارض (30) » كلها بهذا النور ،
 وهذا وفقكم الله فتح الفتوح ، أنذر بين يدي نجواه (31) ، بنصر .
 يعجز عنه الحصر .

وقد كان في أول اللقاء جولة على المسلمين ، قضى الله
 بالشهادة فيها ، لمن اهتم بأمانيتها ، ثم أنزل سكينته ، فخطبت
 نصال المسلمين ، رقاب الكافرين ، فأنكحتها أباكرا ، صانتها حجال
 المغافر ، وحجبتها ستور الطوارق عن عيون البواتر ، ولا مهر
 الا ما نووه من كرم نفوس ، جادت متطوعة ، ومشت الى الخيرات
 مسرعة فنفلهم الله أنفالهم ، ووعدهم بالنصر ، فأوفى لهم .

فتلقوا رحمكم الله هذه النعم بالشكر ، كما تلقينا ، وقولوا
 الحمد لله رب العالمين على نعم أصبحنا فيها ، وأمسينا ، والله
 يصلها بالتأييد ، ويتبعها بالتوفيق والتسديد ، والسلام .

ولما قضى الله بهذا الفتح الجليل ، والصنع الجميل ، أقام
 المسلمون في جمع أسلابهم ، وضم عددهم مدة أيام . فامتألت
 أيديهم بالغنائم الوافرة ، والسبي الكثير ، واكتسبت الناس فيها

29 - اي بدروعهم .

30 - انظر سورة الزمر : 69 .

31 - انظر سورة المجادلة : 12 - 13 .

من آلات الحروب ، والاموال ، وسيوف الحلى ، ومناطق الذهب والفضة ما أغناهم .

وكان يوما لم يسمع بمثله من يوم اليرموك والقادسية ، فياله من فتح ما كان أعظمه ، ويوم كبير ما كان أكرمه ، فيوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلاقتها ، وعادت ظلمة الحق الى اشراقها ، نفست مخنق الجزيرة بعض التنفس ، واعتز بها رؤساء الاندلس ، فجزى الله أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبا يعقوب يوسف ابن تاشفين ، أفضل الجزاء ، بما بل من أرماق ، ونفس من خناق ، وصل لنصر هذه الجزيرة من جبل ، وتجشم الى تلبية دعائها ، واستبقاء ذمائها (32) ، من حزن وسهل ، حتى هزم على يده أعداء الله المشركون ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

قال محمد بن الخلف : ولما فرغ من وقعة الزلاقة ، وانصرف أهل الاندلس الى بلادهم ، ورد عليه خطب أوجعه ، ونبا أفجعه ، بموت ابنه أبى بكر سير ، فتعجل اياه من العدو ، وصدره ، وقد قضى فى عدو الملة وطره .

هذا هو تلخيص الخبر عن جوازه الاول الى الاندلس .

الجواز الثانى

كان جوازه الثانى سنة احدى وثمانين وأربعمائة . سببه :

حدث الوزير أبوبكر بن عقاب قال : لما كان بعد وقعة الزلاقة

بسنين ، وفدت على أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين بحصرة
مراكش جملة من وجوه الاندلس من أهل : بلنسية (33) ،
ومرسية (34) ، ولورقة (35) ، وبسطة (36) ، فشكوا اليه ما حل
بأهل بلنسية من شأن الكنييطور ، وكان من ملوك الروم ، قد
لازم حصارها سبع سنين (37) ، حتى دخلها ، وشكوا له ما حل
بأهل مرسية ، وأعمال لورقة وبسطة من شأن لييط ، وهو حصن
حصين على رأس جبل شاهق ، بينه وبين لورقة نصف يوم ، يملكه
العدو ، وكانت سراياه تغير شرقا وغربا ، اذ كان في موسطة بلاد
المسلمين ، فلم يزل وجوه الاندلس ، من تلك البلاد ، يترددون
اليه بالشكوى ، حتى وعد بالجواز اليهم ، اذا تمكن الفصل (38) .
ثم ان ابن عباد تحرك من اشبيلية في خاصته ، وجاز البحر

33 — Valencia ، مدينة كانت من قواعد شرقي الاندلس ، هي الآن على
البحر الابيض المتوسط ، بينها وبين مدريد 356 كم . صلتها وثيقة
بالجزائر الشرقية — ابيليار — انظر الروض المعطار . الحلال
السندسية : 109/1 . مجلة البنية — السنة الاولى 1962 ، العدد
الثالث : 24 .

34 — Murcia ، مدينة على نهر شقورة ، كانت قاعدة كورة تدمير ، بناها
الامير عبد الرحمن الثاني الاموي ، وكانت ذات شأن كبير ، حتى
كاد اسمها ينسى اسم تدمير . انظر الروض المعطار . الحلال
السندسية : 114/1 . مجلة البنية — العدد الثالث : 31 .

35 — Lorca ، كانت من بلاد تدمير ، وصفت بالحصانة ، وتبعد عن
مرسية بأربعين ميلا . الروض المعطار . الحلال السندسية :
117/1 — 118 . مجلة البنية : 30 .

36 — Baza ، تقع شمال شرق غرناطة ، وتبعد عنها بنحو 125 كم وعن
مدينة وادي آش بنحو 48 كم شرقا . معيار الاختيار للسان
الدين ابن الخطيب — ط . الرباط 1977 : 60 . الروض المعطار .
الحلال السندسية : 126/1 — 127 . مجلة البنية : 24 .

37 — في ك : حاصر بلنسية سبع سنين . وفي د : حاصرها سبع سنين .

38 — اى اذا تمكن الفصال بيننا ، وابرم العقد على اتفاق كامل .

الى يوسف بن تاشفين ، فتلقاه بالمعمورة (39) على حلق وادى سبو ، وقابله بالسلام والترحيب ، بوجه طلق ، وصدر رحب ، واكرام جم ، وقال له : ما السبب الذى دعاك الى الجواز الينا ، وهلا كتبت بحاجتك ، فقال له : جئتك احتسابا وجهادا ، وانتصارا للدين ، وقد أجرى الله الخير على يديك ، وحظك مما جئت به الحظ الاوفر ، وقد اشتد ضرر النصارى المستولين على حصن لبيط ، وعظم أذاه بالمسلمين ، لتوسطه فى بلادهم ، ولا جهاد أعظم منه أجرا ، ولا أثقل فى الميزان وزنا ، فتلقى أمير المسلمين مقصدة بالقبول ، ووعدده بالحركة والجواز ، فاستحثه ، واستوثق منه ، وصدر الى حضرة اشبيلية ، وتقدم الى كل طبقة من أهل مملكته بالاستعداد ، وأكثر أعمال السهام والمطارد ، وعمل العرادات ، وغير ذلك من الآلات .

ولما رتب أشغاله ، ومهد أحواله ، وكمل من ذلك مراده ، اتصل به قحوم أمير المسلمين ، وجوازه البحر ، واستقراره بالجزيرة الخضراء ، فتلقاه ابن عباد على عادته بما يقدر عليه من الكرامات والمبرة ، وأنفذ أمير المسلمين كتبه للوك الاندلس يستدعيهم للجهاد معه ، والموعد حصن لبيط ، فاجتاز على مالقة ، واستنفر صاحبها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس ، وتلاحق

39 — فى ط . علوش : بالداخلة ، وفى ك : بالمذخلة ، وفى د : بالرحلة ، وفى هـ : بالحلة ، وكله تصحيف صوابه ما اثبتناه عن ابن أبى زرع فى روض القرطاس — ط . الرباط 1973 : 152 حيث جاء : « فلقيه بالمعمورة من حلق وادى سبو » ونقل الناصرى فى الاستقصا : 51/2 عبارة القرطاس ، واضاف عليها : وهذه المعمورة هى المسماة اليوم « المهدية » ؛ من الاهداء وليس من البداية او المهدوية .

به أخوه المظفر عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة ، والمعتصم بن صمادح من المرية ، وتوافى رؤساء الاندلس من شقورة (40) ، وبسطة ، وجيان (41) ، ومن كل مكان ، وجاءهم من مرسية النجارون والبنائون والحدادون واضطربت المحلة محدقة (42) بحصن لبيط ، وكان بداخله من الروم ألف فارس ، واثنان عشر ألف راجل ، واتصلت الحروب ، وكثر الوارد ، وتمادى القتال على الحصن ليلا ونهارا مدة شهر (43) ، وكل أمير من أمراء الاندلس ، يقاتل في يوم ، بخيله ورجله ، مداولة بينهم .

واجتمع المعتمد ابن عباد ، ويوسف بن تاشفين ، وظهر لهما من حصانته ومنعته ، واستعصامه ما آيسهم عنه ، وأنه لو كان دون سور لكان شفا جرفه عاصما لمن فيه ، وأنه لا يتأتى لهم أخذه الا بالمطاوله ، وقطع مادة القوت عنهم ، وكان من جملة من وصل من رؤساء الاندلس ابن رشيق ، صاحب مرسية ، الثائر بها على المعتمد ابن عباد ، فشكا ابن عباد بابن رشيق لأمر المسلمين ، وذكر انتزاعه عليه ، وأنه دفع جبايتها مصانعة للطاغية أذفنش ، فحضر ابن رشيق ، واستفتى يوسف بن تاشفين

40 — Segura — مدينة من أعمال جيان ، وهى حصن عامر فى رأس جبل يخرج من أسفله نهران ، أحدهما نهر قرطبة ،سمى بالنهر الكبير ، والناى هو النهر الأبيض الذى يمر بمرسية .
الروض المعطار . الحل السندسية : 116/1 .

41 — Jaen — مدينة فى سفح جبل عال ، بينها وبين غرناطة 97 كم ، وكانت قاعدة كورة البشارات التى كانت تشتمل على ما يقرب من ستمائة قرية . الروض المعطار . الحل السندسية : 127/1 .
128 مجلة البيئة : 26 .

42 — فى د : محلقة .

43 — فى د : مدة اشهر .

في أمرهما الفقهاء ، فوجب الحكم على ابن رشيق ، فأمر يوسف بن تاشفين بالقبض عليه ، وإسلامه في يد ابن عباد ، ونهاه عن قتله ، فثقفه ابن عباد ، فهرب للحين أصحاب ابن رشيق وقرابته ، وجميع محلته الى مرسية ، وانتزوا بها ، ومنعوا الميرة عن المحلة ، فاختلفت أمورها ، ووقع الغلاء بها ، وارتفع السعر فيها ، فضاقت بالناس الأحوال .

وفي أثناء ذلك استصرخ أهل الحصن سلطانهم ، فأخذ في الحشد ، ويمم الحصن في أمم لا تحصي ، فاقتضى رأى يوسف بن تاشفين التوسعة على الحصن والتأهب للقائه ، فتأخر بمحلته الى برشانة (44) وهى موضع الماء والتمر ، وظهر له أن الاذفنش اذا وصل ، فغايبته تخليص قومه ، وإخلاء الحصن ، ويـزول ضرره ، ورأى أن الصواب إخلاء الطريق له .

ولما وصله اللعين وجد قوما جياعا ، لا يقدرّون على إمساك الحصن ، فأحرقه ، وأخرج من كان فيه من قومه ، وجرد يوسف بن تاشفين من عسكره جيـثا ينيف على أربعة آلاف فارس ، وبعثه الى بلنسية ، وأردف بعده عسكرا عظيما قدم عليه محمد بن تاشفين الى جهة بلنسية ، وانصرف من هناك الى العدو ، فتحرك الجميع بحركته وعادوا الى بلادهم ، وهذا هو تلخيص خبر جواره الثانى الى الاندلس .

44 — في ط . علوش : تربية ، وكذا في ك ، وفي د : ترساية ، وفي هـ : ترسالة ، ويبدو أن هذا كله تصحيف صوابه ما أثبتنا و purchana كانت من المدن المزدهرة أيام العرب ، واقعة على نهر المنصورة وبيننا وبين بسطة 48 كم . معيار الاختيار : 59 الروض المعطار . الطلل السندسية : 75/1 . مجلة البينة : 22

الجواز الثالث

كان جوازه الثالث فى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة — سببه :
أنه لما كان على حصن لبيط نقل اليه كلام عن ملوك الاندلس ،
أحفظه وأوغر صدره عليهم ، وهو الذى أزعه الى العدو .

ولما تبين لهم تغييره عليهم ، واعراضه عنهم ، نظر كل واحد
منهم لنفسه بغاية عزمه ، فأول من جهر بذلك وتظاهر به ، وجد
فيه المظفر عبد الله بن بلقين بن باديس ، واتصلت أنباؤه بيوسف
بن تاشفين ، فاشتد غضبه ، وزاد حرجه عليه .

ولما احتل بالجزيرة الخضراء ، وافاه المعتمد ابن عباد ،
فغلقاه بعادته من التعظيم ، واحتفل فى التضييف والتكريم .

وتوالت عليه الاخبار من الامير عبد الله بن بلقين بما يغيظه
ويحقده ، فاستنزل من مالقة أخاه المستنصر تميم بن بلقين ،
وتوجه الى غرناطة ، فلقية المظفر عبد الله بن بلقين خارج
الحضرة ، فسلم عليه ، وترجل اليه ، ودخل معه البلد ، وسلم اليه
الأمر ، وأقام ينظر فى توطيد البلد ، وتمهيد الامور ، ثم احتمله
هو وأخاه المستنصر تميما الى العدو ، وأسكنهما بأغمات ، وقد
استوفى الكلام فى هذا الامير عبد الله بن بلقين فى الكتاب الذى
ألفه فى دولة قومه (45) .

وكان المعتمد ابن عباد ، والمتوكل ابن الافطس ، قد قدما
عليه بغرناطة ، يهنئانه بما تهيأ له من

45 — نشر هذا الكتاب لى بروفنسال فى القاهرة — دار المعارف —
باسم مذكرات الامير عبد الله . سنة 1955 م

ملك غرناطة ومالقة ، فلم يقبل عليهما ، وأعرض عنهما ، وانصرفا عنه الى بلادهما ، وأدرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين الى الاندلس ، وقال لحليفه المتوكل ابن الاغطس : والله لأبد له أن ييسقينا من الكأس التي سقى بها عبد الله بن بلقين .

ولما عاد ابن عباد الى اشبيلية ، أخذ في بناء الاسوار ، وعمل القنطرة ، فقال له ابنه أبو الحسن عبيد الله الرشيد : ألم أقل لك يا أبت : يخرجنا هذا الصحراوي من بلادنا ، ان أنت أوردته علينا ؟ ! قال : يا بني لا ينجى حذر من قسدر .

ولما كان في سنة أربع وثمانين هـ ، بعثت يونس بن تاشفين الى سبتة ، لجواز عساكره للمتونة الى الاندلس لمنازلة ملوك الطوائف ، وحصارهم في بلادهم ، وفي أثناء مقامه بها ، أمر ببناء المسجد الجامع بسبتة ، والزيادة فيه ، فزاد فيه حتى أشرف على البحر ، وبنى البلاط الاعظم منه ، وأمر ببناء سور الميناء السفلى ، وشرع في تجويزهم ، فقدم ابن عمه الامير سير بن أبي بكر على عسكر ، وأمره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية ، وأوعز اليه أنه اذا فرغ من شأنه يتقدم لبلاد المتوكل ابن الاغطس ، لشبونة وشنترين وغير ذلك مما كان بيده .

وقدم أبا عبد الله بن الحاج على عسكر ثان ، وأمره بمنازلة الفتح ، الملقب بالمأمون ، ولد المعتمد ابن عباد بقرطبة .

وقدم أبا زكريا بن واسينو على عسكر ثالث ، وأمره بمحاصرة المعتصم محمد بن معن بن حماد بالمرية .

وقدم جؤذر (46) الحشمى (47) على عسكر رابع ، وأمره بمنازلة يزيد الراضى ، ولد المعتمد ابن عباد برنده (48) .

فجوز العساكر ، وانصرف كل فريق الى حيث أمرهم ، وأقام هو بسبقة مترقبا لأنبائهم . ومتشوقا لما يحدث عنهم ، فكان منهم بالاندلس ما هو مشهور ، من الاستيلاء على بلادهم ، والغلبة على ممالكهم ، ليس هذا موضع التقصى لأخباره ، لما قصد من ايجاز القول واختصاره ، ولم يبق بالاندلس ولاية ، الا ولاية بنى هود ، لان المستعين بالله أبا جعفر أحمد بن المؤتمن بالله أبى الحجاج يوسف بن المقتدر بالله أبى جعفر بن المستعين بالله سليمان بن محمد بن هود الجذامى ، أقام ببلادته بشرق الاندلس ، وكان يومئذ بيده عمالة الثغر الأعلى ، وهى سرقسطة (48) ، وتطيلة (49) ، وقلعة أيوب (50) ،

46 — فى د + ك : جدور .

47 — فى ك : الهاشمى .

48 — Ronda — مدينة واقعة الى الغرب من مالقة حيث تبعد عنها بنحو 96 كم ، وهى تبعد عن جبل طارق 108 كم ، وهى فى شماله ، فقد كانت من أقدم بلدان الاندلس ، وأشهر مدن مملكة غرناطة . معيار الاختيار : 67 . الحل السندسية : 219/1 . البينة : 27 .

48 — Saragosa — هى الآن من أشهر مدن اسبانية . انظرها فى الروض المعطار . الحل السندسية : 78/1 — 79 ، 106 .

49 — Tudela — مدينة واقعة على وادى ابرة ، تبعد عن سرقسطة بنحو 82 كم . الروض المعطار . الحل السندسية : 79/1 . البينة : 25 .

50 — Calatayud — مدينة تقع الى الشمال الشرقى من مدريد ، وتبعد عن سرقسطة بنحو 87 كم . الروض المعطار . الحل السندسية : 104/1 — 105 . البينة : 33 .

ودروقة (51) ، ووشقة (52) ، وبربشتر (53) ،
ولاردة (54) ، وأفراغة (55) ، وبلقى ؟ ، ومدينة سالم (56) ،
ووادى الحجارة (57) ، وما والى ذلك كله ، فحصن بلاده ،
وملك زمام رعيته ، فخيف أمره ، ولم تدخل عليه بسبب (ذلك)
داخلة ، وكان مع ذلك يهادى أمير المسلمين ، ويكاتبه ، وقال له
فى مكاتبته :

نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل اليكم منه ضرر ، ومنا
عين تطرف ، وقد قنعنا بمسالمتكم ، فاقنعوا منا بها ، الى ما نعينكم
به من نفيس الذخائر ، ووجه اليه ابنه عماد الدولة أبا مروان
عبد الملك .

51 — Daroca — احدى مدن شمال الاندلس ، تبعد عن قلعة ايوب
بنحو 35 كم . الروض المعطار . الحال السندسية : 27 . البينة :

27 .
52 — Huesca — كانت مدينة حصينة ، بينها وبين سرقسطة خمسون
ميلا ، وتقع الى الشرق منها . الروض المعطار . الحال السندسية :

106/1 ، 207 .
53 — Barbastra — عدها الحميرى فى روضه من امهات مدن الثغر الاعلى .

54 — Lerida — من مدن كتلونيه المهمه ، تقع الى الشرق من مدينة
وشقة ، تبعد عن سرقسطة بنحو 160 كم ، وعن برشلونه بنحو
144 كم . الروض المعطار . الحال السندسية : 106/1 — 107 .
البينة : 29 .

55 — Fraguas — تقع الى الغرب من لاردة ، بينها ثمانية عشر ميلا .
الحال السندسية : 1 — 106

56 — Medina celi — هى اليوم مدينة صغيرة بينها وبين مدريد 152 كم فى
الشمال الشرقى 10 الروض المعطار — مادة وادى الحجارة — الحال
السندسية : 104/1 — 105 . البينة : 31 .

57 — Rio Henares شهر اولاً باسم مدينة الفرج Guadalajara القائمة
عليه ، نسبة الى احد رؤساء البرابرة واسمه فرج المصمودى ،
لكن غلب عليها من بعد اسم وادى الحجارة ، وهو الاسم الذى
بقى لها الى الآن ، بينها وبين مدريد 57 كم . الروض المعطار
الحال السندسية : 103/1 . البينة : 31 .

فأجابه يوسف بن تاشفين الى ما أراده ، وكان مما جاوبه به ما نصه :

من أمير المسلمين ، وناصر الدين يوسف بن تاشفين ، الى المستعين بالله أحمد بن هود ، أدام الله تأييده ، من حضرة مراكش ، حيث تتلى آيات شرفك ، ومآثر سلفك ، ونحن نحمد الله بجميع المحامد ، ونستهديه أحسن الموارد ، ونسأله أتم الفوائد ، وأنجح المقاصد ، ونصلى على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صفوة أوليائه ، وخاتم أنبيائه ، وأما الذى عندنا - أيدك الله - لجانبك الكريم ، وبحرك الطامى ، ومجدك الصميم ، ومحلك المعلوم فود صريح ، وعقد - فى ذات الله تعالى - صحيح ، ووردنا نشأة السيادة والنبل والنباهة والفضل ، أبو مروان عبد الملك ، ابنك ولادة وتنسبا ، وابننا ودادا وتقربا ، زاد الله به عينك قررة ، ونفسك مسرة ، ومعه خاصتك الوزيران : أبو الاصبح ، وأبو عامر ، أكرمهما الله بتقواه ، وكلا وفينا حق نصابه ، وآتيناه بره من بابيه ، وأديا الينا كتابك الجليل الخطير المقبول المبرور ، فوقفنا منه على وجه شخوصهما ، وأصغينا فى تفصيل جملة الى تخليصهما ، فألقينا اليهما مراجعة فى ذلك ما لقنوه ، وسفرنا لهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه ، وجملته الوفاق ، وجماعه الانتظام فى سلك ما يرضى الله تعالى والاتساق ، ان شاء الله تعالى ، والسلام .

فأقام ابن هود رضى البال ، يهدد النصارى بالمسلمين ، ويهدد المسلمين بالروم ، لكونه حائلا بينهم وبين بلاد الافرنج ،

والاردمانيين (58) ، وقد كان الاغرنج قبل ذلك بـعوم قريية العهد خرجوا من الارض الكبيرة (59) الى الاندلس . فى جموع كثيرة ليس لها حد ، ولا يحصى لها عد ، فانتشروا على ثغور سرقسطة ، وأثخنوا وقتلوا وسبوا ، وتغلبوا على مدينة بربرستر غنوة ، وقتلوا فيها نحو أربعين ألفاً ما بين فارس وراجل ، وسبوا النساء والاولاد ، فاسترجعها من أيديهم المقتدر بالله ابن هود ، ودخل عليهم غنوة ، ولم ينج من أهلها الا يسير ، ويذكر أنه تألف عند المقتدر فى استفتاحها آلاف من الرماة بالقصى العتارة (60) .

قال البكرى : دخل منها سرقسطة نحو خمس آلاف سبية ، ومن الخيل والدروع ما لا يحصى ، فشاع لابن هود بهذا الفتح الذى اتفق على يده صيت بعيد (61) .

وكان يتحف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين . ويهاديه مما تحصل بيده من نفيس الذخائر واليوافيت (62) . والجواهر ، ورفيع الدنانير ، تصير اليه ذلك من اقبال الدولة ، أبى الحسن ، على بن الموفق بالله ، أبى الحسين على بن مجاهد العامرى ، صاحب دانية ، وأعمالها ، ظفر بها لما تغلب على دانية ، وأخرجه عنها .

58 — اى النورمانديين .

59 — اى من فرنسة .

60 — نوع من الاقواس الكبيرة ، التى شاع استخدامها فى الغرب ، وتميزت ببعد مداها ، وكانت تستخدم فى وضعية الجثو ، من قبل جنود اقوياء البنية .

61 — انظر قسم الاندلس واورية من جغرافية البكرى — ط . بيروت :

92 — 95 ولزید من التفاصيل . انظر الرونى المطار — مادة

بربرستر — .

62 — فى ك : والياتوت .

واتصل اليها على بن مجاهد من الشام ، ذلك أن الشام كانت بها مجاعة كبيرة ، ومسغبة شديدة ، وكانت دانية وشرق الاندلس كثيرة الخصب (63) . فبعث ابن الموفق من دانية الى الشام ، مركبا محشوا بالزرع (64) ، فعاد اليه مملوءا ياقوتسا وجوهرا ودنانير ، فلما تغلب المقتدر على عمالة ابن الموفق ، تحصل بيده ما ذكر ، واستولى عليه ، فتحصل عنده من ذلك ما لم يكن عند غيره من ملوك الاندلس ، وهذا هو تلخيص الخبر في الجواز الثالث الى الاندلس بحول الله وقوته .

الجواز الرابع

كان جوازه الرابع اليها سنة ست وتسعين وأربعمائة ، برسم التجول في الاندلس ، والنظر في مصالحها ، وكان معه ابنه الاميران . أبو طاهر تميم ، وأبو الحسن على ، المتولى بعده ، وكان أبو الحسن على أصغر سنا ، فقال فيه أحد الشعراء الاندلسيين كلاما نبه فيه على مجده وشرفه :

وان كان في الاسنان يحسب ثانيا

على ففى العلياء يحسب أولا

- 63 — في ك : فكان يبعث الى الشام بسفن مشحونة بالزرع ، فتعود اليه بكل ذخيرة ، وتحف خطيرة ، فتحصل له عنده من ذلك ما لم . . . » ويبدو ان هذا حدث عندما كانت بلاد الشام ، خاصة قسمها الجنوبي ، تعيش تحت وطأة هجرة التركمان ، والفتح السنجوقي ، ولتفاصيل ذلك ، انظر كتاب مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية — ط . ثانية — تأليف د . سهيل زكار ، ص : 65 — 220 .
- 64 — أى بأنواع الحبوب من قمح وسواه ، وهذا اصطلاح ساد في الغرب الاسلامي .

كذلكم الايدى سواء بنائها

وتختص فيهن الخناصر بالحلا

ولما جال في بلادها ، وتطوف على أقطارها ، شبهها بعقاب
رأسه طليطلة ، ومنقاره قلعة رباح ، وصدره جيان ، ومخالبه
غرناطة ، وجناحه الايمن بلاد الغرب ، وجناحه الايسر بلاد
الشرق .

قال كاتب هذا : ومن كيفية وضع هذه البلاد ، وتمثلها في
الصقر يبدو بيان هذا التشبيه الذي هو راجع الى سياسة أمرها ،
ومبنى على اختبار حالها .

ولما كان في سنة ست (65) وتسعين وأربعمائة ولى عهده
لابنه الامير أبى الحسن ، وكتب عنه ولاية العهد لابنه المذكور
الوزير الفقيه أبو محمد بن عبد الغفور (66) ، وكان رحمه الله
علم بلاغة به يهتدى ، وامام شرف قدمه العلم والندى ، وعاصب
مجد هو الغاية والهدى ، ونص العهد :

الحمد لله الذى رحم عباده بالاستخلاف ، وجعل الامامة
سبب الائتلاف ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم ،
الذى ألف القلوب لمتنافرة ، وأذل لتواضعه عزة الملوك الجبابرة .
أما بعد فان أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبا يعقوب يوسف بن
تاشفين ، لما استترعاه الله على كثير من عباده المؤمنين ، خاف أن

65 — فى الاصيل : خمس ، وهو خطأ صوابه ما اثبتناه من خلال سياق
الخبر ، ومن القرطاس : 156 ، ويلاحظ انه الم هنا بجميع الاصول
الخطية اضطراب شديد ، ووقع فيها سقط ، وتقديم وتأخير فى سياق
الروايات .

66 — هو من رجال قلائد العتيان ، انظر ص : 182 من ط . باريس .

يبأله الله غدا عما استرعاه : كيف تركه هملا لم يستتب فيه
سواه ، وقد أمر الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة ، وجعلها
من أوكد الأشياء الكريمة ، كيف وفى عظامم الأمور ، ومصلحة
الخواص والجمهور .

وان أمير المسلمين بما لزمه من هذه الوظيفة ، وخصه الله
به من النظر فى هذه الأمور الدينية الشريفة ، قد ماز عوالى
رماحه (67) ، وأحد سلاحه ، فوجد ابنه الأمير الاجل أبا الحسن
أكثرها ارتياحا الى المعالى واهتزازا ، وأكرمها سجية ، وأنفسها
اعتزازا ، فاستنابه فيما استرعى ، ودعاه لما كان اليه دعى ،
بعد استشارة أهل الرأى على القرب والنأى ، فرضوه لما رضىه ،
واصطفوه لما اصطفاه ، ورأوه أهلا أن يسترعى فيما استرعاه ،
فأحضره مشترطا عليه الشروط الجامعة ، بينها وبين المشروط ،
فقبل ورضى ، وأجاب حين دعى بعد استخارة الله الذى بيده
الخيرة والاستعانة بحول الله ، الذى من آمن به شكره (68) .

وبعد ذلك مواعظ ووصية بلغت من النصيحة مرامى قصية ،
يقول فى خاتمة شروطها ، ووثيق ربوطها : « كتب شهادته على
على النائب والمستنيب ، من رضى امامتهما على البعيد والقريب ،

67 — استعار الكاتب الفكرة من خطبة الحجاج المشهورة ، ومن الملاحظ
ان جميع الاصول الخطية ، قد صفحات هذه الفقرة بشكل كبير ، لكن
احتفاظ بعض النسخ برسم للكلمات قريب مكن من التصحيح .

68 — اورد ابن الخطيب فى الاحاطة : 518/2 نما آخر لولاية العهد ،
كتبه محمد بن سليمان — المعروف بابن القصيرة — بقرطبة وهو مؤرخ
بذى الحجة سنة 496 هـ ، ويمكن القول — نظرا للاختلاف فى
البقعة والتاريخ ، والكاتب ، جاء هذا الثانى تأكيدا للاول .

وعلم علما يقينيا بأوصاف هذا الترتيب « بحضرة مراكش عام خمس وتسعين وأربعمائة .

وكان من الشروط في تقديمه للعهد التي اشترطها عليه أبوه ترتيب سبعة عشر ألف فارس بالاندلس ، موزعة على أقطار معلومة ، يكون منها باشبيلية سبعة آلاف فارس ، وبقرطبة ألف فارس ، وبغرناطة ألف فارس ، وفي الشرق أربعة آلاف فارس ، وباقي العدد على ثغور المسلمين للذب والمراقبة في الحصون المصابقة للعدو (69) .

وفي جوازه هذا أعمل السير على مدينة اليسانة (70) ، وهي مدينة منيعة ، سورها من أعظم الاسوار ، انفرد بسكنائها اليهود ، وكان سبب اجتيازه عليها ، أن رجلا من فقهاء قرطبة ، وجد مجلدا من تأليف ابن مسرة الجبلى القرطبي ، أخرج فيه حديثا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم : أن اليهود ألزمت نفسها أنها اذا جاءت الخمسمائة عام من بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجئهم نبي منهم على ما زعموا ، فان الاسلام لازم لهم ، لانهم وجدوا في التوراة قول الله تعالى لموسى عليه السلام : ان النبي الرسول الذي معناه محمد ، لابد من ظهور الحق على يده ، ونوره متصل باتصال الساعة ، فزعمت اليهود

69 — في د : الملائكة .

70 — Lucina — مدينة تبعد عن قرطبة اربعين ميلا ، كان يسكن في جوفها اليهود ، وفي ريفها بعض المسلمين ، وفي حين لم يكن على الريف سور ، كانت المدينة متحصنة بسور قوى ، ويطوف بها من كل ناحية خفير عميق القعر ، وكان يهودها اكثر ثروة من سائر يهود الاندلس . الحلل السندسية : 74/1 ، 131 — 132 .

أنه منهم ، وأنه ان لم يجيء الى رأس الخمسمائة عام ، والا فهو هذا .

فرفع هذا الفقيه القرطبي الامر الى أمير المسلمين ، فاجتاز الى مدينتهم ليرى ما يصنع فيهم ، فيذكر أنه استخاص منهم جملة مال بسبب ذلك . وأن قاضى الجماعة أبا عبد الله محمد بن على بن حمد بن التغلبى أجرى مسألتهم معه ، على وجه تركهم ، ففعل .

ومما ينظر الى قريب من هذا المعنى ، ما حكى عن أحد عمال البحرين ، أنه لما وليها ، جمع اليهود فى سائر عمالته ، فقال لهم : ما تقولون فى عيسى ابن مريم ، فقالوا : قتلناه وصلبناه ، قال : فأديتم ديته ؟ قالوا : لا والله ، فقال والله لا تخرجون حتى تؤدوا ديته ، فأغرمهم عشرة آلاف دينار ، وهذا الذى بلغنا من خبرهم ، واقتضاء أمرهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما .

والى هنا انتهى جوازه الرابع .

وأشير الى شىء من سيرته ، وأورد على جهة الاختصار نبذة من خبره ، ثم أعود الى التعريف بذكر ولده وولى عهده ، وما جرى من الحوادث من بعده ، ومساق طرف من أحوال مراكش وأخبارها ، فى مدة حصارها ، ان شاء الله .

سيرة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين

كان رجلا فاضلا ، خيرا ، زكيا ، فطنا . حاذقا ، نبيا ،

زاهدا ، يأكل من عمل يده ، عزيز النفس ، ينيب الى الخير
والصلاح ، كثير الخوف من الله عز وجل ، وكان أكبر عقابه
الاعتقال الضويل ، وكان يفضل الفقهاء ، ويعظم العلماء ، ويصرف
الامور اليهم ، ويأخذ فيها برأيهم ، ويتقضى على نفسه بفتياهم .

أقامت بلاد الاندلس فى مدته سعيدة حميدة ، فى رفاهية
عيش ، وعلى أحسن حال ، لم تزل موفورة محفوظة الى حين
وفاته رحمه الله ، وكان الجهاد انقطع بها منذ تسع وسبعين سنة ،
من مدة آل عامر الى حين دخوله اليها ، قدم أشياخ المرابطين
فيها ، وكانوا أقواما ربّتهم الصحراء ، نيتهم سالحة لم تفسدها
الحضارة ، ولا مخالطة الاسافل .

قال ابن اليسع : وكان ترتيبهم فى الاندلس ، أنهم لم يزيّدوا
فارسا على خمسة دنائير للشهر شيئا ، مع نفقته وعلف فرسه ،
فمن ظهرت نجدته واعانته وشجاعته ، أكرموا بولاية موضع
ينتفع بفوائده ، وتركوا الثغور المواجهة لبلاد العدو فى حكم
الاندلسيين ، لكونهم أخبر بأحوالها ، وأدرى بقاء العدو وثن
الغارات ، ولم يمكنوا من ولايتها أحدا سواهم ، مع الاحسان
اليهم ، وكانوا متى ما وصلتهم خيل من العدو ، بعثوا بها الى أهل
الثغور .

فلما قربت وفاته ، أوصى ابنه وولى العهد بعده أبا الحسن
عليا بثلاث وصايا : الوصية الاولى : ألا يهيج أهل جبل درن (71) ،

ومن من ورائه من المصامدة وأهل القبلة (72) ، الثانية : أن يهاذن بنى هود بالاندلس ، وأن يتركيم حائلين بينه وبين الروم ، الثالثة : أن يقبل من محسن أهل قرطبة . ويتجاوز عن مسيئهم .

وقدمات في مستهل شهر محرم (73) سنة خمسمائة ، ودفن بقصره بخضرة مراکش، وحضر موته ابناد : الامير أبو الطاهر تميم، وأبو الحسن على ، مع من حضر من عترته الصنهاجية ، وأسرتة اللمتونية ، قبض وهو على أوله في العذل والجد في نصر الدين ، واطهار الكلمة وعضد الاسلام ، رحمة الله عليه .

قال محمد بن الخلف في البيان الواضح : ومما سلى النفوس كل التسلية ، وأطفأ نار الرزية ، ما كان من نظره الجميل ، ورأيه الاصيل ، من تولية الامر في حياته لابنه الامير أبى الحسن ، ذى العقل الرصين ، والرأى الحسن ، قدس الله روحهما ، وبرد ضريحهما .

72 - أى اهل جنوب الغرب ، وهو اصطلاح شامى ، جلب الى المغرب وطبق فيه ، ذلك ان قبلة اهل الشام الى الجنوب .

73 - فى ك : شهر ربيع الاول .

أمير المسلمين على بن يوسف

كنيته : أبو الحسن .

بنوه : تاشفين المولى بعده ، وأبوبكر ويدعى بيكور ، وكان ذا حدة ونجدة ، سجنه أبوه مكبولا بالجزيرة الخضراء ، الى أن مات والده ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وأبو حفص عمر الكبير ، وابراهيم الذي حج ، واسحاق ، وتميم الذي ثار على ابن أخيه ابراهيم ، وقتل في أوانه ، وداود ، وعمر الصغير ، وهو أصغرهم سنا ، أمه رومية ، تسمى برياض الحسن .

ووزراؤه : ينتيان بن عمر ، ثم بعد ذلك في آخر مدته استوزر اسحاق بن ينتيان بن عمر بن ينتيان .

ولما بلغ سنة الثامنة عشرة ، وكان يتوقد ذكاءا ونبلا وفهما ، فأعجب به (أبوه) اعجابا كثيرا ، وجعل له النظر في المظالم والشكايات ، فانتفع به الناس في جميع أمورهم ، وكافة شؤونهم ، وكان في طبعه ومولده مثل كاهن ، يأتي بعجائب الاخبار .

ولما ولي على بن يوسف بعد أبيه اضطلع بالامور أحسن الاضطلاع ، وقام أحمد قياماً ، وكان يقصد مقاصد العز في طرق المعالي ، ويحب الاشراف ، ويقلد العلماء ، ويؤثر الفضلاء ، وكان كثير الصدقة ، عظيم البر ، جزيل الصلة ، وألبسه الله المهابة ، وقذف له في القلوب المحبة ، فاجتمعت عليه الامة ، واتفقت الكلمة ، وبايعه أخوه الامير أبو الطاهر تميم ، وكان أكبر سنا منه ، وهو أول من استعمل الروم بالمغرب ، وأركبهم

وقدمهم على جباية المغارم ، وكان زكيا فقيها ، مكرما لاهل العلم ،
يقتد الامور الفقهاء .

وغزا بنفسه بلاد الروم ، فخلا بسببه كثير من أحواز
طليطلة ، وحاصر مدينة طليطلة (75) وجاز الى الاندلس في مدته
ومدة أبيه ، فانه جاز اليها في خلافته (75) أربع مرات .

الجواز الاول

كان جوازه الاول سنة خمسمائة ، لما ولى الامر بعد أبيه ،
ليتفقد حال الاندلس ، ولييسد خللها ، فاحتل بالجزيرة الخضراء ،
ويادر اليه قضاة الاندلس وفقهاؤها ، ورؤساؤها ، وزعمائها ،
وأدباؤها ، وشعراؤها فأجزل لهم العطاء (67) : وقضى لكل ذى
أرب أربه .

الجواز الثانى

في سنة ثلاث وخمسمائة برسم الجهاد ، ونصر الملة ،
واعزاز الكلمة ، فقصد طليطلة ، ونزل على بابها ، وحاز المنية
المشهوره بخارجها ، وانتشرت جيوشه على تلك الاقطار ، ودوخ ،
بلاد المشركين ، فلاذوا بالفرار الى المعازل ، واعتصموا بالحصون
المنيعه ، ونزل على طليطلة ، وافنتحها عنوة ، ولم يعهد مثل

74 — Talavera de La Reina ، هى على نهر تاجة في جنوبى غرب مدريد ،
وكانت في غاية الحصانة ، وهى تبعد بنحو 85 كم عن طليطلة . الروضى
المعطار . الحلل السندسية : 104/1 . البينة : 28 .

75 — كذا مجازا ، وكان الاحسن ان يقال : ولايته . او امارته .

76 — في ك + د : العطايا .

الغزوة ، قوة وظهورا ، وعدة ووفورا .

الجواز الثالث

في سنة احدى عشر وخمسمائة ، افتتح فيها مدينة قلمرية (77) ، ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا تحصى ، وكان أثره بها عظيما .

الجواز الرابع

في سنة خمس عشر وخمسمائة للحادث الواقع بقرطبة ، وذلك أن أهل قرطبة كان قدم عليها الامير أبو يحيى بن رواد ، فحدث بينه وبين أهلها ما أوجب قيامهم عليه ، وحدث بين أهلها وبين من كان غيبا من المرابطين فتنة كبيرة ، ونهبوا دورهم وقصورهم ، فبلغ ذلك على بن يوسف بن تاشفين ، فجند الجنود ، وحشد صنهاجة ، وزناته ، والمصامدة ، وأخلاط البربر ، وجاز الى الاندلس في عسكر حفيظ لم يجتمع مثله للمرابطين قبله ، فاحتل بخارج قرطبة ، فغلقوا أبوابهم ، ودربوا مواضع من حاراتهم ، واستعدوا لقتالهم ، واستفتوا علماءهم فأفتوهم : أنه متى عرض عليه الحق ، وبين له السبب فيما جرى بين المرابطين وأهل قرطبة ، وأنه لم يكن بداءة منهم ، وإنما كان ذبا عن الحرم ، والدماء ، والاموال ، والباديء أظلم ، فان تمادى على اتباع

77 — Coimbra — مدينة في البرتغال ، هي الآن قاعدة إحدى المقاطعات ، وكتبت قبلا عاصمة البرتغال ثم تم التحول عنها الى لشبونة ، وهي في شمالها وتبعد عنها 224 كم . الروض المعطار . الحلل السندسية : 91/1 — 92 . البينة : 33 .

هواه ، والميل مع أغراض المفسدين ، وجب القتال على الحرم ،
والدفاع (78) عن الحوزة ، حتى يراجع الله به .

ولما طال مقامه عليها ، تردد اليه وجود قرطبة وأعيانها ،
وذكروه بوصية أبيه أمير المسلمين : « أن يقبل من محسن أهل
قرطبة ، ويتجاوز عن مسيئهم » ، فوقع الاتفاق على أن يؤدوا
له مالا عوضا عما نهب للمرابطين ، فرضى ورضوا .

وبينما هو في ذلك اذ بلغه ظهور المهدي بالنسوس الأقصى ،
فعاد الى العدو حسبا يأتى ذكره .

وفي سنة اثني عشرة وخمسمائة وصله كتاب من الخليفة
العباسي ببغداد ونصه .

من عبد الله أبي العباس المستظهر بالله ، أمير المؤمنين ،
الى معز الدولة العباسية ، وزعيم جيوشها المغربية ، على بن
يوسف بن تاشفين أحسن الله توفيقه ، أما بعد :

فالحمد لله مقدم على كل مقال ، وتال كـ فعال ، وهو ذو
المن والافضال ، الكبير المتعال ، وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد المؤيد بالتنزيل ، الذي كشف عن الامة الغمة ، واستنقذ
من الضلالة الامة ، وحمى به من المحارم ما كان مباحا ، واقتدح
به من القلوب زنادا أورى بعدما كان شحاحا . وألبس الدين بعد
ما كان بالعراء من البسيطة جناحا ، وعلى أزواجه وذريته ما أعقب
مساء صباحا ، وخص العباس بن عبد المطلب عم النبوة ، ووارث
الخلافة ، وثقيق الابوة ، الميمون ، الظاهر . الطاهر الاوائل

والاواخر بالصلاة المستهلة العهاد ، المتصلة الامداد ، ومواهب
الله على أمير المؤمنين حبائس ، ومنائحه لديه كوامل نفائس ،
وجناب الاسلام مريع ، وباع الحق وسيع ، ورياض العدل أريضة ،
وعيون الحق عريضة ، ونظره للرعايا على ما يقتضيه قصدها
ومرادها ، ويفل عنهم شبا الايام اذا رهف حدها ، والنصر
لرايته (79) الف والظفر لجيوثه حلف ، وأعداؤه للسيوف
حصائد ، وللحتوف طرائد ، وشكره لله تعالى ما أولاه شكر ،
مؤذن بالمزيد ، وشاهد بصنع لا يبيد .

وعرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك ، الموضح لاخلاص
السريرة ، المطبوعة بطبائع الدين ، المعربة عن تمسك بطاعته
بجبل الله المتين ، الهائلة سحائبها من سماء سيرتك ، المضيئة
مصابيحها من اخلاص طريقتك ، واما ما أنهيته من توفير الاجناد ،
ومثابرتك على الجهاد ، لدفع أدناس الكفرة فيما يليك من البلاد ،
فانك وطائفتك من حزب الله « وحزب الله هم الغالبون (80) » ،
فاتخذ التقوى عمادك ، والحق منارك ، وكتاب الله وسنة رسوله
شعارك ، وتجرد للدفاع عن الاسلام والمسلمين ، وحطم صعادك
في نحور أعداء الله الكافرين ، وأعلن بالدعاء لأمير المؤمنين على
على المنابر ، تكن الظاهر بالاعداء ، والظاهر ، والسلام عليك ،
وعلى من قبلك من أهل الطاعة ، سلام يهديهم الى المقام المحمود ،
ويكنفهم بظل الرحمة الممدود ، ورحمة الله تعالى ، وبركاته .

قال : والمكتوب عنه هذا الكتاب هو الخليفة الثامن والعشرون

79 — في ك : الرباطه .

80 — المائدة : 56 .

من خلفاء بنى العباس ، وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله
 بن عبد الله المقتدى بأمر الله « بن الذخيرة محمد » بن أبي
 القاسم القائم بأمر الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن
 الأمير اسحق ، بن الامام المقتدر أبي الفضل جعفر بن الامام
 المتوكل على الله أبي الفضل جعفر ، بن الامام المعتصم بالله أبي
 اسحق محمد ، بن الامام الرشيد بالله أبي جعفر هارون ، بن
 الامام المهدي بالله أبي عبد الله محمد ، بن الامام المنصور بالله
 أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ،
 رضى الله عنهم أجمعين ، ولى الخلافة بعد أبيه ، وبويع له بسر
 من رأى .

وفى خلافته استحوذ الروم على بيت المقدس ، وبعض (81)
 بلاد الشام ، ومكث بأيديهم احدى وتسعين سنة ، الى أن
 استخلصه من أيديهم حفيده الامام الناصر لدين الله أبي العباس
 أحمد بن الامام المستنجد بالله ، أبي المظفر يوسف بن الامام
 المستظهر بالله أبي العباس ، وذلك على يد عامله على مصر ،
 السلطان صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب ، رحمه الله .
 وكان استرجاعه من أيديهم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

قال كاتب هذا : أثرت الى طرف من التعريف بهذا الخليفة
 العباسي المخاطب بالخطاب المرسوم قبل أمير المسلمين على بن
 يوسف بن تاشفين ، فأعود الى ما كنت بسبيله من ايراد الخبر
 المقصود ان شاء تعالى .

81 — في د : واكثر . وفى هذا الخبر اشارة الى قيام الحملة الصليبية
 الاولى ، ودخولها الشام سنة 492 هـ / 1098 م .

ولما كان في سنة عشرين وخمسمائة ، شرع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين في تسوير حضرة مراكش ، وبناء جامعها ومنارها ، وجمع الصناع والفعلة على ذلك ، فجمع كل ما صنع من الدور في مدة ثمانية أشهر ، على عظم ساحتها ، واتساع دورها .

يذكر أنه أنفق في بناء السور وحده سبعين ألف دينار من الذهب ، وكان الذي أشار بتسوير مراكش القاضي أبو الوليد بن رشد (82) ، وسبب تسويرها أنه لما ظهر أمر المهدي ، استفتى فقهاء العدو والاندلس ، منهم قاضي الجماعة بقرطبة أبو الوليد بن رشد ، في بناء سور على موضعه ومنزله ، فأفتوه بالتحصين على نفسه وعلى الناس الساكنين معه .

وكان سبب جوازه الى حضرة مراكش ليتكلم مع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين في حال الاندلس ، ويبين له ما أصيب به المسلمون من النصارى المعاهدين بها ، وما جروه اليها ، وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير ، وتقويته على المسلمين وامداده ، وما في ذلك من نقض العهد ، والخروج عن الذمة .

فتلقاه أمير المسلمين على بن يوسف بالبرية والكرامة ، وتلقى قصده بالقبول ، واستفتاه فأفتاه بتغريبهم واجلائهم عن أوطانهم ، وهو أخف ما يؤخذ به في عقابهم ، ونفذ عهده الى جميع بلاد الاندلس بازعاج المعاهدين الى ناحية مكناسة وسلا

82 — يعرف عادة بابن رشد الجد ؛ وكان من كبار فقهاء عصره ، وحينما قيل له الجد ، اريد بذلك جد ابن رشد الفيلسوف المعروف بالحفيد .

وغيرها من بلاد العدو ، فأكرتهم الالهواء ، وأكلتهم الطرق .

وفي هذه السنة ، سنة تسع عشرة وخمسمائة ، خرج الطاغية ابن رذمير الى بلاد المسلمين في الاندلس . فتحركت له ريح الظهور ، وذلك أن النصارى المعاهدين بكورة غرناطة وغيرها خاطبوه من تلك الاقطار ، وتوالت عليه كتبهم ، وتواترت رسلهم ملحة في الاستعداد ، مطمعة بدخول غرناطة ، وانه لما أبطأ عنهم وجهوا اليه سفرا يشتمل على اثني عشر ألفا من أسماء أنجاد مقاتلتهم ، وأخبروه مع هذا أن من سموه هو ممن شهدت أعينهم لقرب مواضعهم ، وأن بالبعد منهم من يخفى أثره ، ويظهر عند ورودهم شخصه .

فاستثاروا طمعه ، وابتعثوا جيشه ، واستفزوه بأوصاف غرناطة ، ومالها من الفضائل على سائر البلاد ، وكثرة فوائدها من القمح والشعير ، والكتان ، وكثرة المرافق من الحريير والكروم والزيتون وأنواع الفواكه ، وكثرة العيون والانهار ، ومنعة قصبتها ، وانطباع رعيبتها ، وتأتى أهل حاضرتها ، وأنها المباركة التي يملك بها غيرها ، وأنها سنام الاندلس عند الملوك في تواريخها ، فرموا حتى أصابوا غرضهم ، فانتخب واحتشد ، وتهيأ في أربعة آلاف فارس اختارها من بلاد أرغونة بتوابعهم ، وتعاقدوا وتحالفوا بالانجيل أنه لا يفر أحد منهم عن صاحبه ، فخرج عن سرقسطة في منسلخ شعبان من هذه السنة ، واجتاز على بلنسية وبها الشيخ أبو محمد بدر بن ورقاء بجماعة من المرابطين ، وأقام بها يقاتلها مدة ، وفي أثناء ذلك وصله عدد واغر

من النصارى المعاهدين يكثرون سواده ، ويدلونه على الطريق ، وينبهون على المرائد التى تضر المسلمين وتنفعه ، واجتاز على جزيرة شقر (83) ، فقاتلها أياما ، خسر فيها ولم يربح ، ثم رحل منها الى دانية (84) ، وقاتلها ليلة عيد الفطر من هذه السنة ، وشق بلاد الشرق مرحلة مرحلة ، ومنزلة منزلة ، وشن الغارة على كل قطر مره ، واجتاز على فج شاطبة (85) ، حتى مرسية : ثم اجتاز بالمنصورة (86) ، ثم صعد (87) الى برشانة (88) ، ثم تلوم (89) ، بوادى تاجلة (90) ثمانية أيام ، ثم تحرك الى مدينة بسطة (91) ، فلحقه الطمع فيها لكونها فى بسيط من

- 83 — Jucar ، مدينة تائمة علم ، نهر شقر ، وهى تبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلا . الروض المعطار . الحلل السندسية : 109/1 .
- 84 — من مدن شرق الاندلس ، على البحر الابيض المتوسط فى ناحية القنت ، وتبعد عنها 99 كم شمالا . الروض المعطار . ذكر بلاد الاندلس ، مؤلف مجهول ، مخطوطة الخزانة العامة فى الرباط ، رقم 85 ج ، ص : 64 . الحلل السندسية : 110/1 . البينة : 27 .
- 85 — Jativa ، من أشهر مدن الاندلس ، شهرت بصناعة السورق الممتاز ، بينها وبين بلنسية 62 كم جنوبا . ذكر بلاد الاندلس : 67-68 . الروض المعطار . الحلل السندسية : 110/1 . البينة : 34 .
- 86 — Almanzora ، بلدة تحيط بها أراضى تسمى وادى المنصورة ، ويشقها نهر له نفس الاسم ، والكل معدود من توابع ثغر المرية فى الجنوب الشرقى من الاندلس .
- 87 — فى ك : بالمنصف صاعدا الى ، وفى د + هـ : ثم انحدر الى .
- 88 — Purchina ، هى اليوم قرية صغيرة ، بينها وبين بسطة 48 كم ، ويمر بها وادى المنصورة ، وهى ليست من قرى اشبيلية كما ورد فى معجم البلدان . البينة : 22 .
- 89 — فى ك : ثم حل .
- 90 — Tijola ، قرية صغيرة قريبة من برشانة ، واسمها كان يطلق أولا على النهر المسمى الآن بنهر المنصورة . البينة : 24 .
- 91 — Baza ، مدينة متوسطة ، تقع الى الشمال الشرقى من غرناطة ، وتبعد عنها بنحو 125 كم . ذكر بلاد الاندلس : 68 . معيار الاختيار : 60 . الروض المعطار . الحلل السندسية : 126/1 . البينة : 24 .

الارض ، وأكثر حاراتها غير مسورة ، فلم يعنه الله عليها ، ثم توجه الى وادى آش (92) فى يوم الجمعة أول ذى القعدة ، وقاتل المدينة من جهة المقابر الى الاثنين ، وأقلع الى السند (93) فى يوم الثلاثاء ، وفيه كمن الكمائن ، ثم أقلع من السند يوم الاربعاء ، ونزل بقريه فنيانة (94) ، وقاتلها من غربها ، وأقام عليها نحو شهرين .

قال مصنف كتاب الانوار الجلية (95) : نزل يجيب النصارى المعاهدين بغرناطة فى استدعائه ، فافتضح تدبيرهم فى اجتلابه ، وهم أميرهم بثقافهم ، فأعياء ذلك ، وجعلوا يتسللون الى محلته على كل طريق ، وكان يومئذ على الاندلس أبو طاهر تميم بن يوسف ، وحاضرة سكناه آنذاك قاعدة غرناطة ، فأحدثت به جيوش المسلمين ، وأمدده أخوه أمير المسلمين من العدو بجيش وافر ، وصارت الجيوش كالدائرة على غرناطة ، وهى فى وسطها كالنقطة ، وتحرك ابن رذمير من وادى آش ، فنزل بقريه

92 — Gudix — مدينة تقع الى الشمال الشرقى من غرناطة ، وتبعد عنها بنحو 55 كم . معيار الاختيار : 61 . الروض المعطار : الحلل السندسية : 126/1 .

93 — ذكر أبو عبد الله المسناوى (ت : 1127 هـ) فى كتابه « نتيجة التحقيق فى بعض اهل النسب الوثيق » طبع على الحجر بفاس — الملزمة الاولى ، ص : 5 ، ان جد الاسرة التى أرخ لها كان مستوطنا بحصن القلهرة من سند وادى آش . انظر أيضا مشاهدات ابن الخطيب ، ط . الاسكندرية 1958 ، ص : 156 .

94 — ذكرها ابن الخطيب فى معيار الاختيار ، والحميرى فى روضه ، وهى قرية واطعة فى الجنوب الشرقى من مدينة وادى آش .

95 — هو أبوبكر الصيرفى ، من علماء غرناطة ايام المرابطين ، واسم كتابه « الانوار الجلية فى اخبار الدولة المرابطية » وهو الآن بحكم المفتود .

دجمة (96)، وصلى الناس بغرناطة صلاة الخوف يوم عيد النحر من هذه السنة ، فى الاسلحة و لاهبة : ولم يصل ابن رذمير الى غرناطة حتى كان معه خمسون ألفا ، ثم نزل بوادى فردش (97) فى يوم عيد الاضحى ، وأقلع منها الى المزوقة (98) ، ومنها برز الى غرناطة ، ونزل بقرية النبيل (99) ، وأقام بمحلته بضع عشر ليلة ، لم تسرح له سارحة بتوالى الامطار ، وكثرة الجليد ، الا أن المعاهدة كانت تجلب اليه الاقوات ، فأقلع وقد ارتفع طمعه عن المدينة ، فرحل على قرية مرسانة (1) الى بيش (2) ، ومنها الى السكة (3) ، حيث لحق أحواز قلعة يحصب (4) ، الى لك (5) ،

96 — Dietma — أو رشمة ، من قرى غرناطة ، عند ابن الخطيب فى مقدمة الاحاطة ، ، هي الآن مدينة تتوسط بين غرناطة ووادى آش .

97 — كذا ، ولعله تصحيف « فرتونة » الواقع فى منطقة قريبة من غرناطة ، وقد ذكره ابن الخطيب فى الاحاطة فى ترجمة اسماعيل بن فرج ، خامس ملوك بنى الاحمر فى غرناطة . من الجزء الاول .

98 — فى د : المزوقة ، وفى هـ : المزونة ، وفى ك : المريرة ، ولم نهتد الى وجه الصواب فيها .

99 — Navac — قرية من قرى غرناطة ، ذكرها ابن الخطيب فى مقدمة الاحاطة .

1 — Maracena — قرية من قرى غرناطة ، موقعها فى الشمال الشرقى منها ، وقد ذكرها ابن الخطيب فى مقدمة الاحاطة .

2 — Beds — قرية من قرى غرناطة ، موقعها فى الشمال الغربى منها ، أوردها ابن الخطيب فى مقدمة الاحاطة .

3 — لم نهتد الى حقيقة هذا العلم ، وهو مذكور فى مقدمة الاحاطة حيث قال : السكة من أحواز قلعة يحصب .

4 — Alcalá la Real قلعة شهيرة فى تاريخ الاندلس ، سكنها بنو سعيد الذين شهبوا منذ عصر الموحدين ، موقعها شمال غرب غرناطة . انظر اعمال الاعلام — ط . بيروت 1956 : 393/1 .

5 — كذا ، ويبدو أن تصحيفا أصاب هذا العلم تعذر الاهتداء الى وجه الصواب فيه ، مع الإشارة الى أن لكه ، ولك ، بقعان جغرافيا فى منطقة بعيدة عن منطقة الحدث الذى يؤرخ له المؤلف ، فلكه فى الجنوب الغربى من الاندلس ، وهناك كانت معركة فتح الاندلس على يد طارق ، ولك فى الشمال الغربى من الاندلس ، بأرض « جليقية » .

وبيانة (6) ، وأستجة (7) ، ثم نكب على قبرة (8) ، ولسانة (9) ، وجيوش المسلمين في أذياله تكافحه في أثناء ذلك مناوشة ، وظهروا عليه ، فتبعه الامير أبو طاهر الى أن اجتمعا على مقربة لسانة بأرنيسول (10) فطمعوا فيه ، وانتدبوا لقتاله أول النهار ، وكبسوه وأخذوا له جملة من الاخبية (11) ، ولما كان في وقت الظهر تدرع ابن رزمير ، وتعباً بناسه (12) للقتال ، وعقد عليهم أربعة ألوية ، وقسمهم على أربع فرق ، وحملوا على المسلمين بعد فشلهم وافتراقهم ، وسوء الرأى في نزولهم ، فالفوهم على طمأنينة ، وحكم الله بأحكامه ، فكانت الواقعة الشنيعة على المسلمين ، واستولى على محلتهم ، وانتقل منها الى جهة الساحل ، فشق الاقالييم والبشارات (13) ، وجاز على وادى متريل (14) المطل الحافات ، المنحصر المجاز ، ويقال انه لما اجتاز به قال بلغته لاحد زعمائه :

6 — Baena — مدينة بين قرطبة وغرناطة ، تبعد 60 كم عن شرق قرطبة .
البينة : 24 .

7 — Eciija — مدينة في جنوبى قرطبة ، بينها 56 كم . البينة : 60 .
8 — Cabra — ذكرها الحميرى في روضه ، واوردها ابن الخطيب في مقدمة الاحاطة ، وكانت من حصون غرناطة الدفاعية ، في الشمال الغربى منها .

9 — Lucena — وتكتب احيانا — اللسانة — اوردها ابن الخطيب في مقدمة الاحاطة على انها من حصون غرناطة الدفاعية في الشمال الغربى منها .

10 — Arensol — ورد هذا العلم في مقدمة الاحاطة على انه فحص « مرج » من فحوص غرناطة في الجنوب منها .

11 — في د : واستولوا على جملة من مضاربه واخبته .
12 — في ك : وتعباً بناسه للقتال ، وفي د : وتعباً بناسه للقتال .

13 — (Pastur) — اصل هذه الكلمة من لفظة لاتينية معناها المراعى Alpajarras وكانت تطلق عند العرب على الجبال التى تمتد جنوب جبل الثلج . البينة : 24 .

14 — Motril — بلدة في الجنوب ، وهى من توابع مائة ، حيث يوجد هناك النهر الاحمر ، ووادى موتريل او متريل .

أى قبر هذا لو ألفينا من يرد علينا التراب ؟ ! ثم عرج يمينه حتى انتهى الى بحر بلش (15) ، وأنشأ بها جفنا صغيرا صيد به له الحوت ، كأنه نذر وفي به ، أو أثر لمن يخفنه بعده ، ثم عاد الى غرناطة ، غاضطرت بها محلته بقرية دلو (16) ، ثم انتقل الى قرية همدان (17) ، وكان بينه وبين عساكر النسمين مواقف عظيمة ، ثم انتقل بعد يومين الى المرج ، فنزل بعين أضسه (18) ، وهو فى نهاية من كمال التعبئة ، وأخذ الحذر ، بحيث لا تصاب فيه فرصة ، ثم تحرك على البراجلات (19) ، ومنها الى اللقون (20) ، ومنها الى وادي آش ، وقد أصيب كثير من حاميته . وطوى المراحل الى الشرق ، فاجتاز على مرسية الى جوفى (21) شاطبة ، والعساكر فى كل ذلك تملأ أذياله ، والتناوش يتخطر به ، والوبال يسرع اليه حتى وصل الى بلاده ، وهو يفخر بما ناله فى سفره ، من

15 — Velej — بلش أو فلش مالقة ، بلدة فى الجنوب تبعد عن مالقة بنحو ثلاثين كم من جهة الشرق ، وساحتها يعرف باسم بحر غاش ، وقد ذكرها ياقوت فى معجمه .

16 — Dilor — قرية من قرى غرناطة ، موقعا الى الجنوب منها ، وقد ذكرها ابن الخطيب فى مقدمة الاحاطة .

17 — Al-Hemdīn — ذكرها ابن الخطيب فى الاحاطة بين قرى غرناطة ، وهى الآن بلدة .

18 — فى ك + د : لطسة ؟ .

19 — كرر ابن الخطيب فى مقدمة الاحاطة ذكر كلمة « البراجلات » وذلك اثناء الحديث عن غرناطة واحوازها ، ويبدو من ذلك انها كانت مصطلحا معروفا ، على معرب عن اللاتينية ، تصد به الاراضى الصخرية المرتفعة مع السهوب المتحجرة فى شرقي البلاد وشمالها .

20 — كذا ، وجاء هذا الاسم فى الاحاطة بالصيغ التالية : اللقون ، اللقوق ، اللقوة ، فهو مثلا جاء فى : 469/2 باسم « حصن اللقوة » ؟ هذا ولم نهتد فى المتوفر من المصادر والمراجع الى ما يعين على ضبط اسم هذا الموقع مع تحديد مكانه وصفته .

21 — فى د + ك : جوف .

المسلمين ، وفتكه في بلادهم ، وكثرة ما أسر وغنم ، مع أنه لم يفتح مكانا مسورا صغيرا ولا كبيرا . الا أنه أدخل ديار بادية الاندلس ، وغفا آثارها ، وكان مقامه في بلاد المسلمين واردا وصادرا سنة كاملة وثلاثة أشهر (22) .

ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم النصارى المعاهدين ، ما جلت عنه هذه القضية ، أخذهم الارجاف ، وتوغرت لهم الصدور ، وتوجه الى مكائدهم الحزم ، فاحتسب القاضي أبو الوليد بن رشد الاجر ، وتجشم المجاز ، ولحق بالامير على بن يوسف بن تاشفين بحضرة مراکش ، فبين له الامر بالاندلس ، وما منيت به من النصارى المعاهدين ، وما جنوه عليها من استدعاء الروم ، وما في ذلك من نقض العهد ، والخروج عن الذمة .

وأفتى بتغريبهم واجلائهم الى العدو عن أوطانهم ، وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم ، فأخذ بقوله ، وأنفذ بذلك عهده ، وأزعج الى العدو منهم عددا جما ، أنكرتهم الاهواء ، وأكلتهم الطرق ، وعند ذلك أفتى بالتسوير على مراکش ، حسبما تقدم ذلك .

ويرجع الحديث الى جهة مراکش ، وأن أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ، شرع في جمادى الاولى سنة عشرين وخمسائة في تسوير حاضرة مراکش ، وبنى جامعها ومنازة ، وجمع الصنائع والفعلة على ذلك ، فجاء كل ما صنع من أوابد الدنيا ،

22 — انظر كتاب بيوتات فاس ، ط . الرباط 1972 ، ص : 32
الاحاطة : 114/1

ابتناها في مدة من ثمانية أشهر ، على عظم ساحتها ، واتساع دورها ، يذكر أنه أنفق في بناء السور وحده سبعين ألف دينار من الذهب ، وكان الذي أشار عليه بتسيير مراكش القاضي أبو الوليد بن رشد حين ظهور المهدي عليه ببلاد المغرب (23) ، وسبب تسييرها أنه لما ظهر المهدي استفتى فقهاء العدو والاندلس في أمره ، ومنهم القاضي أبو الوليد بن رشد في بناء سور على موضعه ومنزله ، فأفتوه بالتحصين على نفسه وعلى الناس الساكنين معه ، وكان توجه القاضي أبو الوليد بن رشد إليه لمراكش في غرضين : أحدهما اخراج النصاري المعاهدين عن الاندلس بسبب ما صدر عنهم من الاعانة لابن رزمير ، واستدعائه حسبما تقدم قبل هذا ، والأخرى في عزل أخيه الأمير أبي طاهر تميم عن الاندلس ، وتقديم غيره .

ولما كان أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بالعدو ، في حاضرة مراكش ، أشار عليه أهل دولته أن يطلب ملك بنى هود بشرق الاندلس ، وقالوا له : الشرع يدعوك أن تسعى في أخذ تلك البلاد منهم ، لكونهم مسالمين للروم ، فأخذ برأيهم ، ووجه اليهم الأمير أبا بكر بن تيفلويت بعسكر من المرابطين .

ولما سمع ابن هود بقدومه ، تحصن ببلاد ، وكتب إليه كتابا بعثه إليه لمراكش ، من فصوله :

وقد كان المستعين بالله ، خاطب أباك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، رحمة الله عليه ، يسأله الدعة ، ويرغب في

الهدو (24) ، والاستعانة على العدو ، فأقام وأقمنا معه مريحين ، ومن تعب النفاق فرحين ، فنعمنا بنور الهداية الساطع الاشرار ، واغتنمنا الدعة والامن في هذه الآفاق ، ثم دهمنا من جهنكم داهم أبدى صفحته ، ونسيم — بل عاصف — أهدى الينا نفحته ، ولا يمكننا تسليم ما بأيدينا اليكم ، فيتحكم فينا الاذلال ، ويتمكن في محالنا الاستنقاص بالحقوق والاختلال ، ولم تتقدم منا اليكم اساءة جهرت عليكم بالقول ، ولا أشارت ، ولا أخلت بجنايبكم ولا عدت ولا أضرت ، بل نفيض عليكم استمالتنا ، ونستعطفكم في كل حال بمقالتنا ، وقد كان لكم فيما فعله أبوكم أمير المسلمين اسوة حسنة ، وأيام كانت بيننا وبينه مستحسنة فان يكن الله أراد أمرا أنفذه في خلقه ، فلا راد لمشيئته ، ولا جأئد عن بليته ، وسيعلم مبرم هذا الرأي عندكم سوء مغبته ، وعظيم هيئته (25) في الفساد ورتبته ، والله حسيب من بغى ، وابتدأ بالتضريب بيننا وابتغى ، وحسبنا الله وكفى ، والسلام .

ولما وصل كتاب عماد الدولة أبى مروان عبد الملك بن هود ، ووقف عليه أمير المسلمين على بن يسف ، خاطب الامير أبابكر بن تيفلويت يأمره بالكف عن بلاده ، فوافاه الكتاب وقد أدخلته الرعية مدينة سرقسطة في خبر يطول شرحه .

وقد كان المهدي ظهر عليه في سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وكان ابتداء ظهوره بمراكش ، وذلك أنه وصل من المشرق الى

24 — في ك : العهد ، وفي د : الهدنة .

25 — في د : مرتبته .

مراكش على حسب ما تجتنبه القصص في موضعه من هذا الكتاب
ان شاء الله .

قال ابن بجير (26) : دخل أبو عبد الله محمد بن تومرت ،
الملقب بالمهدي ، المسجد الجامع بمراكش ، يوم الجمعة ، وركع
في الصف الاول ، بمقربة من المنبر ، فقال له بعض سدنة الجامع :
هذا موضع أمير المسلمين ، فقال له : « ان المساجد لله (27) » ،
وقرأ الآية .

فلما جاء أمير المسلمين على بن يوسف ليقعد في موضعه ،
قام له من حضر هنالك ، وبقي المهدي لم يقم ، فلما قضيت
الصلاة ، بادر المهدي بالسلام عليه ، وقال له في جملة كلامه :
غير المنكر ببلادك ، لانك أنت المسؤول عن رعييتك ! فلم يجبه
أمير المسلمين على بن يوسف .

ولما دخل الى قصره ، وجه اليه يسأله : ان كانت لك حاجة
فتتقضى (28) ؟ فقال : ليس لي حاجة ، وما قصدى الا تغيير
المنكرات ، فعند ذلك أمر الفقهاء أن يتكلموا معه ، ويختبروا حاله ،
وينظروا ما عنده من العلم ، وكان في جملتهم أبو عبد الله مالك
بن وهيب الاندلسي (29) ، فتكلم معهم (30) في أمور كثيرة ،

26 — كذا في الاصل ، وهو من مصادر ابن عذارى صاحب البيان المغرب ،
ولم نهتد الى ترجمته .

27 — الجن : 18 .

28 — في ك + د : ان كانت له حاجة تقضى له .

29 — فقيه فيلسوف ، انظر اخبار المهدي للبيضاوي — ط . الرباط 1971 ،

من : 28 .

30 — في د : معه .

ونأظرهم فى مسائل من العلم (31) لا يتسع إرادها فى هذا المختصر .

ولما عادوا الى أمير المسلمين سألهما عما خبروه من حاله ، فقالوا له : يا أمير المسلمين ذلك رجل يفتن الناس ، والصواب إمساكه ، ويحال بينه وبين الناس ، وقال له مالك بن وهيب : أبقاك الله ، هذا الرجل اجعله فى بيت من حديد ، والا فستنفق عليه بيتا من ذهب .

وقال له بعض الفقهاء : أبقاك الله ، هذا الرجل اجعل عليه كبالا قبل يسمعك طبلا (32) ، وكان بالمجلس (33) — فى أسياف الرباطين ، — وزيره يئتيان بن عمر ، فقال له : يا أمير المسلمين ، هذا وهن فى حق الملك ، أن تلتفت الى هذا الرجل الضعيف (34) ، فغلى سبيله ، وخرج المهدي عند ذلك الى مدينة أغمات ، فأقام بها يدرس العلم للناس ويعظهم الى أن أخرجه صاحب أغمات ، وغربه الى سوس الاقصى ، وذلك سنة خمس عشرة وخمسائة (35) ، فقتبعه الناس ، واجتمعت عليه البرابر ، يسألونه فى أمور دينهم ، الى أن كان من أمره ما يأتى ذكره ان شاء الله .

31 — فى ك : فتكلم معهم فى أمور كثيرة ، ونأظرهم فى مسائل علمية .

32 — فى ك + د : اجعله فى الكول ، والا قصده ان يسمعك الطبول .

33 — فى ك + د : بالحضرة .

34 — انظر حول ملابسات هذا الموقف ونتائجه اخبار المهدي للبيدق : 28 — 29 .

35 — انظر اخبار المهدي : 29 — 32 ، وعنده ان ذلك كان فى عام اربعة عشر وخمسائة .

وفي أثناء خروجه الى سوس ، خرج أمير المسلمين على بن يوسف ، عن مراكش ، برسم الجواز الى الاندلس للنظر فيما نشأ بين أهل قرطبة والمرابطين من الفتنة .

وصعد ابن تومرت جبل درن ، وتوجه الى بلدة هرغة (36) من السوس الاقصى ، فاجتمع اليه أناس من قبيله وغيرهم ، فاستوثق من قبيلته ، ومنعة موضعها ، لانه مكان لا يصل اليه أحد الا من طريق لا يسلكها الا راكب بعد راكب ، يسد ظلها أقل عصابة من الناس ، لما فيها من التوغر ، وأقام بها لما كان أمير المسلمين بالاندلس .

ولما عاد أمير المسلمين على بن يوسف الى المغرب ، ألقى خبره قد شاع ، وأن الناس يتبعونه ، فقلق من ذلك ، وكتب الي عامله بالسوس أبي بكر اللمتوني بأن يحتال في القبض عليه ، فلم يقدر على ذلك .

وأخذ المهدي عند ذلك في الاحتراز والحذر ، والتحفظ على نفسه ، وتمام خبره يأتي بعد ، في اسمه ان شاء الله .

وان أمير المسلمين على بن يوسف اضطربت عليه الامور من لدن ظهور المهدي عليه ، فلم يستقم له أمر الى حين وفاته . وبعد هذا الكلام أعرف بالمهدي ، وبداية أمره ، وما نشأ من الحوادث في زمانه ، وأعود الى تمام دولة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ، ان شاء الله .

36 — في ك : بلاد هرغة ، وهرغة قبيلة من مصمودة البربرية ، واسمها أصلاً : أرغن ، انظر اخبار المهدي : 33 . المقتبس من كتاب الانساب للبليق — ط . الرباط 1971 ، ص : 27 . ومن أجل السوس ، انظر الروض المعطار .

ذكر ظهور المهدي وابتداء أمره

نسبه : هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن رباح (37) بن يسار (38) بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، أثبت هذا النسب أبو علي بن رشيقي في شجرة أنساب الخلفاء والامراء (39) ، وحققه ابن القطان (40) ، واختصره أبو مروان ابن صاحب الصلاة (41) .

كنيته : أبو عبد الله ، وكان يقال لوالده تومرت ، وأمغار ، وأسافو ، ومعناه بلسان البربر الضياء ، لايقاده الضياء في المسجد .

لقبه : المهدي ، لقب به لما بايعه الناس (42) بالعهد .

قال ابن القطان : رحل المهدي : من وطنه هرغة ، قبيلة بسوس الاقصى ، في طلب العلم سنة خمسمائة الى الاندلس ،

37 — في ك : ابن رباح بن ياسر .

38 — في ه : ياسين .

39 — بعدما اورد البيهقي نسباً آخر للمهدي ، ساق رواية هذا النسب ، ولا حظ « ان قرابته — المهدي — واهل العناية بهذا الشأن لا يعرفونه » ، اى لا يعرفون هذه الرواية . المقتبس من كتاب الانساب : 12 — 13 .

40 — نظم الجمان — ط . تطوان : 34 .

41 — ليس في المطبوع من كتب المن بالامامة ، لان ما وجد من الكتاب عند نشره ناقص اوله .

42 — في د : ولقب لما بايعه الناس بالمهدي .

وجاز فيها من مرسى المرية في مركب الى النمام (43) ، غرقاً على
الامام أبى عبد الله الحضرمي ، وبمصر على الامام أبى الوليد
الطرطوشي (44) ، وببغداد على الامام أبى حامد الغزالي (45) ،
وقد كان كتابه الذي سماه احياء علوم الدين وصل الى المغرب
والاندلس ، وأن فقهاء قرطبة تكلموا فيه ، وأنكروا فيه أشياء .

قال ابن القطان : ولا سيما القاضي ابن حمدين ، فإنه بالغ
في ذلك حتى كفر جميع من قرأه ، وعمل به ، وأغرى به السلطان ،
واستشهد بالفقهاء ، فأجمعوا على حرقه ، فأخذ على بن يوسف
بفتياهم ، وأمر بحرقه ، فأحرق بقرطبة (46) ، وكتب الى سائر
بلاده يأمر باحرقه ، وتوالى الاحراق على ما ظهر منه ببلاذ
المغرب في ذلك الوقت ، فيذكر أن حرقه كان سببا لزوال ملكهم ،
وانتثار سلكهم (47) .

حكى ابن صاحب الصلاة عن عبد الله بن عبد الرحمن
العراقي (48) ، شيخ مسن من سكان فاس ، قال : كنت ببغداد
بمدرسة (49) الشيخ الامام أبى حامد الغزالي ، فجاءه رجل

43 — في ك : الشرق .

44 — انظر المقتبس للبيضاقي : 28 — 29 ، حيث ذكر من اخذ عنهم المهدى ،
ومن اختص بهم من الشيوخ .

45 — كذا ، وفيه ما فيه ؟ .

46 — في ك : واحرق ما بقرطبة .

47 — في د : حرقه كان سببا لخروج الامر عنه .

48 — في د + ه : المتراني ؟ .

49 — المقصود هو المدرسة النظامية ، انما الخبر مردود .

كث اللحية على رأسه كرزية صوف (50) ، فدخل المدرسة ، وأقبل على الشيخ أبى حامد ، فسلم عليه ، فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من أهل المغرب الأقصى ، قال : أدخلت قرطبة ؟ قال : نعم ، قال : كيف فقهاؤها ؟ قال : بخير ، قال : هل بلغهم كتاب الاحياء ؟ قال : نعم ، قال : فماذا قالوا فيه ؟ فصمت الرجل حياء ، فعزم عليه ليقولن ، فأطرق رأسه ، وأخبره باحراقه ، وبالقصة كما جرت ، قال : فتغير وجهه ، ومد يده للدعاء ، والطلبة يؤمنون عليه (51) ، فقال : اللهم مزق ملكهم ، كما مزقوه ، وأذهب دولتهم كما أحرقوه ، فقال له أبو عبد الله بن تومرت السوسى — الملقب بالمهدى — : أيها الامام ادع الله أن يجعل ذلك على يدي ، فتغافل عنه ، فلما كان بعد أيام أتى الحلقة شيخ آخر على شكل الاول ، فسأله الشيخ أبو حامد ، فأخبره بصحة الخبر المتقدم ، فدعا بمثل دعائه الاول ، فقال له المهدى : على يدي ان شاء الله ! فقال : اللهم اجعله على يديه ، فقبل الله دعاءه (52) .

وخرج أبو عبد الله بن تومرت من بغداد ؛ وصار السوسى المغرب ، وقد علم أن دعوة الشيخ لا ترد ، فكان من أمره ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى .

50 — هى عمامة من الصوف كانت مستعملة عند قبائل الصحراء ، كما نص على ذلك الادريسي فى كتابه نزهة المشتاق : 12 — من ط . الجزائر 1957 ، وهى الآن تستعمل فى المغرب للدلالة على الحزام من الصوف .

51 — فى ك : على دعائه .

52 — اثر الصنعة واضح على هذه القصة .

ولما وصل الى المهديّة (53) ، غير بها المنكر ، فرفع أمره الى العزيز بن الناصر (54) ، فهم أن يأخذه ، فهرب الى بجاية (55) ، فبلغ خبره لابن حماد (56) صاحبها ، فاختمى وخرج منها الى رباط ملالة (57) ، وكان اذ ذاك عبد المؤمن بن علي قد توجه به عمه ، وهو غنى جميل الوجه ، رائع الجمال ، يؤم بلاد المشرق ، وكان قصده أن يعلمه العلم ، فقصد به الى المهدي ، وجلس معه ، فسأله عن اسمه ؟ فقال له : عبد المؤمن بن علي ، وسأله عن بلاده ، فقال له : قطر تلمسان ، فقال له : أأتكون من تاجرا (58) ؟ قال : نعم ، وأنا أريد الرحلة في طلب العلم لبلاد المشرق ، فقال له المهدي : العلم الذي تطلبه بالمشرق قد وجدته بالمغرب ، الى أن قرأ عليه المهدي كتابا يقول فيه : لا يقوم الامر الذي فيه حياة الدين الا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين ، فبقى معه يقرأ عليه برباط ملالة ، الى أن خرجا عنها الى ونشريس ، فصحبه

53 — بناها المهدي عبد الله ، اول خلفاء الدولة الفاطمية في افريقية — تونس — وهي ما تزال قائمة ، كبيرة فيها العديد من الآثار الفاطمية ، وعلى رأسها المرسى ، والمسجد الجامع ، وبعض التحصينات العسكرية .

54 — هو علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس (509 — 515 هـ) انظر : اعمال الاعلام : 81/3 — 83 . المؤنس في اخبار افريقية وتونس — ط . تونس 1967 — ص : 91 . تاريخ الدولتين للزركشي — ط . تونس : 1966 — ص : 4 — 5 .

55 — كانت اهم قاعدة في المغرب الاوسط ، وهي الآن من مدن ساحل الجزائر . انظرها في الروض المعطار .

56 — انظر اعمال الاعلام : 99/3 . اخبار المهدي : 13 — 15 .

57 — انظر اخبار المهدي : 18 — 19

58 — ما زالت معروفة بهذا الاسم قرب مدينة ندرومة الى الشمال الشرقي منها . الروض المعطار — مادة ندرومة — اخبار المهدي : 16 — 17 .

منها أبو محمد البشير (59) ، وانتقلوا الى مدينة فاس ، ثم خرجوا منها الى (60) حاضرة مراكش ، وانصرف عنها الى هرغة بلده من السوس الاقصى حسبما تقدم ذكره .

ولما كان بالسوس الاقصى ، وقد تبعه كثير من البرابر ، وذلك في شهر ومضان المعظم سنة خمس عشرة وخمسمائة ، قام فيهم خطيبا ، وقال : الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاؤه ، لا راد لامره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المبشر بالامام المهدي ، الذي يملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، يبعثه الله الى نسخ الباطل بالحق ، وازالة الجور بالعدل ، مكانه المغرب الاقصى ، وزمانه آخر الزمان ، والاسم الاسم ، والنسب النسب (61) ، والفعل الفعل .

قال الامام أبو يحيى بن اليسع : سمعت الخليفة عبد المؤمن يقول : لما فرغ الامام المهدي من كلامه هذا ، بادر اليه عشرة رجال من أتباعه والملازمين له ، كنت أنا واحدا منهم ، وقلنا له :

59 — هو عبد الله بن محسن الوثريني ، كان من اهل المغرب الاوسط .
المقتبس للبيدق : 31 — 32 . أخبار المهدي : 19 .

60 — في د : مدينة ، وفي ك : حضرة .

61 — المشهور ان المهدي عند من يقول به من اهل السنة اسمه مثل اسم النبي وكذا اسم أبيه مثل اسم أبي النبي ، ونجد مثلا على هذا في تاريخ أبي جعفر المنصور واسمه عبد الله حينما أعلن ابنه محمدا وخليفته من بعده مهديا ، وتعكس التسمية عند الشيعة ، فهو على ذلك « عبد الله بن محمد » وهذا ما نجده في تاريخ المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية ، والدراسات حول المهديّة في الإسلام كثيرة ، افضلها المواد التي اثبتها نعيم بن حماد المروزي الخزازي (ت : 227 هـ) في كتابه الملاحم والفتن ، ويمكن العودة الى كتاب المهديّة في الإسلام — تأليف سعد محمد حسن — ط . القاهرة : 1953 .

يا سيدي هذه الصفة لا توجد الا فيك ، فأنت هو المهدي ، فبايعناه
 في أثناء ذلك ، على ما بايع به الصحابة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وأن نكون يدا واحدة على القتال والدفاع ، فبايعه
 أصحابه العشرة تحت شجرة خروب (62) ، وتتابع البرابر بعد
 ذلك عليه بالمبايعة (63) ، على أن يقاتلوا عنه ، ويبذلوا أنفسهم
 دونه ، فعرفهم بما في ذلك من الارزاء والمحن والقتل ، والفتن ،
 غالترموا ذلك .

هذا وأصحابه العشرة هم : عبد المؤمن بن علي ، وعمر بن
 علي أزناقي ، واسماعيل بن مخلوف ، وأبو ابراهيم ، واسماعيل
 ابن موسى ، وأبو يحيى أبو بكر بن تنجيت (64) ، وأبو عبد الله
 بن سليمان ، وعبد الله بن ملويات (65) ، وأبو حفص عمر بن
 يحيى الهنتاتي ، وأبو محمد عبد الله البشير (66) ، وسماه
 أصحابه اثر بيعته بالمهدي ، وتابعهم (67) على هذا المعتقد باثرهم
 خمسون رجلا ، فسموا أهل الخمسين ، ثم تابعهم سبعون رجلا ،
 فسموا أهل سبعين ، واختص المذكورن بهذا الاختصاص ، وانعقد
 لهم من البر والتكرمة ما أنهضهم ، وكان يعقد الامور العظام مع
 أصحابه العشرة ، لا يحضر معهم غيرهم ، فاذا جاء أمر أهون

62 — انظر اخبار المهدي : 34 — 35 .

63 — في ك + د : للمبايعة .

64 — في د : تنجيت .

65 — في د : ملوات .

66 — هناك خلاف في ضبط رسم العديد من أسماء أصحاب المهدي لاختلاف
 اللهجات البربرية ، ولما ينجم عادة عن تعريب أى اسم غير
 عربى الاصل . انظر المقتبس للبيذق : 30 — 32 .

67 — في ك : وتبعهم .

أحضر الخمسين ، فإذا جاء دون ذلك ، أحضر معهم السبعين (68) .
وبايعه أهل هرغة ، وتينمال ، وهنتاتة ، وجدميوة ،
وهسكورة ، وصنهاجة ، وبايعوه على ما أمرهم به (69) ، والتزموا
نصره ، وأعلن لهم بحرب لمتونة ، وأخذ أثياعه يتأهبون
للحروب (70) ، وجعل على كل عشرة منهم نقيبا ، وصنفهم
أصنافا .

فالصنف الاول : أصحاب العشرة ، المتقدم ذكرهم ،
والصنف الثاني : أهل الخمسين ، والصنف الثالث : أهل السبعين ،
والصنف الرابع الطلبة ، والصنف الخامس : الحفاظ ، وهم صغار
الطلبة ، والصنف السادس : أهل الدار ، والصنف السابع :
أهل هرغة ، والصنف الثامن : أهل تينمال ، والصنف التاسع
جدميوة ، والصنف العاشر : أهل جنفيسة ، والصنف الحادي
عشر : أهل هنتاتة ، والصنف الثاني عشر : الجند ، والصنف
الثالث عشر : الغزاة ، وهم الرماة ، ولكل صنف من هذه الاصناف
رتبة لا يتعداها الى غيرها لا في سفر ولا في حضر ، لا ينزل كل
صنف الا في موضعه ، لا يتعداه ، فانضبط أمره ، وأقاموا على
ذلك مدة حياته .

وأول ما دبر به أمرهم أنه ألف لهم كتابا سماه « التوحيد »
باللسان البربري ، وهو سبعة أحزاب ، عدد أيام الجمعة ، وأمرهم
بقراءة حزب واحد منه كل يوم اثر صلاة الصبح ، بعد الفراغ من

68 — انظر المقتبس للبيذق : 32 — 35 .

69 — انظر المقتبس للبيذق : 36 — 57 .

70 — في د : التأهب للحرب .

حزب القرآن ، وهو يحتوى على معرفة الله تعالى ، وسائر العقائد ، كالعلم بحقيقته القضاء والقدر ، والايمان بما يجب لله تعالى ، وما يستحيل عليه ، وما يجوز وما يجب على المسلم (71) من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وواخى (72) بينهم فيه .

وَألف لهم كتابا سماه « بالقواعد » وآخر سماه « بالامامة » ، هما موجودان بأيدي الناس الى هذا العهد ، ودونهما بالعربى والبربرى ، وكان أفصح الناس فى اللسان العربى ، واللسان البربرى ، ينقل بهما اليهم المواعظ والامثال ، ويقرب لهم (73) المقاصد ، فجذب نفوسهم ، واستجاب قلوبهم ، وسهل عليهم التعليم بنفسه وبأعيان أصحابه .

وان أمير المسلمين على بن يوسف ، لما لم يقدر على القبض عليه ، جهز جيشا لمحاربته ، قدم عليه والى السوس أبابكر اللمتونى ، فلما قرب منه لم يقدر على لقاءه لكثرة من تبعه من الامم ، فأردف عليه بعد ذلك عسكريا ثانيا ، أكبر منه ، قدم عليه أخاه الامير أبا اسحق ابراهيم ، فلما تلاقوا معه عاين الحثم منه ما بهتهم ، فانهزموا أمامه ، دون قتال ، وفقد من الجيش عدد وافر ، واستولى على محلتهم .

قال ابن بجير : ولما سمع على بن يوسف بهذه الهزيمة ، ومخالفة هتاتة عليه ، واتباعهم للمهدى ، اغتم لذلك ، وجهز عسكريا عظيما ، قدم عليه سير اللمتونى بن مزدلى ، فهزموه وقتلوا

71 — فى د : المكلف .

72 — فى ك : وانى .

73 — فى ك : اليهم .

كثيرا ممن كان معه ، ولما كان بعد هذه الهزيمة ، سأل المهدي أصحابه عن لمتونة : ما يقولون عنا ؟ فقالوا له : لقبونا بالخوارج ، فقال لهم : لقبوهم أنتم بالمجسمين وبالزراجنة (74) ، وكتب لهم المهدي رسالة بخطه ، ومن انشأه نصها :

الى القوم الذين استزلهم الشيطان ، وغضب عليهم
الرحمن ، الفئة الباغية ، والشرذمة الطاغية للمتونية ، أما بعد :
فقد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ،
ولزوم طاعته ، وان الدنيا مخلوقة للفناء ، والجنة لمن اتقى ،
والعذاب لمن عصى ، وقد وجبت (75) لنا عليكم حقوق بوجوب
السنة ، فان أدبتموها كنتم فى عافية ، والا فنستعين بالله على
قتلكم ، حتى نمحو آثاركم ، ونهدم دياركم ، وحتى يرجع العامر
خاليا ، والجديد باليا ، وكتابتنا هذا اليكم اعذار وانذار ، وقد
أعذر من أنذر ، والسلام عليكم ، سلام السنة لاسلام الرضى .
قال : ولم يزل أمير المؤمنين على بن يوسف ، يوالى الحروب
على أصحاب المهدي من كل جانب ، ويبعث لمحاربتهم الجيوش
والكتائب ، ويأمرهم بملازمة السكنى حيث كانت لهم الطاعة
من أهل الجبال ، ويقيمون المدة الطويلة فى الحرب معهم والقتال ،
وينفق عليهم بيوت الاموال ، رجاء فى دفع دائهم العضال ، فدامت

74 — اتهم المهدي المرابطين بالقول بالتجسيم ، وسماههم بالزراجنة ، وهو جمع زرجان ، والزرجان طائر اسود البطن ، ابيض الريش ، شبه المهدي المرابطين به ، لانهم — حسب رايه — بيض الثياب ، سود القلوب ، وسماههم ايضا بالحشم لا استخدامهم اللثام ، كما تفعل النساء .

75 — فى د : اوجب

أكثر مدته في حروب معهم ، وكروب ، ومهما وجه عسكريا عاد
مفلولا ، ودخل قلوب أجناده الذعر ، وخامرهم الفزع والرعب .

قال عبد الله بن أحمد الزهرى : حضرت بمراكش ، وقد
احتفل أمير المسلمين على بن يوسف في تجهيز عسكر الى الجبل
الذى كان فيه الموحدون ، وقدم عليه أخاه الامير الاجل أبا الطاهر
تميماً ، فخرج بعسكر كبير ، وعندما صعد به في مضائق الجبال
وشواحق تلك الاوعار ، سدت عليه أفواه تلك الجبال ، وأدبروا
ليلاً منهزمين دون قتال ، وتراموا بخيلهم وبأنفسهم ، ودخل
فلهم مع الامير أبى الطاهر مهزوما ، وكانت هذه الهزيمة بمقربة
من (جبل) كيك (76) ، فاستمات عليهم ، وجد الموحدون في اتباع
أثرهم الى أن وصلوا الى مقربة من جبل وريكة بقبلى أغمات
فخرج اليهم عسكر لتونة مع بطى اللمتونى ، فمزقهم الموحدون،
وقتل في المعركة بطى اللمتونى المذكور مع خلق كثير من أهل
أغمات وغيرهم ، وأن المهدي توجه الى تينمال (77) لما رأى من
منعتها ، وحصانة موضعها ، فقسم أرضها وديارها على أصحابه ،
في خبر يطول شرحه ، وأدار على المدينة سورا أحاط بها من كل
جانب ، وبنى على رأس الجبل سورا ، وأفرد في قمته حصنا
يكتشف على ما وراء الجبل ، ولا يعلم مدينة أحصن من تينمال ،

76 — انظر اخبار المهدي : 39 ، 91 ، وفي ك : من جبل وريكة .

77 — ويكتب اسمها احيانا : تينمل ، وهى قرية موجودة الآن في المغرب ،
واقعة على بعد حوالى « كلم » واحد من الطريق الذاهب من مراكش
الى رودانة (الكيلومتر 104) ، وفي القرية قبر المهدي مع خليفته
عبد المؤمن ، وأثار مسجد موحدي كبير .

لا يدخلها الفارس الا من شرقها ، أو من غربها ، فأما غربها (78) ، وهو الطريق اليها من مراكش ، فطريق أوسع ما فيه أن يمضى عليه الفارس وحده موسعا ، وأضيقة أن ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه ، وكذلك شرقها ، لان الطريق متنوعة في نفس الجبل ، تحت راكبيها حافات ، وفوقه حافات ، وفيها مواضع مصنوعة بالخشب ، اذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد ، ومسافتها على هذه الصفة نحو مسيرة يوم (79) ، وهذا الجبل جبل درن ، جبل مثلج أبدا ، آخذ من البحر المحيط ، الى قريب من تلمسان نحو مسيرة خمسين يوما ، وتتصل به من جهة تلمسان جبال أخرى ، تنقطع عند قابس ، وأحواز الجمة (80) ، وهى مسيرة شهرين . ولما استقر المهدي والموحدون بتينمال ، كان بمراكش رجل من أهل الاندلس يعرف بالفلكى الاندلسى ، وكان فاتكا شهما ، قاطع سبيل ، فعفا عنه أمير المسلمين على بن يوسف ، وسد به ثغور (81) مراكش ، فأول ما صنع له حصون ، ضبط بها أنقاب جبل درن ، الذى يتوقع بسببها الخوف من نزولهم الى البسائط ، فمنعهم من الهبوط عليها (82) .

- 78 — فى ك + د : غريبها .
 79 — يذكر هذا الوصف بما يجده المرء فى المصادر المشرقية من عربية وايرانية لقلعة الموت التى اتخذها حسن الصباح مقرا لدعوته الاسماعيلية الجديدة ، ويبدو ان المهدي علم بأخبار حسن الصباح وتنظيماته عندما كان فى المشرق ، ولعله استفاد منها .
 80 — موقع معروف فى تونس ، يبعد قرابة / 22 كم / من المهدية : فيه آثار من العهد الرومانى فريدة فى ضخمتها .
 81 — فى د + هـ : ثغر .
 82 — ذكر البيهقى فى كتابه أخبار المهدي 90 — 92 ، أسماء الحصون التى بناها المرابطون ، عنده ان الفلكى الاندلسى قد وجد مع أصحابه عام خمسة وثلاثين وخمسمائة .

نكر حصار المهدى لراكش

ولما فشت دعوة المهدى ، واتصلت طاعته ، وكثر أتباعه ، وتكررت هزائمه للمرابطين المرة بعد المرة ، خاطب جميع الموحدين برسالة بخط يده ، يستدعيهم للوصول اليه ، ويأمرهم بالقدوم عليه ليتينمال ، فوصلوا في غاية الاستعداد ، وقوة الامداد ، وتجمع عنده منهم نحو أربعين ألفاً ، فيهم الفرسان ، والغالب منهم الرجالة ، وقدم عليهم الشيخ أبا محمد البشير أحد العشرة من أصحابه ، ولم يسافر هو معهم ، اذ كان قد أصابه مرض ، ونزلوا من الجبل يريدون حاضرة مراكش ، فخرج اليهم المرابطون في أزيد من مائة ألف ، ما بين فارس وراجل ، فهزمهم الموحدون أصحاب المهدى ، ودخلوا المدينة على أسوأ حالة (83) ، ومات منهم بالسيف وبالأزدحام على الابواب خلق كثير ، وحصروا مراكش مدة أربعين (84) يوماً ، فتوالت الحروب ، واشتعلت ناراها كل يوم في قتال وهزائم ، وأعراس للطيور وولائم ، وكان جملة من انحصر بها من الفرسان نحو أربعين ألفاً ، ومن الرجالة ما لا يحصى عددهم الا خالقهم .

وفي خلال الحصار كان رجل من رؤساء الثغور بالاندلس ، يعرف بعبد الله بن همشك ، صنو الرئيس أبى اسحق ، بمراكش ، فكان بداخل مراكش ، مع أهل البلد ، وهى محصورة ، في مائة فارس من أصحابه الاندلسيين فقال يوماً لأمير المسلمين على

83 - في د + : حال .

84 - في د : مدة من أربعين ، وفي ك نحو من أربعين .

بن يوسف : ما نغير الا بالمقام تحت الحصار ، فضحك أمير المسلمين من قوله ، وحمله على السلامة والانفة ، وقال له : يا أبا محمد أتحسب أن قتال المصامدة مثل قتال الروم ؟ فقال له : يا أمير المسلمين ، قد كان عندى ببلاد الاندلس جماعة منهم ، علم خفتهم وشجاعتهم ، وتسارعهم للقتال ، ولكن المقام هكذا ليس بصواب ، والغزاة كثير عندكم ، يعنى الرماة ، فان كنتم تنظرون غير هؤلاء ، فالكل غير نافع ، اذ ينتظر بعضهم بعضا ، وانما يصنع ذلك مع القلة ، وأما مع الكثرة فلا ، ولكن أرغب من الله ، ومن الحضرة أن تأمرونى بجمع ثلاثمائة فارس (75) ، وأخرج بهم ، فأذن لهم فى ذلك ، وخرج ابن همشك بمن تجمع له من أصحابه من الاندلس ، لقتال الموحيدين . نسوف (86) على أحوالهم ، وكيفية قتالهم ، فرأى لهم عوالى كثيرة انطول ، فعند ذلك أشار على أصحابه أن يقصروا رماحهم ، وأن يردوها من ستة أذرع ، وبرز اليهم أول النهار ، فما انتصف حتى أدخل البلد منهم ثلاثمائة رأس .

ولما دخل بالرووس نشط الناس بمراكش ، وساروا بذلك لأمر المسلمين ، فأمر (87) فى الحين بخروج عسكر ، وقدم عليه الشيخ أبا محمد بن وانودين ، فالتقوا لقاء ثبت الله فيه أقدام المرابطين ، وهزم الموحيدين ، وسائر المصامدة ، وقتل منهم

85 — فى د : ان يامر لى بجمع مائة فارس ، وفى ك : ان تأمرنى بجمع ثلاثمائة فارس .

86 — فى د : فلما تشوف على احوالهم .

87 — فى ك : وسروا بذلك ، فأمر أمير المسلمين على بن يوسف بخروج .

فى ذلك اليوم أزيد (88) من أربعين ألفا ، ولم يسلم (89) منهم الا نحو أربعمئة ما بين فارس وراجل ، وقتل المقدم على عسكر الموحدين ، وهو الشيخ أبو محمد البشير ، أحد العشرة من أصحاب المهدي .

وكان لعبد المؤمن بن على فى ذلك اليوم ظهور ذب فيه على المنهزمين ، وحصى حوزة المفلولين ، واتبعهم المرابطون من حاضرة مراكش ، الى أغمات ، فأمعنوا القتل فيهم ، ولم ينج منهم الا اليسير ، ولما وصل الفل الى المهدي ، وفيهم أربعة من أصحابه ، وعبد المؤمن معهم وجدوه بتينمال مريضا ، فقال لهم : أسلم عبد المؤمن ؟ . قالوا : نعم ، قال منذ عاش عبد المؤمن بقى الامر (90) ، ذكر (91) ذلك ابن صاحب الصلاة وغيره .

ويذكر أنه كان لطائفة المهدي من الموحدين على المرابطين فى الحروب التى كانت بينهم نحو أربعين هزيمة حتى كانت هذه عليهم ، قتلوا فيها أجمعين ، ولم ينج منهم الا نفر يسير ، غزا المهدي منها بنفسه أربع غزوات (92) ، ففتح الله فيها عليه وعلى الموحدين الذين كانوا معه ، ولم يزل يرجع الى مستقره (93) بتينمال ظاهرا ظافرا من غزوه (94) .

88 — فى د : على .

89 — فى ك : بنجو .

90 — تعرف هذه المعركة ، بيوم البحيرة ، انظر اخبار المهدي : 39 — 41 .

91 — فى د : نقل .

92 — كذا فى الاصل ، وهى عند البيذق — اخبار المهدي : 35 — 39 ، تسع غزوات .

93 — فى د : حضرة .

94 — فى ك : ولم يزل مستقره بتينمال ظاهرا ظافرا من عدوه ، وبعد ذلك . وفى د : ويرجع الى حضرة تينمال ، ولما كان بعد هذه الهزيمة على الموحدين اشتد به المرض .

وبعد ذلك اشتد المرض بالمهدى ، وخرج من داره ليودع أصحابه ، وجمع الناس ليسمعوا كلامه ، ويشهدوا وداعه ، فقال لهم : ان صاحبكم راحل عنكم ، فبكى الناس وودعوه ، ثم دخل الى داره ، واتصل به المرض الى أن توفى يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وخمسمائة ، كانت مدته (95) من أول مبايعته الى حين وفاته ثمانى سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً .

ولما توفى (96) كتم أصحابه وفاته . ولم يعلموا بذلك أحدا الى أن أقاموا بعده عبد المؤمن بن على حسبما يأتى ذكره .

قال كاتب هذا : وأورد هنا شيئا من كلامه ، مما أثبتته فى بعض تواليفه الصادرة عنه ، فمن ذلك قوله : اعلم أرشدنا (97) الله وإياك أنه واجب على كل مسلم ، أن يعلم أن الله عز وجل ، واحد فى ملكه ، خلق العالم بأسره ، العلوى والسفلى ، والعرش والكرسى ، والسموات والأرض ، وما فيها وما بينها ، وجميع الخلائق مهورون بقدرته ، لا تتحرك ذرة الا بأذنه ، ليس معه مدبر فى الخلق ، ولا « شريك فى الملك » (98) « حتى قيام يوم لا تأخذه سنة ولا نوم » (99) « عالم الغيب والشهادة (1) ، « لا يخفى عليه شئ ، فى الأرض ولا فى السماء (2) » . « يعلم ما فى

95 — فى ك : أيامه .

96 — فى ك : مات .

97 — يعرف هذا النص عند الموحدين باسم المرشدة

98 — الأسراء : 111 .

99 — البقرة : 255 .

1 — الحشر : 22 .

2 — آل عمران : 5 .

البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين (3) ، « أحاط بكل شيء علما (4) » « وأحصى كل شيء عددا (5) » ، « فعال لما يريد (6) » . قادر على ما يشاء ، له الملك والغنى ، وله العزة والبقاء « وله الحكم (7) » والقضاء ، و « له الاسماء الحسنى (8) » لا دافع لما قضى ، ولا مانع لما أعطى ، يفعل في ملكه ما يريد ، ويحكم في خلقه بما يشاء ، لا يرجو ثوابا ، ولا يخاف عقابا ، ليس عليه حق ، ولا عليه حكم ، فكل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (9) » ، موجود قبل الخلق ، وليس له قبل ، ولا بعد ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال ، ولا أمام ، ولا خلف ، ولا كل ، ولا بعض ، لا يقال متى كان ، ولا أين كان ، ولا كيف كان ولا مكان ، كون المكان ، ودبر الزمان ، لا يتقيد بالزمان ، ولا يتخصص بالمكان ، لا يلحقه وهم ، ولا يكيّفه عقل ، لا يتحصل في الذهن ، ولا يتمثل في النفس ، ولا يتصور في الوهم ، ولا يتكيف في العقل ، لا تلحقه الاوهام والافكار ، « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (10) » .

ومن دعائه الذي كان يدعو به : اللهم أعنا على طاعتك ،

-
- 3 — الانعام : 59 .
 - 4 — الطلاق : 12 .
 - 5 — الجن : 28 .
 - 6 — هود : 107 .
 - 7 — القصص : 70 .
 - 8 — طه : 8 .
 - 9 — الانبياء : 23 .
 - 10 — الشورى : 11 .

وأتم (11) علينا نعمتك ، وزدنا من فضلك واحسانك ، وثبتنا على دينك حتى نلقاك وأنت راض عنا برحمتك يا أكرم الأكرمين .

اللهم وفقنا ولا تخذلنا ، واهدنا ولا تخيننا ، ووفقنا لما تحب وترضى (12) ، حيثما كنا ، وأعنا على القيام بحقك ، وحفظ أمانتك ، ورعاية عهدك ، بفضلك يا أرحم الرحمين ، يا رب العالمين ، وكان يقول في آخر دعائه : اللهم انك تعلم ذنوبنا فاغفرها ، وتعلم حوائجنا فاقضها ، وتعلم أعداءنا فاكفنا شرهم (13) ، كفى بك وليا ، وكفى بك نصيرا .

ومن شعره ما قاله في عبد المؤمن بن علي :

تجمعت فيك أشياء خصت بها

فكلنا بك مسرور ومغتبط

فالسنة ضاحكة والكف مائحة

والصدر متسع والوجه منبسط (14)

وقد تم الكلام في أخبار المهدي ، وأعود الى تمام دولة أمير المسلمين على بن يوسف ، وما كان من الاحداث في أيامه ، وذلك أنه لما اضطربت عليه الامور ، من لدن ظهور المهدي ، وعبد المؤمن بعده ، لم يستقم له أمر حتى مات ، والموحدون في أثناء ذلك تنمو أحوالهم ، ويعظم شأنهم ، وتأججت نار الفتنة بالمغرب ، واصطلى بحرها طلاب العافية ، ورضيها كل من ذهب الى الفساد ، وبسبب هذه الفتنة اتصلت الحروب ، وغلت الاسعار ، وتوالت

11 - في د + ك : وأتم .

12 - في د تحبه وترضاه .

13 - في د : فاكفيناهم .

14 - من المرجح أنه تمثل بها .

الفتن ، وعم الجذب وقللت المجابى ، وكثر على أهل الاسلام المحن بالعدوتين ، ووجه كثير من حماة الاندلس الى العدو ، ونقل اليها كثير من أسلحتها وعددها ، فكان ذلك أعظم فساد حل بالاندلس (15) ، واختل أمرها عليهم ، وألح النصارى بالضرب على جهات بلاد الاندلس حين علموا عجز الامارة بالمغرب عن الدفاع ، لما هم فيه من الفتن ، حتى تغلبوا على كثير من بلادها ، وكان الاسلام بها عزيزا ، والكفر مقهورا ، والجزية مرتفعة (16) منذ ملكها يوسف بن تاشفين الى زمان خروج المهدي ، فساءت الاحوال ، وكثرت الشدائد والاهوال ، ولما انتهت الحال بالعدوتين الى ما ذكر ، اجتمع المرابطون ، ووقع اتفاقهم على أن يكون ولي العهد بعد أمير المسلمين على بن يوسف ولده (تاشفين) لزعامته وشجاعته وشهامته ، ورجاحة عقله ، ولما ظهر منه في الاندلس ، من النكاية في العدو ، فولاه عهده ، وقدمه على عساكره ، ومباشرة الحروب التى كانت بينه وبين الموحدين ، ولما رأى أمير المسلمين على بن يوسف ما كان فيه من الادبار اغتم غما ، وأورثه مرضا ، أثر في جسمه ، فالتزم فراشه ، واشتد به ألمه ، وزادت علته ، الى أن توفى رحمة الله عليه ، وكانت دولته ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر ، ومات بمراكش في رجب الفرد سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وأوصى أن يدفن بين قبور المسلمين ، ولم يشهر موته الا بعد ثلاثة أشهر من وفاته ، وولى بعده ابنه :

15 — فى د : من أعظم فسادها .

16 — أى الجزية المفروضة على المسلمين ، كما كان الحال أيام دول الطوائف .

أمير المسلمين تاشفين بن على بن يوسف

كنيته : أبو محمد .

ولى عهده . بعده : ابنه ابراهيم .

ووزراؤه : جماعة من المرابطين .

كان بينه وبين الموحيدين فى مدة أبيه ، ومدته حروب ووقائع ، كان لهم فيها الظهور عليه ، واستقبل جيوش عبد المؤمن بن على بعد موت المهدي المرة بعد المرة ، فلم تقم له قائمة ، وتبدد عسكره ، ولم يكن له جواز الى الاندلس فى مدته بسبب اشتغاله بحرب الموحيدين ، الا أنه جاز اليها لما ولاه أبوه عليها ، وكان بطلا شجاعا حسن الركبة والهيئة ، وكان يسلك طريق الشريعة ، ولاه أبوه على عهده الاندلس ، فلقى الحصون وسد الثغور ، وأدكى العيون على العدو ، وآثر الجند ، ولم تنل عنده الخطوة الا بالغناء والنجدة ، فحمل على الخيل ، وقلد الاسلحة ، وأوسع الارزاق ، واستكثر الرماة ، وأركبهم ، وأقام همهم ، وعنى مدة مقامه بها بالغزو ، ومباشرة الحرب ، فهزم الجيوش ، وافتتح الحصون ، وتهيئه العدو ، فلم ينهض الا ظاهرا ، ولا صدر الا ظافرا ، ومهد أحوالها بالحزم ، وملك نفوس الرعية بالمعدلة ، وقلوب الجنود بالنصفة (17) ، وله فيها غزوات مشهورة ، ووقائع مذكورة ، أشير الى طرف منها ، وأعود الى ذكر حاله فى العدو ، منها :

17 — عرض هذا الوصف فى النسخ الخطية بشكل مضطرب ، فيه بتر وتقديم وتأخير .

غزوته الشهيرة بأحواز بطليوس ، بقرب الزلاقة ، موضع
 المعركة التى أوقع فيها جده بالطاغية الاعظم أذفنش حسبما تقدم
 ذكره ، وذلك أن الامير تاشفين اتصل به أن عظماء الروم وزعمائهم
 تألف لهم جيش يحتوى على آلاف من أنجاد رجالهم ، ومشاهير
 أبطالهم ، وقصدوا ناحية بطليوس ، فجاسوا خلالها ، ودوخوا
 أرضها ، فزحف اليهم ، وتلاقى معهم بمقربة الزلاقة ، فلما تراءى
 الجمعان اضطربت المحتلان ، وتراكبت المراكب ، فاتفقت
 مصافها ، ولزمت الرجال مراكزها ، فكان فى القلب مع الامير
 تاشفين المرابطون ، وأصحاب الطاعات ، تقدمهم البنود البيض
 الباسقات المكتوبة بالآيات ، وفى الجانبين كفاة الدولة ، وحماة
 الدعوة من أبطال الاندلس ، تقدمهم حمر الرايات ، بالصور
 الهائلات ، وفى الجناحين (18) أهل الثغور ، وذوو الجلالة
 والصبر ، وفى المقدمة مشاهير زناته ، ولفيف الحشم أهل العزائم
 الماضية ، والبصائر الثابتة ، بالرايات المطيفة ، والاعلام المنيفة ،
 فالتقى الجمعان ، واشتد الضرب والطعان ، فولى الكفرة الادبار ،
 وأمعنوا فى الفرار ، فتنبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، وصدر
 تاشفين الى قرطبة عزيزا ظافرا ، وكان ذلك سنة ثمان وعشرين
 وخمسائة .

وكانت له أيضا بالاندلس غزوة عظيمة ، وهى غزوة جبل
 القصر (19) ، وذلك أن الروم اجتمعوا فى جيوش وافرة ، وحشود
 متكاثرة ، فاكثحوا البلاد ، وسبوا ما ألفوه من العباد ، فاستحضر

18 — فى د : الجانبين .

19 — ذكره الحميرى فى الروض المعطار .

الامير تاشفين زعماء المرابطين ، ونظر ما عندهم في لقاء عدوهم ، فقالوا له : الدولة لنا ، فأما تركها أو حمايتها ، لا يتعذر منا أحد الى لقاء عدونا ، فاذا نحن استشهدنا ، فالامر لمن شاء الله بعد ، ثم استدعى العرب ، فقالوا له : ارم العدو بنا ، ولا تشرك أحدا معنا ، وسيرى الله عملنا ، استدعى زناتة والحشم ، فقالوا : لا جواب الا بالفعل ، وشرطنا أن تعول أيتامنا ، جزاك الله خيرا ، فأجابهم بما أطاب به نفوسهم (40) ، وقوى به عزمهم ، وخرج بالجميع الى الجهاد ، فكر (21) اليه من أعلمه أن الروم مالت الى التحصن في جبل القصر ، فأخذ الى الجبل ، فتعلقت الخيل به ، ترهقه وتصيب منه ، وقد شرع القتل في الروم ، فهالهم الامر ، وتردوا آخذين في غير طريق ، فأخذهم الطعن والضرب الى عدة أميال ، فأتى على جلهم القتل ، وأقلت النزر ، وامتلأت أيدي المسلمين ، من دوابهم وأسلحتهم ، وفكت الاغلال عن الاسارى ، وصرفت المواشى الى بلادها ، وكان هذا الفتح يربى على ما تقدم من نظرائه لاستئصال شوكتهم ، ووصل الامير تاشفين الى قرطبة ، وقد صنع الله له بفضل ما غاظ به عدوه .

وقد كانت له هزيمة على النصارى من بعد مناجزة جرت بين الفريقين أسلمه فيها جل من كان معه ، فتجلد للوقوف ، وصبر للمدافعة ، فلم ير أربط منه جأشا ، ولا أشهم نفسا في مطلع ذلك الهول .

20 — في د : بما أطاب به انفسهم .

21 — في د : فجاء .

وعند احتدام القتال هنأ الفقيه الكاتب أبو زكريا بن الصيرفي (22) بالسلامة في القصيدة المسطرة بعد ، وحذره من خدع الحرب ، ونبهه على أحكامها ، وما ينبغي أن يفعل فيها ، ورأيت أن أضعها في هذا الكتاب (23) ، لما تحتوى عليه من سياسة الحروب ، ولناسبتها (24) لهذا الموضع ، وهي هذه القصيدة المذكورة أولها هذا :

يا أيها الملأ الذي يتنفع (25)
من منكم البطل الهمام الاروع (26)
ومن الذي غدر العدو به دجى
فانفض كل وهو لا يتزعزع
تمضى الفوارس والطعان يصدها
عنه ، ويدعوها الوفاء ، فترجع

22 — هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن يوسف الانصارى الفرناطى ، يكنى بأبى بكر ، ويعرف بابن الصيرفي ، وهو صاحب كتاب الانوار الجلية في اخبار الدولة المرابطية ، الذي سبق التعريف به . وكان كاتباً لتاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين . انظر اعمال الاعلام لابن الخطيب ، قسم المغرب : ص 257 — 260 ط . الدار البيضاء 1964 م .

23 — سقط من هنا مع القصيدة في د .

24 — في ك : وملابستها .

25 — اشارة الى استخدام اللثام من قبل المرابطين .

26 — في ك : الاروع ، وهو ما اورده ابن الخطيب في كتابه اعمال الاعلام : 260/3 .

والليل من وقع السنايك (27) بينهم
صبح على هام الكماة ملمع
عن أربعين ثنت أعنتها دجى
ألفان ، ألف حاسر ، ومقنع
لولا رجال كالجبال تعرضت
ما كان هذا السيل مما يردع
يتقحمون على الرماح كأنهم
ابل عطاش والأسنة مكرع
ومن الدجى لم (28) على قمم الربى
وذؤابة بين الخطبا تنقطع
فثبت والاقدام تزلق والردى
حول السراشق والأسنة تقرع
لا يعظمون على الامير فانها
خدع الحروب وكل حرب تخدع
ولكل يوم حنكة وتمرس
وتجارب فى مثل نفسك تنجع
يا أشجع الأبطال ليلة أمسه
اليوم أنت مع التجارب أشجع

27 — عند ابن الخطيب : 260/3 « من وضع الترائك » ، والترائك هى
هى البيضاء (او الخوذات) الناصعة البيضاء ، ومن المفيد
ان نذكر ان هناك فوارق أخرى بين رواية صاحب الحال ورواية
ابن الخطيب : 260/3 — 263 . انظر ايضا مقدمة ابن خلدون ، ط .
بيروت : 489/1 .

28 — جمع لمة ، وهو شعر الرأس .

ما أنت من ملك ، على صغر ، له
 نظر صحيح ، والقنا تتصدع
 أهديك من أدب الوغى حكما بها
 كانت ملوك الحرب مثلك تولع
 لا أنسى أدرى بها ، لكنها
 ذكرى تخص المؤمنين وتنفع
 خندق عليك اذا ضربت محلة
 سيان تتبع ظاهرا أو تتبّع
 وتوق من كذب الطلائع انه
 لا ، أء ، للكذاب فيما يصنع
 فاذا احترست بذاك لم يك للعدى
 فى فرصة أو فى انتهاز مطمع
 حارب بمن يخشى عقابك لا الذى
 تخشى ومن فى جود كفك يطمع
 قبل التناوش عب جيشك مفسحا
 حيث التمكن والمجال الأوسع
 اياك تعبئة الجيوش مضيقا
 والخيل تفحص بالرجال وتمزع
 حصن حواشيها وكن فى قلبها
 واجعل أمامك منهم من يشجع
 وانبس لبوسا لا يكون مشهرا
 فيكون نحوك للعدو تطلع

واحتل لتوقع في مضايقة الوغى
 خدعا توريها وأنت موسع
 واحذر كمين الروم عند لقاءها
 واحفظ كمينك خلفها اذ تدفع
 لا تبقي النهر خلفك عندما
 تلقى العدو فأمره متوقع
 اجعل مناجزة العدو عشيّة
 ووراءك الصدف (29) الذى هو أمنع
 واصدمه أول وهلة لا ترتدع
 بعد التقدم فالنكوص تضعف
 وإنا نكأنت الرجال بمعرك
 ضحك فأطراف الرماح توسع
 حتى اذا صعبت عليك ولم يكن
 الا شماس دائم وتمنع
 ورأيت نار الحرب تضرم بالظبا
 ودخانه فوق الأسنة يسطع
 ثم اتئد فجميع من أحملته
 حتى يكون له المحل الارتفاع
 اياك تعتب ان تولت عصابة
 كانت ترجى للوغى وتدفع
 من معشر اعراض وجهك عنهم
 أنكى عقاب فى القلوب وأوجع

وهم الكرام فأين يذهب عنهم
 فعل الجميل وسخطك المتوقع
 تكبو الجياد وكل حبر عالم
 يهفو وتنبو المرهفات القطع
 أنى فزعتم يا بنى صنهاجة
 واليكم فى الروع كان المزع
 ما أنتم الا أساود خيفة
 كل لكل عزيمة مستطاع
 لو نال سيدكم بظلم لم يكن
 لكم التفات حوله وتجمع
 انسان عين لم يصنه منكم
 جفن وقلب أسلمته الاضلع
 تلك التى جرت عليكم خطة
 شنعاء وهى على رجال أشنع
 أو ما ليوسف جده من على
 كل وفضل سابق لا يدفع ؟
 أو ما لوالده علي نعمة
 وبكل جيد ربة لا تظلم
 أبطأتم عن تاشفين ولم يزل
 احسانه لجميعكم يتسرع
 خاف العدا ، لكن عليكم مشفق
 فهجعتهم ، وجفوننه لا تهجم

ومن العجائب أنه مع أنه
 أدرى وأشهر في الحروب وأضمر
 ولقد غفا وكان العفو منه سجية
 ولطود نو شء فيكم موضع
 يا تاشفين أتم لجيشك عذرد
 بالليل وانتحر نذرى لا يدفع
 هجم العدو دجى فروع مقبلا
 ومضى يميم وعو منك مروع
 كم وقعة لك في ديارهم انتفتت
 عنها أغزتها تاذ وتخضع
 النعمة العظمى سلامتك تقى
 قبيها من الظفر الرضى وانتفع
 كلا أهنى لا أخصى بنعمة
 فردا بها غز الجوائح ينفع
 كادت تكون ولو اذا لقرزلت
 منيا البسيطة والجبال تخضع
 وهوت بأندلس عقاب لم تدع
 قبيها لذكر أنه صوتا يرفع
 لا ضيع الرحمن سعيك نه
 سعى به الا سلام ليس يضيع
 نستودع الرحمن منك وديعة
 فهو الحفيظ كل ما يستودع

وكان للأمير تاشفين بن علي في الانفس غزوات كثيرة ،
وكانت جيوشه موفورة . وراياته منصوره .

فلما استنحل نحر الموحدين بالغرب وجه عليه أبوه السى
الانلس ، وولاه عبده . وقدمه لمداغتهم . ومباشرة حروبهم .
فكانت بينه وبينهم وقتع ، أكثرها عليه .

ولما توفي أبوه . وخلص له الامر ، كثر الطائع لعبد المؤمن ،
فنز من جبال تادلا وجبال غماره (30) ، يقتل ، ويغنم . وسلك
منه مستقبلا الجبال . ما بين غاس وتلمسان . تغير سراياه يصفه
ويسره . وتبعه الأمير (31) تاشفين . فكان الموحدون يسرون في
الجبال المنية (32) حيث الارزاق الواسعة . وكان تاشفين ينزل
البسائط بعساكره ، فلا يجد من البرابرة من يواصله ، ولا من
يسعين به ، ويدخله . وذلك بسبب الابيار وانقطاع الدولة
والانصار .

وانتقل عبد المؤمن الى جبل غماره . فتبعه تاشفين ، ثم
انتقل من جبل غماره الى جهة تلمسان ، وبايعه أكثر زناتة
المستوطنون بأحواز تلمسان ، ونزل برأس الجبل الذي عليها ،
وجاز وعره تسلك خيه أية تريد .

قال أبو علي الأشيري (33) : ووصلت الى الأمير تاشفين محلة

30 — انظر اخبار المبنى : 45 — 60 .

31 — في ك : أمير المسلمين .

32 — في ك : المانعة .

33 — هو حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب . من اهل تلمسان ، من
رجال القرن السحس ، ترجم له ابن الأبار في التكملة . وذكره ابن
صاحب الصلاة في المن بالامانة : 524 — 525 ، بين الشعراء في
البلاط الموحدي .

من ملك افريقية ابن حماد الصنهاجى برسم امداده واعانته ،
وعندما وصلوا اليه ، برز اليهم بجموعه ، فملاً فحص تلمسان
خيلاً ورجالا ، الا أنّ الادبار كان له محاذيا ، وبانقطاع دولته
مناديا ، فنزل الصنهاجيون بمطمتهم ، فأكرم تاشفين نزولهم ،
وأحسن اليهم ، والموحدون خلال ذلك ينظرون الى ما يصنعون ،
فما هالهم أمرهم ، ولا أفزعتهم كثرتهم ، وانهم طلّعوا اليهم
فى بعض الايام من جهة العباد (34) ، فهبط عليهم الموحدون ،
وهزموهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، وعند ذلك كتب تاشفين الى
الاقطار يستدعى أهلها ، فوصله عسكر سجلماسة ، وعسكر
الامداد من بجاية ، ووصل من الاندلس ابنه الامير أبو اسحق
ابراهيم بن تاشفين ، فولاه أبوه عهده ، وذلك سنة ثمان وثلاثين
وخمسائة ، وكان عنده من الروم نحو أربعة آلاف فارس ،
 واجتمعت عليه العساكر المذكورة بتلمسان ، وأمر بعرض
الجيش ، وسائر الوفود ، والجنود ، والتميز (35) عليهم ،
فميزوا وبرزوا ، وعجب (36) الناس من كثرة عددهم وعددهم
واحتفالهم فى الزينة ، حتى زعموا أنهم لم يروا مثل تلك الجيش
حسنا وجمالا ، وعدة وكمالا ، واصطفيت العساكر من باب
القرمادين (37) الى الجهة المتصلة بأصل الجبل ، وذلك كان آخر
جيش احتفل فيه المرابطون .

34 — ما زالت معروفة فى ضواحي تلمسان .

35 — التمييز فى الغرب هو عرض الجيش عند المشاركة .

36 — فى ك : حتى عجب .

37 — انظر البيان المغرب — ط . تطوان 1963 — : 15/3 فيه (القرمادين)

قال ابن اليسع : حدثني غير واحد من الموحدين قال : لما
 نزلنا من جبل تلمسان نريد بلاد زناتة (38) ، تبعدنا الموابتون ،
 فتلاقينا معهم ، قال : فصنعنا دائرة مربعة في البسيط ، جعلنا فيها
 من جهاتها الأربع صفا من الرجال بأيديهم القنا الطوال ،
 والطوارق المانعة ، ووراءهم أصحاب الدرق والحرا ب صفا ثانيا
 من ورائهم ، ووراءهم أصحاب المخالي فيها الحجارة ، ووراءهم
 الرماة بقوس الرجل ، وفي وسط المربعة الخيل ، فكانت خيل
 الموابطين اذا دفعت اليهم لا تجد الا الرماح الطوال الشارعة ،
 والحرا ب والحجارة والسهام النائرة ، فحينما تولى من الدفع
 وتدبر ، تخرج خيل الموحدين من طرق تركوها ، وفرج أعدوها ،
 فتصيب من أصابت ، فاذا كرت عليهم دخلوا في غاب القنا ، وكان
 هذا اليوم يعرف بيوم منداس ، فقد غيه من جيوش الموابطين ما
 لا يحصى ، وفي ذلك اليوم ظهر أمر عبد المؤمن بن على ، وكثر
 جمعه ، وكان من أعظم ما تأيد به عبد المؤمن على الموابطين قيام
 أهل الاندلس عليهم ، لكونهم أدخلوها من حماتها وأسلحتها ،
 والفساد الاكبر على الموابطين ، نسخ الامر بأمر غيره ، فكانوا
 يكتبون اليوم شيئا ، وغدا ينسخونه بغيره ، فيسخر منهم جنودهم
 ورعاياهم .

وقد كان تاشفين بنى حصنا بمقربة من وهران على شاطئ
 البحر ، وحصنه واتخذة ملجأ ، وأوعز لقائد اسطوله بالمرية أبى
 عبد الله بن ميمون أن يجهز له عشرة أجفان غزوية (39) نكون

38 — في د : بلاد تلمسان زناتة ، وفي ك : جبل زناتة .

39 — في د : حربية .

بمرسى هذا الحصن معدة لحادث يحدث عليه ، وان ألجأته ضرورة الى الجواز الى الاندلس جاز ، ثم ان الموحيدين والمرابطين انتقلوا من جهة تلمسان ، ونزل عبد المؤمن بالجبل المطل على وهران ، فتبعه تاشفين بمحطته ، ونزل بخارج وهران ، وكانوا يحاربون كل يوم ، دام ذلك بينهم شهورا كثيرة ، ولم يزل حال الموحيدين في علو وظهور كل يوم ، وحال اللمتونيين في ادبار لا يتم لهم أمر ، ولم ينجح لهم تدبير .

ولما استقر تاشفين بوهران ، تقلصت حاله تقلص الظلال ، وصارت أموره كلها الى الاختلال ، وضاعت به الحال ، وعان عزم الموحيدين عليه ، أيس من الحياة ، والتجأ الى الحصار ، بعد أن كان له في مماثلة الحروب أربع سنين وتسعة أشهر ، لم يستقر فيها ببلد ، ولا اجتمع بوالد ولا ولد ، وانه خرج من وهران على اختفاء واستتار ، وترك خيامه وعساكره بجهات وهران ، وصار منها الى الحصن الذي بناه على شاطئ البحر ، معه خاصته ليتفقد حاله وينتشف على الأجفان التي كان ينتظر وصولها من الاندلس ، فعلم به الموحدون فأحرقوا بالحصن من كل جانب ومكان ، وأشعلوا به النيران ، فلما جن الليل خرج تاشفين يطلب النجاة بنفسه ، فركب فرسه التي كانت تدعى بالريحانة ، وكانت مشهورة بالسبق . فتردى من حافة بعيدة المهوى ، يظن أن الارض وطيفة متصلة ، فلما أصبح وجد بأسفل الحافة ميتا على تلك الصورة (40) ، ولم يعلم بذلك عسكر المرابطين (41) ،

40 — انظر اخبار المبدى : 59 . البيان المغرب : 17/3 .

41 — في د + هـ : المرابطين حتى جاءهم خبره ، ففترقوا في البلاد ، وتبددوا الاقطار على حسب ما تجتلبه القصص فيها بعد ، ان شاء الله تعالى ، كانت مدته

وقطع عنهم الماء ، ومات أكثرهم عطشا ، وحمل السيف على من
بقى ضحى يوم عيد الفطر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، بعد
ثلاثة أيام من موت أميرهم تاشفين ، وكانت مدته من حين وفاء
والده سنتين وشهرين ، وكانت وفاته فى شهر رمضان المعظم من
سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . وولى بعده رحمه الله ابنه :

أمير المسلمين ابراهيم بن تاشفين

كنيته : أبو اسحق ، ولم يعقب .

ووزراؤه : جماعة من أشياخ المرابطين .

كان أبوه قد ولاه عهده ، وهو مقيم بوهران في محاربة
الموحدين ، ووجهه الى مراكش ، وأصبحه جماعة من لمتونة ،
وذلك قبل وفاته بشهر ، فبويع له بحاضره مراكش لما مات أبوه
بوهران ، وخالف عليه عمه اسحق بن على ، ونقض بيعته ، ودعا
لنفسه ، ووقع الخلاف والتدابير بينهما الى انقطاع دولتهم ،
ودخول الموحدين عليهم ، ولم ينهض بالملك بسبب استيلاء
الموحدين على معظم البلاد بالمغرب .

ولما دخل عبد المؤمن وهران ، انصرف بعد ذلك الى تلمسان
فملكها ودخلها غنوة ، وقتل أهلها وسبى حريمها ، ودخل كل واحد
من الموحدين من الموضع الذى يليه ، فأخذ فيها من الاموال ما لا
يحصى .

ذكر ابن اليسع أنه بلغ عدد القتلى الى مائة ألف ، أو أزيد ،
ولما ملكها أقام بها سبعة أشهر ، ورحل منها الى جهة المغرب (42) ،
فنزل على مدينة فاس ، وبها أحد أولاد على بن يوسف ، والمدبر
لامرها والمشرع عليها أبو محمد الجياني ، فاجتمعت عليه بها
الوفود من كل جهة ومكان ، وبالنسبة الى حصارها ، وأقام محاصرا

42 — انظر اخبار المهدي : 60 — 61 . البيان المغرب : 19/3 .

لها نحو تسعة أشهر (43) ، وأهلها يقاتلونه خارج البلاد ، ومن أشد ما دهاهم به أن الوادى الذى يشق مدينة فاس سده عليهم ، وأمر الناس أن يسووا الحطب والخشب ، ويرفعوا التراب على ذلك سدا بعد آخر حتى احتبس الماء ، وحصر الوادى ، فصار الفحص كله بحرا ، وأقام الماء يرتفع الى أن صار بحرا تجري غيه السفن ، استعان على ذلك بكثرة الآلات والعلم ، واتسع الفحص ، ثم هدم السد (44) بمرة ، فوقع عليهم السور ، وقد كان عبد المؤمن يريد أن يدخلها ، فوقف له أهل فاس على متهدم السور وقاتلوه من خارجها ، ولما طال عليهم الحصار ، وجه الجيانشى مشرقها فى خفية لعبد المؤمن فأمنه وأدخله من باب الفتوح ، وذلك أن واليها من المرابطين طالبه (45) بمال ، وضمن ني عليه ، فلم يكن فى وسعه أن يعطيه له ، فحينئذ عمل الحيلة فى دخول عبد المؤمن ، وخروج صاحبها عنها ، واستولى الموحدون على فاس ، ورحل عبد المؤمن منها الى سلا .

وقد كان عبد المؤمن بعث ستة آلاف فارس من رقانة ومكلاية ، وزناتة ، وكزناية الى محاصرة مكناسة ، فبنوا عليها سورا . وحفروا أمامه حفيرا ، فكأن أهلها فى سجن لا يقدرّون على الخروج منها شرقا ولا غربا ، أداروا السور عليهم ، وتركوا فيه أبوابا يدخلون منها لقتال أهل البلد ، فتركهم عليها ، وانصرف

43 — انظر اخبار المهدي : 62 — 63 ، وعنده ان حصار فاس دام سبعة اشهر ، انظر ايضا البيان المغرب : 19/3 .

44 — فى د + ك + هـ : الجسور .

45 — فى د : وذلك ان صاحبها المذكور طلبه ، ويتوافق ما اثبتناه مع ما جاء عند البيهقي : 62 . وابن عذارى : 19/3 . وباب الفتوح معروف ما زال يحمل نفس الاسم فى فاس .

الى سلا ، ولما وصل الى سلا تغلب عليها من ساعته ، وفتحها قبل نزوله ، وطاعت له قصبته التي كان بناها الأمير تاشفين في الرباط ، وأخذ في الحركة الى مراكش ، واستعد لها غاية الاستعداد ، وكان بها ولد تاشفين المتأمر بعده ، حسبما يذكر بعد ان شاء الله .

ذكر حصار مراكش

ولما كان في محرم سنة احدى وأربعين وخمسمائة ، توجه عبد المؤمن الى حاضرة مراكش ، مقر خلافة (46) المرابطين ، ووصلت جيوشه اليها ، ونزل بجبل بقربها يعرف بجبل جليز (47) ، وهو جبل صغير بنى عليه مدينة ، استند اليها وبنى فيها مسجدا وصومعة طويلة يشرف منها على مراكش ، ولما أكمل المدينة بالبناء ، ونزلت كل قبيلة في الموضع الذي حد لها ، زحفوا (48) بجمعهم لمراكش ، وقد كان كمن لهم الكمائن ، وأقام هو بالمنظرة يبصر أحوالهم ، فانهزم لهم الموحدون يجرونهم الى الكمائن ، ولما وصلوا الى مقربة سور المدينة التي بناها عبد المؤمن بالجبل المذكور ، وعلم عبد المؤمن بأن أكثر أهل مراكش من الفرسان والرجال خرجوا ، أمر بضرب الطبول ، وخرجت الكمائن ، فمات في ذلك اليوم من أهل مراكش ما لا يحصى ، واتبع السيف سائرهم الى الابواب ، فقتل بعضهم بعضا بالازدحام ، وطال الحصار عليهم ، واشتد الجهد بهم ، ولكثرة خيلهم ورجلهم نفذ طعامهم ،

46 — كذا مجازا .

47 — يطل هذا الجبل الآن على مدينة مراكش من الجهة الشمالية ، وبه سميت احياء المدينة العصرية .

48 — في د : رحاوا .

وفنيت مخازنهم حتى أكلوا دوابهم ، ومات منهم بالجوع ما ينيف على مائة وعشرين ألفا ، ولما طال عليهم الحصار ، واشتدت أحوالهم ، هلكوا جوعا حتى أكلوا الجيف ، وأكل أهل السجن بعضهم بعضا ، وعدمت الحيوانات كلها ، والحنطة بأسرها ، واختبرت المخازن فلم يوجد بها شيء ، وعجزت عساكر اللاتونيين حينئذ عن الدفاع والامتناع ، بضعف العدد والعدة ، وكثرة الضيقة والشدة ، ففتحت مراكش حينئذ على ما يأتى وصفه ، وذلك أنه لما كان يوم السبت ثامن عشر لشوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة — على ما نقله ابن اليسع ، أنه قال : حدثنى من أثق به ، أنه لما أراد الله فتحها ، داخل جيش الروم الذين كانوا بداخلها عبد المؤمن ، وأستأمنوه فأمنهم ، واتفقوا معه على أن يدخلوه من الباب المعروف بباب أغمات .

قال البيهقي : وأمر عبد المؤمن بعمل السلالم للسور ، وقسمها على القبائل (49) ، وأحدقوا بالمدينة ، فدخلت هنتاتة وتينمال من جهة باب دكالة (50) ، ودخلت صنهاجة ، وعبيد المخزن (51) من باب الدباغين (52) ، ودخلت هسكورة وغيرها من جهة باب أغمات ، فتنسّموا الاسوار ، ودخلوا البلد بالسيف ، وامتنع الأمير أبو اسحق ابراهيم بن تاشفين مع المرابطين وجملة

49 — فى د : اهل محله ، والذي عند البيهقي : 64 ، موافق لما جاء فى المتن .

50 — باب فتح فى سور المدينة من الجهة الشمالية الغربية .

الاعيان بداخل القُصبة المعروفة بقصر الحجر (53) ، وهو حصن حصين ، وتمادى القتال من البكرة الى وقت الزوال ، وطلبوا الآمان فلم يسعفوا ، ودخلوا عليهم ، فأخرجوا الامير أبا اسحق ، وأخرجوا معه جملة من الامراء وأبنائهم ، ومن كان معهم من لمتونة ، الى موضع المحلة بجبل جليز ، وان الامير أبا اسحق لما وصل الى عبد المؤمن ، رق له وأشفق عليه لصغر سنه ، وهم أن يعفو عنه ويسجنه . فقال له بعض أسياف الموحدين : أتحب (54) أن تربي لنا فرخ سبع ، ولما قدم الامير أبو اسحق ابراهيم بن تاشفين ، جعل يرغب لعبد المؤمن فى ابقائه ، فتنفل فى وجهه الامير سير بن الحاج ، أحد أسياف المرابطين ، وقال له : أترغب الى أبيك : أرشفق عليك ، اصبر صبر الرجال ، فقتل وقتل كل من أخرج معه .

قال ابن اليسع : وقتل فى ذلك اليوم ، مما صح عندى ، ما نيف على سبعين ألف رجل ، واستمر القتل على أهل البلد ثلاثة أيام ، وكانت مدته من حين وفاة أبيه ، الى دخول مراکش سنتين ، وزيادة أيام ، ووفاته فى شوال سنة احدى وأربعين

51 — المخزن مصطلح مقربى يراد به الدولة الحاكمة من رجال ادارة وسواهم .

52 — اسمه الآن باب الدبغ ، انظر السعادة الإبدية ، ط . ثانية : 10 — 12 .

53 — وتعرف احيانا باسم دار الحجر ، بناها — كما سبق ذكره — على بن يوسف بن تاشفين قصرا ، وقطع حجرها من جبل ايجليز ، ودعيت بهذا الاسم ، لان الغالب على مراکش البناء بالطين والطوب ، ويعتقد أن المكان الذى فيه الآن قبر يوسف بن تاشفين بمراكش ، على مقربة من ساحة الفناء ، هو قصر دار الحجر

54 — فى د : اتريد .

وخمسمائة (55) ، وبموته انقرض ملك أهل اللثام ، والملك لله الواحد القهار ، ويذكر أن الاستاذ أبا عبد الله بن وردى رأى (56) في النوم قبل انقراض المرابطين ببسير قائلا يقول :

ألا يا أيها المغرور ويحك لا تتم
فله في ذا الخلق أمر قد انبرم

فلا بد أن أن يرزوا بأمر يسوءهم (57)
فقد أحدثوا جرما على حاكم الامم

وقال بعض أهل علم الحدثان : انقراض دولة بنى تاشفين المعروفين بالمرابطين ، كسلك انبرم أزيد ما يكون : عندها يعون .
وقال فيهم القاضي أبوبكر بن العربي في تأليفه « عارضة الاحوذى في شرح سنن الترمذى » : المرابطون قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين ، وهم حماة المسلمين الذابون (58) عنهم ، والمجاهدون دونهم ، ولو لم يكن للمرابطين فضيلة ولا تقدم ، ولا وسيلة ، الا واقعة الزلاقة ، التى أنسى ذكرها حروب الأوائل ، وحرب داحس والغبراء مع بنى وائل ، لكان ذلك من من أعظم فخرهم ، وأربح تجرهم ، كانت مدتهم من أول ظهورهم تسعين سنة ، وبالاندلس ستة وخمسين سنة ، فسبحان من لا يبيد ملكه ، ولا يفنى دوامه ، لا اله الا هو العلى العظيم (59) .

55 — انظر اخبار المهدي : 65 . البيان المغرب : 24/3 .

56 — في د : انشد .

57 — في د : يسوءهم .

58 — في د : الزائدون .

59 — بحثنا الاجزاء المطبوعة وهى ثلاثة عشر من العارضة فلم نجد فيها النص اعلاه . . . !

وقد نظم الفقيه أبو طالب عبد الجبار الشقرى (60) في
ارجوزته دولة المرابطين ، فقال :

<p>استصرخ الناس ابن تاشفين مستدركا لما نبقى من رمق فجرد السيف على الرقاب وساقه ليومها ما ساقه قامت بنصر الدين يوم الجمعة لم يغن عنه يومه أذفنتشه وامتد ظل الله في الاسلام وأمن الجمع كأولى مره تعيث في المساء والغدو مقتديا حكم أبيه يقتفى غصب ظلما ملكه المكين واستحكمت في أهلها الأهواء</p>	<p>فاذ أراد الله نصر الدين فجاءهم كالصبح في اثر عسق أتى (61) أبويعقوب كالعقاب وواصل السير الى الزلاقة لله در (62) مثلها من وقعة وثل للشرك هناك عرشه واتصل الامر على النظام وانصرفت على العدو الكرة فالآن خيل الله في العدو ثم ولي على بن يوسف وبعد ذاك الليث تاشفين وأئت الفتن والأرزاء</p>
-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

60 — في ك : ابن الشقرى ؛ وقد عرف بالشقرى نسبة الى جزيرة شقر
بالاندلس ؛ وقد ذكره ابن بسام في الذخيرة — القسم الاول . المجلد
الثاني . ط . القاهرة : 1942 ، ص : 401 ، وقال : كان يعرف
بالمنبى ، تبرع اهل وقته ادبا ، واعجبهم مذهبا ، واكثرهم تفننا في
العلوم ، ثم اورد ارجوزته في التاريخ ص : 405 — 431 ، وجاءت
الابيات التى ذكرت فيها دولة المرابطين في آخر الارجوزة ، انما
هناك بعضى الاختلاف بين رواية صاحب الحل ورواية ابن بسام ،
ثم ان ايمن بسام لم يذكر الابيات الثلاثة
الاخيرة ، التى ارجئت للمرابطين بعد على
بن يوسف . انظر ايضا الخريد للعماد قسم الاندلس : 110 ؛ المغرب
لابن سعيد : 371/2 . نفح الطيب — ط . بيروت : 182/3 .

61 — في د : واغى ، وهو مطابق لرواية ابن بسام .
62 — في ط . علوش : لله در ، يالها ، وما اثبت في المتن جاء في د + ك .
وهو موافق لرواية ابن بسام .

والله بالمرصاد من ورائهم وهو المرجى لدفاع دائهم
ولما توفي ابراهيم بن تاشفين ، دخلت مراکش بالسيف
حسبما تقدم قبل هذا ، وولى فيها بعده عبد المؤمن بن علي ، علي
حسب ما يأتي بعد ان شاء الله تعالى ، وصلى الله على سيدنا
محمد وسلم .

الخليفة عبد المؤمن بن علي

نسبه : هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن
مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الامير أبو موسى بن عبد الله
بن يحيى بن زريع بن صطفور بن ينور بن مطماط بن خزر ج بن
قيس بن عيلان بن مضر ، هكذا نسبه كثير ممن له عناية بهذا
الشان .

وحكى بعضهم أنه نقله على هذه الصورة من خط حفيده
السيد أبي محمد عبد الواحد (63) .

كنيته : أبو محمد ، لقبه الموحدون بالخليفة أمير المؤمنين .
بنوه : المذكور نحو سبعين .

ووزرائه : ابنه السيد أبو حفص عمر ، وعبد السلام
الكومي ، وأبو جعفر بن عطية القضاء (64) الكاتب . وقد تقدم
ذكره وتوليته في اسم المهدي ، ولما توفي المهدي ، حسبما تقدم

63 — اورد البيهقي في المقتبس : 12 — 13 ، ما قيل بصدد نسب عبد
المؤمن ، وهو يختلف بعض الاختلاف عما جاء هنا .

64 — انظر البيان المغرب : 26/3 — 27 .

قبل ، تفاوض بقية أصحابه وهم أربعة ، فيمن يكون امامهم بعده ، فوقع اتفاقهم على عبد المؤمن ، لما كانوا يشاهدونه من تعظيم المهدي له بمحضر أصحابه ، وجميع الموحدين ، ويقبل عليه ، ويستبشر بكلامه ، فاتفقوا عليه ، وقدموه ، فأقام فيهم مسودا عندهم ، سائسا لامرهم ، مدبرا لملكهم ، وحدث بينه وبين المرابطين ما تقدم ذكر البعض منه .

ولما كمل اجماعهم في تقديمه سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وبايعه أهل الخمسين ، وسائر الموحدين ، تشاور معهم على أى جهة تكون حركته (65) الاولى ، فاتفق رأيهم على قصد تادلا وأحوازا ، فتوجهوا نحوها ، وطاعت له ، ومنها الى درعة فملكها ، ولم تزل من حين ولايته أمور الموحدين تنمو ، وأجوالهم تعظم ، وهم فى كل يوم يظهرون على المرابطين ، الى أن كان ما تقدم من استيلائهم على بلاد المغرب ، وحصر حاضرة (66) مراكش ، ودخولها عليهم بعد ذلك ، حسبما تقرر فى موضعه .

قال ابن صاحب الصلاة : ولما تم لعبد المؤمن ، فتح مراكش ، ودخلها ، رجع منها الى محلته ، وجعل الامناء على أبوابها مدة من شهرين ، فاجتمع فيئها وأموالها (67) ، فقسمها على الموحدين ، وقسم عليهم ديارها ، وبيع عيال مراكش ، وأولادهم بيع العبيد ، الا زينب بنت على بن يوسف ، فاحترمت عن البيع ،

65 — فى ك : حركتهم .

66 — فى ك : حضرة .

67 — فى د : ما فيها من الاموال ، وفى ك : واجمع فيها اموالها .

لكان زوجها الأمير يحيى بن اسحق الموسوى (68) ، المعروف
بونزمار ، لكونه ترك قبيلته ، ودخل دعوة عبد المؤمن ، فاحترمت
داره من الفىء .

واستولى عبد المؤمن على خزائن على بن يوسف ،
وذخائر لتونة ، مما يقصر على وصفه اللسان ، ولا يأتى على
شرحه البيان ، وبقيت مراكش ثلاثة أيام لا يدخلها داخل ،
ولا يخرج منها خارج ، وأبى الموحدون دخولها ، لان المهدي
كان يقول لهم : لا تدخلوها حتى تطهروها ، فسأل الموحدون
الفقهاء عن ذلك ، فقالوا لهم : تبنون أنتم مسجدا آخر ، فكان
ذلك .

فبنى الخليفة عبد المؤمن بدار الحجر مسجدا آخر ، جمع
فيه الجمعة ، وشرع فى بناء المسجد الجامع ، وهدم الجامع الذى
كان أسفل المدينة الذى بناه على بن يوسف .

ولما أكمل عبد المؤمن بناءه صنع فيه نفقين (69) ، يدخل من
القصر اليهما ، ومنهما الى الجامع ، لا يطلع عليه أحد ونقل اليه منبرا
عظيما كان قد صنع بالاندلس ، فى غاية الاتقان ، قطعاته عود
وصندل أحمر وأصفر ، وصفائحه من الذهب والفضة (70) ،
وصنع مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع ، تسع أكثر من ألف
رجل ، وكان المتولى لصناعة خروجها رجل من أهل مالقة ، يقال له
الحاج يعيش ، وهو الذى تولى النظر فى مدينة جبل الفتح على

68 - فى د + ك : اللمتونى .

69 - فى المطبوع - سباط - وقد اعتمدنا ما جاء فى المخطوطات لموافقة المعنى

70 - كذا فى الأصل ، وهو غريب لمنافاته عقائد الموحدين .

حسب ما يأتى ذكره ، فى مدة الخليفة عبد المؤمن بن على .

وكيفية هذه المقصورة أنها وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه ، وتخفض لدخوله ، وذلك أنه صنع على يمين المحراب باب داخله المنبر ، وعن يساره باب داخله دار فيها حركات المقصورة والمنبر ، وكان دخول عبد المؤمن وخروجه منها ، فكان اذا قرب وقت الرواح الى الجامع يوم الجمعة ، دارت الحركات بعد رفع البسط عن موضع المقصورة ، فتطلع الاصلاص به فى زمان واحد لا يفوت بعضيا بعضا بدقيقة ، وكان باب المنبر مسدودا . فاذا قام الخطيب ليطلع عليه ، انفتح الباب وخرج المنبر فى دفعة واحدة ، بحركة واحدة ، ولا يسمع له حس ، ولا يرى تدبيره ، يقول فيها الكاتب أبوبكر ابن مجبر يحيى الفهرى من قصيدة طويلة (71) :

طورا تكون بمن حوته محيطه	فكانها سور من الاسوار
وتكون طورا غنيم مخبوءة	فكانها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير السورى	فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالأمير يزورها	فى قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده	فتكون كالهالات للأقمار

وان الخليفة عبد المؤمن غرس خارج مراكش بستانا طوله ثلاثة أميال ، وعرضه قريب منه ، فيه كل فاكهة تستهيه الانفس ، وجلب اليه الماء من أغمات ، واستتب عيوننا كثيرة .

71 — هو أبو بكر يحيى بن مجبر ، من اهل بلش ، توفى بمراكش 582 ، انظره فى بغية الملتصق .

قال ابن اليسع : وما خرجت أنا من مراكش في سنة ثلاثة وأربعين وخمسمائة ، الا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن ، يبلغ مبيع زيتونه ، وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية ، على رخص الفواكه بها .

ولما توالى عليه الفتح ، واستوثق له الامر ، قام عليه قائم ببلاد السوس الاقصى ، وهو محمد بن عبد الله بن هود الماسي ، وتسمى بالهادي ، وادعى الهداية ، اقتداء بالمهدي ، محمد بن عبد الله ابن تومرت ، وكان قصارا ببحر سلا ، فأقبل الناس عليه من كل مكان ، واجتمعوا عليه اجتماعا ، طار به الذكر في الآفاق ، وقامت بدعوته أمم لا تحصى ، واتصلت دعوته في جميع أقطار " السوس " ، حتى لم يبق منها الا مراكش وفاس ، وخالفت عليه سائر البلاد ، ورفضوا دعوة الموحدين ، وكاد يضمحل وينقرض ما قاتلوا عليه منذ خمس وعشرين سنة ، فوجه اليه عبد المؤمن عسكرا ، فهزمه الماسي المذكور ، وعاد اليه خاسرا مهزوما ، ووجه اليه جيشا آخر ، وقدم عليه الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي ، ومعه جملة من الموحدين ، وجملة من الرماة ، وطائفة من النصاري ، وغيرهم من الاجناد ، واستعدوا للقاءه بالسوس غاية الاستعداد ، فانهمز وقتل هو وكثير من أهل عسكره ، وتخلص الملك بعد ذلك بالمغرب لعبد المؤمن (72) .

وفى أثناء ذلك قاتل عبد المؤمن قبيلة دكالة (73) ، فانهازت الى الساحل فى نحو عشرين ألفا فارس ، ومائتى ألف راجل ، وسار اليهم عبد المؤمن فى أمم لا تحصى من الخيل والرجالة والرماة ، وكان أهل دكالة لا رأى عندهم ، ولما اصطفوا وتأهبوا للقتال ، جاءهم من ناحية أخرى غير الناحية التى اعتقدوها ، فانحل نظامهم ، وقل جمعهم ، وخرجوا عن وعر الموضع الذى كانوا به ، فالتجأهم السيف الى البحر ، فقتل أكثرهم فى الماء ، وأخذت ابلهم ، وغنمهم ، وأموالهم ، وسبى أولادهم ، وانتهى البيع فيهم الى بيع المرأة بدرهم ، والغلام بنصف درهم .

ولما تخلص له ملك المغرب ، وصلته بيعة من بعض المواضع بجزيرة الاندلس ، وأول بيعة وصلته منها ، وأول وفد وفد عليه أهل اشبيلية ، ولذلك اعتنوا بها فى مدتهم ، وصيروها حاضرتهم بالاندلس ، وكان من الوفد القادمين عليه القاضى أبوبكر بن العربى المعافى ، والخطيب ابو عمر وابن حجاج والكاتب أبوبكر بن الجد ، وأبو الحسن الزهرى ، وأبو الحسن ابن صاحب الصلاة ، وأبو بكر بن السجره ؟ والباجى ، والهوزنى ، وابن القاضى شريح ، وعبد العزيز الصدفى ، وابن السيد ، وابن الزاهر ، وغيرهم من وجوه اشبيلية فى ذلك

73 — دكالة عند بعض النسابين من صنهاجة ، كانت منازلها فى القديم على سيف البحر بين وادى أم الربيع ، ووادى تنسيفت ، ومنذ القرن السادس داخلت قبائل دكالة قبائل من هلال واحلافها ، فاستعربت دكالة ، ثم انقسمت بعد ذلك الى قسمين : دكالة الحمراء ، وهى الجنوبية ، مساكنها حول آسفى ، وتسمى اليوم عبده ، ودكالة البيضاء ، وهى الشمالية التى ما تزال تحتفظ باسم دكالة

العهد ، فأذن لهم في السلام عليه ، وتقدم القاضي أبو بكر بن العربي ، وخطب خطبة بليغة ، استحسناها الخليفة عبد المؤمن ، ثم تلاه الفقيه أبوبكر بن الجد بخطبة ثانية ، فأحسن وأجاد ، ودفعوا له بيعة أهل اثبيلية ، مشهودة بخطوطهم ، فقبلها منهم ، واستحسن فعلهم ، ثم ان الخليفة عبد المؤمن سأل ابن العربي عن المهدي ، هل رآه قط ، أو لقيه في مجلس الامام أبي حامد الغزالي ببغداد ؟ فقال له : لم ألقه ، وانما سمعت به ، وان الشيخ كان يقول لا بد من ظهوره ، وفي اياب هذا الوفد من وجهته هذه مرض ابن العربي ، وتوفى رحمه الله ، ودفن بجبانة فاس (75) .

ولما تم (76) لعبد المؤمن ملك المغرب شرع في اعمال الحركة الى افريقية ، واستيلائه على مملكة الامراء من بني حماد الصنهاجيين ، فحشد جميع الموحدين ، وخرج من مراكش ، واحتل بسبته ، وأظهر الجواز الى الاندلس للجهاد ، واستدعى وجوه الاندلس ، واستوضح مسائلهم ، ثم رحل منها مظهرا العودة الى حاضرة مراكش ، وفي أثناء ذلك قسم عسكره على ثلاثة : وجه ثلثا واحدا الى الاندلس مع ابنه السيد أبي حفص ، وعاد هو بالثلثين .

قال الامام أبو يحيى بن اليسع : ان الذي تحققته ، أن خيام السيد أبي حفص بلغت في هذه الوجهة الى ستين ألف

74 — انظر اخبار المهدي : 69 .

75 — في ك : بخارج فاس ، وقبر ابن العربي ما زال معروفا بفاس ، ويبدو ان خبر سؤال عبد المؤمن لابن العربي مخترع ذلك ان رجوع ابن العربي من المشرق كان قبل رحلة المهدي بسنوات

76 — في د : ولما تخلص .

خيمة ، ولما وصل طنجة ، أخذ على قصر عبد الكريم (77) ، وجعل مدينة فاس على يمينه ، وأخذ قاصعا (78) الى الشرق ، ونادى مناديه في المحلة : أيها الناس من تكلم منكم بكلام معناد ، الى أين هذا السفر، فجزأؤد السيف، ثم تحرك الى بجاية، مستعجلا في الرحيل ، فما شعر صاحب بجاية ، العزيز بالله يحيى بن ناصر ، من ملوك بنى حماد ، حتى وصله عامله بالجزائر ، وقد خرج منها ، ودخلها الموحدون ، وقد كان بين الخليفة عبد المؤمن وبين ابن حمدون ، وزير صاحب بجاية كتب ومداخلة ، فلما سمع به ، فتح له باب بجاية ، وفر من قصبتها ابن حماد الى قسنطينة ، وجاسره بها الموحدون ، فنزل منها على أمان ، وصار مع الخليفة عبد المؤمن الى ~~الجزيرة~~ مراكش ، فأعمره الديار ، وأقطعـه الضياع ، وأقام هو وبنوه تحت اكرام ومبرة الى أن انقضوا .

ولما استقر ابن حماد بمراكش ، تخامل وتجاهل ، وشغل نفسه بالصيد ، واستعمل ثباك الحديد لصيد الاسد ، وكان يهديها للخليفة عبد المؤمن ، فيثيبه عليها ، وانه صاد في بعض الايام شبلا صغيرا ، وأدخله على الخليفة في مجلسه ، فأمر بحله من عقاله ، قمشى الشبل بين الناس يخترق الصفوف ، حتى وصل الى بين يدي الخليفة ، فربض وسكن لا يتحرك من موضعه، واتفق أن أهدى له في ذلك اليوم زرزور يتكلم بأنواع الكلام ، فارتجل الكاتب أبو على الاثيرى أبياتا في صفة الحال فقال :

77 — قصر عبد الكريم هو ما يعرف اليوم في المغرب باسم مدينة القصر

الكبير .
78 — في د : قاصدا .

أنس الثبل ابتهاجا بالأسد ورأى ثبه أبيه فقصد
ودعا الطائر بالنصر لكم فقضى حقكم لما وفد (79)
أنطق الخالق مخلوقه بالشهادات فكل له قد شهد
أنك القائم بالأمر له بعدما طال على الناس الامد (80)

واستولى عبد المومن على افريقية ، وقدم عليها الشيخ أبا
محمد بن أبي حفص (81) ، وعاد الى حاضرة مراكش ، وقد
تهيأ له فتح لاكفائه ، وكان الخليفة عبد المؤمن بارا بمن انضوى
اليه ، عارفا بأقدار الناس ، مكرما لآعيانهم وأهل البيوتات
منهم ، عالما بمقادير العلماء ، ينزل الناس على قدر منازلهم
ورتبهم ، ووقف الحفاظ لحفظ « كتاب الموطأ » هو
« وكتاب أعز ما يطلب » وغير ذلك من تواليف المهدي ، وكان
يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر ، فيجتمع الحفاظ
فيه ، وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة ، من المصادمة
وغيرهم ، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده ، فيأخذهم
يوما بتعليم الركوب ، ويوما بالرمى بالقوس ، ويوما بالعموم في
بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة ، طول تربيعها نحو ثلاثمائة
باغ ، ويوما يأخذهم بأن يجذفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم
في تلك البحيرة ، فتأدبوا بهذه الآداب ، تارة بالعطاء ، وتارة

79 — في د + ك : ورد .
80 — أورد صاحب روض القرطاس — ط . الرباط ، 1973 — ص :
184 — 186 ، قصة طريفة حول هذه الحادثة ، مناقضة لما
جاء هنا .

81 — انظر اخبار المهدي : 80 — 81 المن بالامانة — ط . بيروت 1964 :
120/2 — 126 . روض القرطاس : 197 — 198 . البيان المغرب :
38/3 — 41 .

بالأدب ، وكانت نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده ، وخيلهم وعدتهم
كذلك .

ولما كمل (82) له هذا المراد فيهم ، عزل بهم أشيـاخ
المصامدة عن ولاية الاعمال والرئاسة ، وقال : العلماء أولى منكم ،
فسلموا لهم ، وأبقاهم معهم في المشورة ، وقد كان ظهر له حين
ذلك ثلاثة عشر من أولاده ، كلهم حفاظ خطاطون ، وقد كملت
فيهم الصفات التي رباهم عليها ، وتخلقوا بالخصال الحميدة ،
فأشار عليه أشيـاخ الموحدين بتقديمهم (83) ، وقالوا له : يا أمير
المؤمنين ، أبناؤك (84) أولى بالتقديم ، فأظهر الامتناع ،
ولم يزلوا به حتى ولاهم الاعمال ، وجعل كل واحد منهم على
اقليم ، وقدم أبناء المشيخة تحت أيديهم ، فولى السيد أبا حفص
عمر عمل تلمسان ، ووجه معه الشيخ أبا محمد بن وانودين (85) ،
والكاتب أبا الاصبع بن عياش ، على جهة التأديب والتعليم ،
وولى السيد أبا سعيد عثمان غرناطة ، ووجه معه الشيخ أبا عبد
الله بن سليمان ، والكاتب أبا الحسن بن هردوس ، وولى
السيد أبا محمد عبد الله بجاية ، ووجه معه الشيخ أبا سعيد
يخلف بن الحسين ، والكاتب أبا بكر بن حبيش ، وولى أبا الحسن علي
على فاس ، ووجه معه الشيخ أبا يعقوب يوسف بن سليمان ،
والكاتب أبا العباس بن مضا ، وتوجه كل واحد من هؤلاء معهم
على جهة التدريب ، والتعليم لهم .

82 — في ك : تم

83 — في ك : بتوليتهم .

84 — في ك : أولادك .

85 — اسمه عبد الحق ، انظر بعضا من اخباره في المن بالامامة :
177/2 — 179 . البيان المغرب : 44/3 .

ذكر توجه الخليفة عبد المؤمن الى المهديّة

كانت عادته في أسفاره أن يرحل بعد صلاة الصبح ، بعد أن يضرب طبل كبير ، مستدير الشكل ، دوره خمسة عشر ذراعا ، منشأ من خشب ، أخضر اللون ، مذهب ، فاذا ضربت فيه ثلاث ضربات ، علم أنه طبل الرحيل ، فيرحل الناس ، وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه ، وبلغ جيشه في هذه الوجهة الى خمسة وسبعين ألف فارس ، ومن الرجالة الى خمسمائة ألف ، وكان العسكر منقسما على أربعة عساكر ، لكل عسكر يوم يختص به ، وماء ينزل عليه ، مسيره في كل يوم مرحلة ، الى وقت الغداة ، وتنزل الجيوش مريحة الى يوم آخر ، قطع من سلا الى تونس في ستة أشهر ، وهي مسيرة سبعين (86) يوما للمجد الراكب .

وكان اذا ركب ، اجتمع اليه (87) أعيان الناس ، فيدعون له ، ويتقدم الناس ، ويمشى أمامه على بعد منه مقدار مائة فارس بمصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو الذى كان عند الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ، من خلفاء بنى أمية بالاندلس ، وكان في زمن الخليفة عبد المؤمن بجامع قرطبة ، فبعث اليه ، وجيء به ، فأنفق عليه أموالا عظيمة ، وصنع له تابوتا عجيبا ، وغلفه بغلاف صفائح من الذهب ، ورصعه بالياقوت الأحمر ، وكان من أغرب ما فيه الحافر الاحمر من الياقوت الذى

86 — كذا . وفيه ما فيه .

87 — في د : عليه .

هو على شكل حافر الفرس ، وكان فيه نفيس الدر والياقوت
والزمرد ، وكل ذخيرة حصلت عند المرابطين ، وعند بنى حماد
الصنهاجيين ، وعند بنى هود ، وعند بنى عباد ، ولما أكمله صنع
له هودجا يحمل فيه على نجيب ، وعلى الهودج أربع علامات
حمر ، ويتبعه هو وابنه السيد أبو حفص وراءه . لا يوازيه
أحد ، وأبناؤه الآخرون وراء أخيهما أبى حفص ، لا يوازونه ،
الا الأقرب من أبى حفص السيد أبو عبد الله ولى العهد (88) ،
ثم تتبعه البنود والطبول ، ومن ورائها الامراء المدبرون لامر
دولته ، ويتتابع الناس لاتراحم بينهم ، فاذا كان وقت النزول ،
نزلت كل قبيلة فى منزلها ، وعلى ترتيبها ، لا يتعدى أحد طوره ،
لهم رتب معلومة ، قيدها احد ، وحماها الخوف ، وفى محلته
جميع الصنائع وكل ما يحتاج اليه المسافر معهم ، كأنه مقيم
بداره .

ولما نزل على تونس ، بعث اليه أهلها يسألونه الامان ،
فأمنهم فى أنفسهم وأولادهم ، لا فى أموالهم ، ودخل الجيش
المدينة ، وحصلت أموالهم كلها تحت التقييد ، وبيعت أمتعتهم ،
وبنى بأعلاها قصبة أبراجها مثله الزوايا ، أمامها فصيل من
نوعه ، حال بين ساكنها (89) وبين البلد .

ورحل منها يريد المهدية ، وقد كان تملكها النصارى فى سنة
ثلاث وأربعين وخمسمائة ، استولى عليها صاحب جزيرة صقلية ،

88 — خلعه عبد المؤمن من ولاية عهده قبيل وفاته بوقت قصير ، وولى
مكانه ولده الآخر المعروف بأبى يعقوب ، انظر المن بالامامة :

221/2 — 222 .

89 — فى د : سكانها .

وعلى صفاقس ، ودخل بونة وغيرها من ذلك الساحل ، وعادت الى المسلمين على يد الخليفة عبد المؤمن سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، فأقام عليها ستة أشهر وتسعة أيام ، وكان بداخلها من الافرنج ثلاثة آلاف ، وما للمهدية قتال من البحر ، وانما قتالها من شمالها ، ومن ناحية البر ، من مكان ضيق ، قد حصن بسور عرضه يمشى عليه فارسان ، ووصل اليهم مائة جفن من جزيرة صقلية بالاقوات (90) والعدد ، فخرج اليهم القائد أبو عبد الله بن ميمون باسطول الاندلس والمغرب ، وأقام على باب دار الصنعة (91) ، ولا دخول اليها الا من بابها ، فأخذوا الكثير منهم ، ولما طال الحصار ، خرج اليه ثمانية من أعيان الروم ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين أنت الموجود عندنا في كتبنا أنك تملك الارض ، وغرضنا هو الخروج عن البلاد (92) بأموالنا وأهلنا ، ونترك لك البلد (93) ، فكتب لهم (94) الامان بذلك، وخرجوا في البحر الى صقلية، ودخل الخليفة عبد المؤمن الى المهدية سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وانقادت اليه أقاليم افريقية كلها ، واستعمل على تلك الجهات عماله ، وعاد الى المغرب ، ولما وصل الى مدينة فاس ، توجه منها الى سبتة ، وجاز الى الاندلس (95) سنة خمس وخمسين وخمسمائة :

90 — في ك : بالآلات .

91 — لم يمكن حتى الآن تحديد مكانها على ساحل المهدية .

92 — في ك : البلد .

93 — في د : البلاد .

94 — في د : اليهم .

95 — انظر أخبار المهدي : 80 — 81 المن بالامامة : 120/2 — 126 .

روض القرطاس : 197 — 198 . البيان المغرب : 38/3 — 41 .

تاريخ الدولتين للزركشي — ط. تونس 1966 : 11 — 13. المونس :

116 — 117 . الحلل الهندسية للسراج : 1/969 — 989 .

جوازہ الى الاندلس

ونزل (96) بجبل الفتح ، وأمر ببناء الحصن الكائن الآن
فيه ، على ما هو عليه ، وهو الذي اختط رسمه بيده ، وتولى
بناؤه ، ابنه السيد أبو سعيد عثمان ، صاحب غرناطة ، وكان
ممن بناه وشوور فيه الحاج يعيش المهندس ، وصنع بأعلى
الجبل رحي تطحن الاقوات .

وفي أثناء مقامه بالجبل (97) بعث ثمانين^{٩٦} عشر ألف فارس
من عسكره بالجبل الى أرض العدو ، وأنته^{٩٧} وفود الاندلس من
كل جهة ومكان ، واحتفل شعراء الاندلس في المصائد ، وخطبائها
في الخطب ، وكان في وفد غرناطة الوزير أبو جعفر بن سعيد
العنسى ، وهو حدث السن ، في جملة أبيه وأخوانه ، فدخل معهم
على الخليفة ، وأنشده قصيدة منها :

تكلم فقد أصغى الى قولك الدهر
وما لسواك اليوم نهى ولا أمر
ورم كل ما قد شئتفه فهو كائن
وحاول فلا بر يفوت ولا بحر
وحسبك هذا البحر فالأفانسه
يقبل تربا داسه جيشك المجر
وما صوته الا سلام مرمر
عليك وعن ثغر بقربك مفتر

96 — في ك : واحتل .

97 — في د : بجبل الفتح .

يجيش لكى يلقى أمامك من غدا
يعاند أمرا لا يقوم له أمر
أطل على أهل الجزيرة سعدا
وصدقها من ذلك الخبر الخبر
نما « طارق » الا لذلك مطرق
« ولابن نصير » لم يكن ذاك النصر
هما مهادها كى تحل بأفقهها
كما حل عند التم بالهالة البدر (98)

غلما جاز الى العدو ، انصرف الى مراكش ، وقد كمل له
الملك باغريقية ، مسيرة أربعة أشهر من المشرق الى المغرب ،
ومن أطرابلس الى أقصى السوس ، ومن الجنوب الى الشمال ،
فى أعرض المواضع من قرطبة ، الى سجلماسة خمسة وعشرين
يوما .

وكانت مدته ثلاثا وثلاثين سنة ، وثمانية أشهر ، وخمسة
وعشرين يوما ، من حين وفاة المهدي .

ومن شعره لما أقبلت حشود لمطة الى فحص مراكش
مع الامير أبى اسحق ابراهيم بن تاشفين بن أمير المسلمين
على بن يوسف ، وهزمهم الموحدون ، وغنموا لهم من الجمال
نحو ثمانين ألفا ، هناء المشرف أبو محمد عبد الله الجياني (99) ،
بشعر أوله :

98 — قدم ابن صاحب الصلاة : 149 — 173 ، وصفا ضائبا لحفل جبل
الفتح . وأورد التصانيد التى ألقيت آنذ ، لكنه اغفل هذه القصيدة .
99 — ذكره ابن عذارى فى البيان المغرب : 22/3 .

أضأت لنا الايام واتصل النجح
كأن وجود الدهر مسودة كلح

فأجابه الخليفة عبد المؤمن بقوله :

هو الفتح لا يجلو غرائب الشرح
أصاب بنى التجسيم من باسه ترح
أنتنابه البشرى على حين غفلة
بمهلك قوم كان موعدهما الصبح

وفاته برباط الفتح ، من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ،
واحتمل الى تينمال ، ودفن بجانب قبر المهدي ، رحمة الله عليهما ،
وولى بعده ابنه (1) .

الخليفة يوسف بن عبد المؤمن

كنيته : أبو يعقوب ، وتلقب بأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين .
بنوه الذكور : ثمانية عشر ، كبيرهم يعقوب المنصور ، والوالى
بعده .

ووزرائه : أخوه السيد أبو حفص : وأبو العلاء ادريس بن
جامع .

جاز الى الاندلس : فى خلافته مرتين ، وهو الذى أمر ببناء
المسجد الجامع باشبيلية ، وبناء الصومعة بها ، سنة اثنتين
وسبعين وخمسمائة ، وأتمها ابنه يعقوب المنصور بعده ، وبنى

1 — انظر ابن صاحب الصلاة : 221/2 — 224 . روض القرطاس :
202 — 205 البيان المغرب : 55/3 — 58 .

أيضا دار صنعة الانشاء بسببته على ما هي الآن عليه .

وفي جوازده الثانى الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ،
دوخ بلاد غرب الاندلس . ونزل مدينة شنترين (2) وقاد له
الجيوش أخواه شقيقاد : أبوحفص ، وأبوسعيد ، وولى بنيه
قواعد الاندلس ، وملك من أطرابلس الى جزيرة شقر بالاندلس .

وكان فى مدته ، سنة احدى وسبعين وخمسمائة الطاعون
بمراكش، ومات فيه من أولاد الخليفة عبد المؤمن: السيد أبو عمران،
ثم أخوه السيد أبو سعيد ، ثم أخوهما السيد أبو زكريا صاحب
بجاية ، والشيخ أبوحفص عمر بن يحيى الهنتاتى ، جد الملوك
الحفصيين ، والفاصى أبو يوسف حجاج بن يوسف .

كانت خلافته (3) اثننتين وعشرين سنة ، وعشرة أشهر ،
واثنى عشر يوما .

مولده بتينمال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وفاته رحمه
بنهر تاجة فى قفوله من غزاة شنترين على ظهر دابته ، واحتمل الى
رباط الفتح من سلا ، فدفن به ، ثم احتمل منها الى تينمال ، فدفن
لصق أبيه رحمهما الله ، وكتمت وفاته الى حين وصوله الى
الى اشبيلية ، وولى بعده (4) :

2 — Santaren — مدينة كانت تعتبر من كور باجة ، وهى على جبل
كثير العلو . الروض المعطار . ذكر بلاد الاندلس : 68 . الحلل
السندسية : 1 — 98 — 99 .

3 — فى د : مدته

4 — انظر البيان المغرب : 135/3 — 140 . روض القرطاس :
213 — 215 . تاريخ الدولتين : 14 .

الخليفة يعقوب المنصور

كنيته : أبو يوسف . ثقب بالخنور بالله
وكنوه النكور : ثمانية .

ووزراؤه : أخوه أبو عبد الله . وأبو علي بن أبي زيد
البناتى ، وأبو يحيى بن السيد أبي محمد بن السيد تبي حنص ،
خلافته أربع عشرة سنة . وأحد عشر شهرا . وأربعة أيام .

جوازه الى الاندلس

جاز فى خلافته مرتين :

الجواز الاول ، افتتح فيه مدينة شلب ، ودوخ بلاد الشرك .
وفى الجواز الثانى : سنة احدى وتسعين وخمسة ، كانت
الغزيمة العظمى على النصارى ، التى لم يعيد مثلها . وهى التى
سمى وقعة الارك (5) ، وأمر كاتبه أبا الفضل بن أبى
الظاهر (6) ، أن يوجز فى كتاب : هذا الفتح . وأن ينشر فيه من
كتب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وكانت هذه الوقعة
سنة احدى وتسعين وخمسمائة .

5 — Alarcos — ليس عليا على بلدة أو مدينة . وإنما هو اسم سهل واسع
وراء جبل الشارات Sierra Morena وكانت هذه الجبل قد غلبت على
عهد الموحدين حاجزا بين الاندلس المسلمة ودولة قشتالة النصرانية .
وجواز سهل الارك قامت قلعة رياح انشبيرو .

6 — هو — فيما يظهر — أبو الفضل جعفر بن محمد بن عيسى بن ظاهر
الغنى . من اهل بجاية : شجر باسم ابن محشرة . وكان من كتاب
الموحدين . انظر المعجب : ص : 244 . عنوان الدرر — ط . ثمانية
ص : 83 . رسائل موحدية — ط . الرباط 1941 . . حيث أورد
عنه رسائل من انشبه .

وكانت مدته أربع عشرة سنة واحد عشر شهر . وأربعة أيام ، ولما دنت وفاته رحمه الله ، جمع بنيه . والمحدثين . ووصاهم بوصايا منها : أيها الناس أوصيكم بتقوى الله . ووصيكم بالإيتام واليتيمة ، فقال له الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن شيخ أبي حفص محمد بن يحيى الهنتاتي : يا سيدنا ومولانا . وما الإيتام واليتيمة ؟ فقال : الإيتام أهل جزيرة الاندلس . وهي يتيمة ، فأيامكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الاسوار . وحمية الثغور ، وترتيب أجنادها ، وتوفير رعايتها ، ولتغنموا عزكم لله تعالى أنه ليس في نفوسنا شيء أعظم من همها ، ولو مد الله لك في الخلافة الحياة لم نتوان في جهاد كفارها ، حتى نعيدها دار سلام (7) ، ونحن الآن قد استودعناها الله تعالى ، وحسن نظركم فيها ، فانظروا للمسلمين ، وأجروا الشرائع على منهاجها ، وكنت وفاته بمراكش في ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، ودفن بحاضرة تينمال لصق أبيه وجده ، وولني بعده رحمه الله به (8) :

محمد الناصر لدين الله

كنيته : أبو عبد الله ، الخليفة . تلقب بالناصر لدين الله .

يتوه : ثلاثة ، أكبرهم أبو يعقوب يوسف المنتصر :
الوالى بعده .

وزراؤه : استوزر رجلا خاملا ، يعرف بابن منسا نكث به

7 — في د : إيمان .

8 — نظر البيان المغرب : 206/3 — 21 : روض القرطاس : 230 —
231 . تاريخ الدولتين : 16 — 17 .

الناس عليه يوم العقاب ، وكانت خلافته خمس عشرة سنة ، وأربعة أشهر ، وثمانية عشر يوما ، وهو الذى ولى على افريقية شيخ الموحدين أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ، جد ملوكها الآن .

جوازه الى الاندلس

سنة سبع وستمائة وأقام فيها نحو عامين (9) ، وافتتح معقل ثلبتر (10) ، وفى صفر فى سنة تسع وستمائة ، كانت عليه وعلى المسلمين الهزيمة العظمى ، التى فنى فيها أهل المغرب والاندلس ، الشهيرة بكائنة العقاب (11) ، وفى اثرها عاد تاقلا الى حضرة مراکش ، واغتتم من أجلها غما كبيرا ، كان السبب فى وفاته بمراكش فى شعبان سنة عشر وستمائة ، وولى بعده ابنه (12) :

يوسف المنتصر بالله

كنيته : أبو يعقوب ، تلقب بالمنتصر بالله ، لم يعقب .

وزيره : الشيخ عبد الله بن وانودين .

9 — فى د : سنتين .

10 — Salvatierra حصن فى منطقة قلعة رباح على مقربة منه جرت معركة الارك ، وقلعة رباح Calatrava قلعة حصينة احدثها الامويون وسط الطريق بين قرطبة شمالا وطليطلة جنوبا .

11 — موقع بين جيان وقلعة رباح ، وهو ليس علما على بلدة او مدينة ، وانما هو اسم لهذه المعركة ، نظرا لكونها وقعت فعلا فى عقاب (ج : عقبة) وأوعار بجبال الشارات .

12 — روض القرطاس : 231 — 241 .

بويـع : وسنه عشرة أعوام ، وكانت خلافته عشر سنين ، وأربعة أشهر . ويومين ، وفي مدته تهدنت البلاد الاندلسية والافريقية من غير منازع ولا معاند ، لم تكن له حركة تذكر ، ولا غزوة تشهر . ولا خرج من حاضرة مراكش ، الا لمدينة تينمال ، على عادتيم في زيارة المهدي ، وكانت أيامه هادنة ، ليس فيها كبير مفاتنة . ومدته كانت آخر ضخامة الدولة الموحدية .

وفاته بحاضرة مراكش في ذى الحجة سنة عشرين وستمئة ، وولى بعده عم أبيه رحمهم الله تعالى .

الـخليفة ابو مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن

كنيته : أبو مالك .

كانت مدته ثمانية أشهر ، وتسعة أيام .

خالف عليه عبد الله بن أخيه يعقوب المنصور ، فأشهد على نفسه بالتخى عن الخلافة في شعبان سنة احدى وعشرين وستمئة .

قال الملاحى (13) : يذكر عنه أنه كان مجاب الدعوة ، واليه ينسب قصر نجد ، بحضرة غرناطة ، والدار البيضاء الملاصقة له . وفاته بعد تخليه عن الخلافة بثلاثة أيام ، وولى بعده ابن أخيه ، رحمهم الله أجمعين :

13 — هو محمد بن عبد الواحد بن ابراهيم الملاحى ، منسوب الى قرية الملاح : من قرى غرناطة ، له مؤلفات منها « تاريخ علماء البصرة » و« نسبهم وأبنائهم » ، ينقل عنه كثيرا ابن الأبار في « التكملة » وابن الخطيب في « الاحاطة » ، توفي سنة 619 هـ . انظر التكملة لابن الأبار . ط . القاهرة ، رقم : 1604 .

الخليفة أبو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور

كنيته : أبو محمد ، تلقب بالعادل بالله .

كانت خلافته (14) ثلاث سنين : وثمانية أشهر ، وتسعة أيام .

وفاته : سنة أربع وعشرين وستمئة ، وولى بعده أخوه :

الخليفة المأمون أبو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور

كنيته : أبو العلاء ، تلقب بالمأمون .

كانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر ، وكانت له نفس كبيرة ، وكان عالما كاتباً أديباً فصيحاً بليغاً ، ذا نبذة ، ورأى وحزم (15) ، إلا أن دولته كانت مزاحمة بأبى زكريا يحيى بن الناصر ، فلم يتأت له معه تمهيد البتة .

بنوه : أبو محمد عبد الواحد الرشيد ، الوالى بعده ، وعبد العزيز ، وعثمان ، وأبو الحسن على السعيد ، الوالى بعد أخيه الرشيد .

وزرأؤه : أبو زكريا بن أبى عامر (16) ، وكانت له بالاندلس لما كان واليا عليها وقائع كثيرة ، وهو الذى بنى قصر السيد (17)

14 - فى د : مدته .

15 - فى ك : وعزم .

16 - كذا فى ط . عياش ، وجاء فى د : ابن أبى الطاهر ، وفى ك : ابن أبى العمر ، وفى هـ : ابن أبى القمر ، وهو فى الإحاطة : 424/1 « ابن أبى العبرى » ، ويبدو أن محقق الإحاطة اعتمد فى ضبط عبارته على نص الحل - ط . تونس - .

17 - فى ك : الكبير .

بمألقة ، واليه ينسب ، وكان ذلك منه سنة ثلاث وعشرين
وستمائة ، وبرأيه واختراعه ، كان جميع بنائه .

وهو الذى أمر بزوال اسم المهدي من السكة وغيرها ، ومن
الخطبة ، وأزال اسمه من جميع (رسوم) الموحدين ، مما كان
العمل به فى سائر دولتهم .

وكتب فى ذلك رسالة بخط يده ، ومن انشائه ، وبعث بها
الى الاقطار ، ونصها :

من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ، الى الطلبة والاشراف
والاعيان والكافة ، ومن معهم من المؤمنين ، ومن المسلمين ، أوزعهم
الله شكر نعمه الجسام ، ولا أعدمهم طلاقه أوجه الايام .
فانا كتبناه لكم ، كتب الله لكم عملا منقادا ، وسعدا وقادا ،
وخاطرا سالما ، لا يزال على الطاعة مقيما ، من حضرة مراكش
كلأها الله ، وللحق لسان قاطع ، وحكم ساطع ، وقضاء لا يرد ،
وباب لا يسد ، وظلال على الآفاق ، تمحو النفاق .

وبعد فالذى نوصيكم به تقوى الله العظيم ، والاستعانة
به ، والتوكل عليه ، ولتعلموا أننا نبذنا الباطل ، وأظهرنا الحق ،
وأن لا مهدي الا عيسى بن مريم ، روح الله ، « وان جرى محله
اللسان لا يسمى (18) » ، وما سمى مهديا الا أنه تكلم فى
المهد (19) ، فتلك بدعة قد أزلناها ، والله يعيننا على هذه القلادة

18 — كذا فى ط . عياش ، وفى ك : لا توسى ، وفى ه : توسى ، وسقط نص
الرسالة من ط . تونس ، ولا يخفى ما فى العبارة من اضطراب ،
وهى ليست فى نص ابن عذارى : 267/3 .
19 — كذا ، رغم أنه من المجمع عليه أن أصل الكلمة من الهداية من الضلال .

التي تقلدناها ، وقد أسقطنا اسم من لم تثبت له عصمة ، فلذلك
أزلنا عنه رسمه ، فيمحي ويسقط ولا يثبت ، وقد كان سيدنا
المنصور هم أن يصدع ، بما به الآن صدعنا ، وأن يرغع عن
الامة الحزن الذي رفعنا ، فلم يساعد ذلك أمه ، ولا أجله لزواله
الا أجله ، فقدم على ربه بنية صدق ، خالص الطوية ، واذا كانت
العصمة لم تثبت للصحابه ، فما الظن بمن لم يدر بأى يد يأخذ
كتابه ، بل هم قد ضلوا وأضلوا ، وتلفوا في ذلك وزلوا ، ما تكون
لهم الحجة على تلك الحاجة ، اللهم اشهد أننا تبرأنا منهم براءة
أهل الجنة من أهل النار ، ونعوذ بك من أمرهم الرثيث ، وفعلهم
الخبث ، لانهم في المعتقد من أهل النار ، وانا نقول فيهم ما قال
(نبي الله نوح عليه وعلى (20)) نبينا أفضل الصلاة والسلام :
« رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا (21) » ، والسلام .
وبعث بها الى الاقطار ، وهى شهيرة . وفى شهر رمضان
المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة ، قتل المأمون بمراكش من
مخالفه الناكثين لبيعتة ، بفتوى القاضى المكيدى ، أعدادا
لا تحصى ، وساق من رؤوسهم الى حاضرة مراكش أربعة عشر
ألف رأس مقطوعة ، وقيل أكثر .

حدث السيد أبوزيد بن السيد أبى زكرياء أنه وصله كتاب
المأمون يخبر بأن عدد الرؤوس المقطوعة كانت أربعة عشر ألفا ،
وعلقت بأسوار مراكش فى زمان الحر ، وشدة القيظ ، فنكلم
معه كاتبه الفقيه أبوزيد الفزازى فى ازالتها ، وازالة الروائح

20 - زيد ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق .

21 - نوح : 26 .

لكريهة عن البلد ، فقال له المأمون : ان هاهنا مجانين ، وهذه الرؤوس أحرار لهم ، روائحها عطرة عند المحبين ، كريهة عند المبغضين ، ومما نظمه المأمون عند قتلهم ، فقال :

أهل الحراية والفساد من الورى
يعزون فى التثبيبه للذكار (22)

ففساده فيه الصلاح لغيره
بالقطع والتعليق فى الاشجار
ذكارهم ذكرى اذا ما أبصروا (23)

فوق الجذوع وفى ذرى الاسوار
لو عم حكم الله سائر خلقه
ما كان أكثرهم من أهل النار

وفاته رحمه الله بمراكش فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين
وستمائة ، وولى بعده ابن أخيه :

الخليفة يحيى بن الناصر أبى عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بالله

كنيته أبوزكريا ، تلقب بالمعتصم بالله .

كانت مدته تسع سنين ، وكانت أيامه كلها نكدة ، لم يستقم
له الامر الا نحو سنتين ، وفى سنة تسع وعشرين وستمائة ، تلاقى
بالمأمون أبى العلاء ، بمقربة مراكش ، فانهزم يحيى ، وفر الى
الجبل .

22 — الذكار ، عبارة اصطلاحية تعنى « ما تذكر به الاشجار » لتلقب
الازهار لتغدو ثمارا .

23 — فى ك : ماصلبوا .

وفاته رحمه الله بفج عبد الله بين مدينتي فاس وتازة ، وذلك
في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وولى بعده :

ال خليفة عبد الواحد بن المأمون ادريس بن يعقوب المنصور بالله

كنيته : أبو محمد ، تلقب بالرشيد .

كانت خلافته عشر سنين ، وخمسة أشهر ، وتسعة أيام .

وفاته رحمه الله بمراكش سنة أربعين وستمائة ، وولى

بعده :

ال خليفة أبو الحسن على بن المأمون أبي العلاء ادريس

كنيته : أبو الحسن ، تلقب بالسعيد .

كانت مدته خمس سنين ، وثمانية أشهر ، وعشرين يوما ،
في مدته كان ظهور السلطان أبو يحيى يغمراسن بن زيان
بتلمسان ، وتحرك اليه بالجيوش المغربية ، وحاصره بجبل
تامزركت (23) بأحواز تلمسان ، فصادفه السلطان أبو يحيى
على حين غفلة ، فانحدر اليه من الجبل ، واغتتم منه غرة ، وقتله
وتفرقت محلته .

وكانت وفاته رحمه الله في صفر سنة ست وأربعين

وستمائة ، وولى بعده :

23 م - وردت في نص يحيى بن خلدون ، في كتابه نجعه الرواد - ط .
الجزائر 1904 - ص : 113 ، حيث قال : « جبل تامزركت
بمجاورة جنوب وجدة » .

ال خليفة عمر المرتضى بن السيد أبى ابراهيم اسحق بن أمير المؤمنين أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

كنيته : أبوحفص ، تلقب بالمرتضى .

كانت مدته ثمان عشرة سنة ، وتسعة أشهر ، واثنين وعشرين يوما ، وفي مدته استولى الأمير أبو يحيى بن عبد الحق على مدينة تازى ، واستولى أيضا فى مدته على مدينة فاس .

وفى مدته ثار فى سبته الفقيه أبو القاسم بن الفقيه العالم أبى العباس العزفى اللخمى ، فى سنة سبع وأربعين وستمائة .

والده السيد اسحق بن يوسف ، هو الذى بنى قصر السيد ، وهو القصر الكبير الذى على نهر شنيل ، المطلق عليه اسم القصر ، خارج غرناطة (24) ، وهو الذى بنى الرابطة أمامه سنة خمس عشرة وستمائة ، ولم تكن له فى مدته حركة ، الا ريادة قبر المهدي بجاضرة تينمال ، على عادة سلفه ، وكان له حظ وافر من العلم ، والادب ، وبراعة الخط ، ومن شعره :

ولما مضى العمر الا الاقل وحان لروحي فراق الجسد
دعوت الاهى مستعظفا ليصلح منى ما قد فسد
ويصلح نفسى وأخلاقا ويذهب عنها الريا والحسد
فسوق الرياء بها نافق وسوق العفاف بها قد كسد
خلعه الوالى بعده ، وفر من مدينة مراکش الى أزموور ، فقبض عليه فقتل بها ، الى أن وجه عليه الوالى بعده ، فقتل فى

أثناء الطريق ، وقبره معروف ، وفاته رحمه الله في صفر سنة
خمس وستين وستمائة ، وولى بعده رحمه الله :

**الخليفة أبو العلاء ادريس الواثق بالله المعتمد عليه بن السيد أبي
عبد الله محمد بن السيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن**

كنيته : أبو العلاء ، ولقب بأبي دبوس ، لانه كان في بلاد
الاندلس لا يفارقه الدبوس ، فشهّر به ، وتلقب بالواثق بالله
والمعتمد عليه .

كانت مدته من حين استقراره بدار الخلافة بمراكش
سنتين ، وأحد عشر شهرا ، وعشرة أيام .

وكانت أيامه نكدة ، لكثرة المخالفين عليه ، وهو الذي ثقف
أولاد عمر المرتضى طول حياته (25) ، الى أن انقضت ، وأخرجهم
من الثقاف السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المستولى
على دولتهم ، وأجازهم الى الاندلس ، وحصلوا باشبيلية عند
اذفنش صاحب قشتالة ، ثم انتقلوا الى حاضرة غرناطة
باستدعاء السلطان أبي الجيوش نصر بن السلطان أبي عبد الله
محمد بن محمد بن نصر سنة اثنى عشرة وسبعماية ، ولما وصلوا
اليه أحسن نزولهم ، وأكرم مثواهم ، وأجرى عليهم الارزاق ،
وأثبت لهم الجرايات ، وهى باقية تجرى على من بقى من عقبهم
الى هذا العهد .

وكانت وفاته بمراكش في محرم سنة ثمان وستين وستمائة،

وبوفاته رحمه الله ، انقرضت دولة الموحدين بنى عبد المؤمن
من المغرب ، ودرست آثارهم .

يحكى أن رجلا من الصالحين ببجاية أنشد في منامه هذان
البيتان ، فورخ ذلك اليوم : فوجد يوم مقتل أبى دبوس ،
وهما :

ملك بنى مؤمن تولى وكان فوق السماء سمكه
فاعتبروا وانظروا وقولوا سبحان من لا يبىد ملكه
قال الوزير أبو الحسن بن سعيد العنسى : لما استولى
التهدم والخراب على معظم ديار مراکش بالفتنة المتصلة وانقراض
دولة الموحدين ، وجدت فى بعض قصورها مكتوبا بفحم :

ولقد مررت على رسوم ديارهم
فبكيتها والربع قاع صفصف
وذكرت مجرى الجور فى عرصاتهم
فعلمت أن الدهر فيهم منصف

قال ابن سعيد : فتناولت بياضا من بقايا جيار ، وكتبت
تحتة :

لهفى عليهم بعدهم بمثالههم بالله قل لى فى الورى هل يخلف
من ذا يجيب مناديا لوسيلة أم من يجير من الزمان وينصف
ان جار فيهم واحد من جملة كم كان فيهم من كريم يعطف
ورحم الله الوزير الحبيب ابن سعيد ، وشكر امتعاضه (26)
لواليه .

26 — فى ك : مقامه لواليه .

وكانت مدتهم من أول ظهور المهدي الى وفاة أبى دبوس
مائة سنة واثنين وخمسين سنة ، فسبحان من لا يبيد ملكه ،
ولا ينقطع سلطانه ، لا اله الا هو . وولى بعده :

السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق

ابن محيو بن أبى بكر بن حمامة بن محمد بن كرناط بن
ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن
عبد الله بن ورتيت بن المعز بن ابراهيم بن سجيح بن واتيت
بن يصليتن بن مسرى ابن زاكيا بن ورشيك بن زانات بن جانا
ابن يعيى بن تمزيت بن ضريس — وهو جالوت الاول ملك البربر —
ابن رجيج بن ماذغيس الابتر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
ابن معد بن عدنان (27) .

استولى على ملك الموحيدين ، واجتث شجرتهم من غوق
الارض ، وورث سلطانهم ، كان دخوله الى مراكش فى يوم
عاشوراء سنة ثمان وستين وستمائة ، لما أتته البيعة من أهلها ،
الا أنه تحول عنها الى مدينة فاس ، وصيرها دار الخلافة ، ومقر
الامارة .

فكانت مدته من أول ظهوره ثمان وعشرين سنة وستة
أشهر واثنين وعشرين يوما .

وقد كان ولى الامارة قبله اخوته الثلاثة : الامير أبو سعيد

27 — انظر روض القرطاس : 278 — 279 . الذخيرة السنية فى تاريخ
الدولة المرينية — ط . الرباط 1972 : 14 — 15 .

عثمان ، والامير أبو معرف محمد ، والامير أبو يحيى .

بنوه : أبو مالك عبد الواحد -- ولى عهده ، درج فى حياته -- وأبو يعقوب يوسف الوالى بعده ، وأبو زيان منديل ، وأبو سالم ابراهيم -- درج فى حياته -- وأبو عامر عبد الله -- فقد فى حرب كانت بينه وبين المرتضى (28) .

فأما الامير أبو سعيد عثمان ، فتقدم أميرا على بنى مرين لما قتلت رياح والده رحمه الله ، وأخاه ادريس رحمه الله . ولما تقدم خرج بهم الى غزو عرب رياح ، وحلف ألا يكف عنهم حتى يقتل بأبيه مائة شيخ من أشrafهم ، فنقتل منهم خلقا عديدا .

وكان أول من بايعه من أهل المغرب : هواره ، وزكارة ، ثم تسول ، ومكناسة ، ثم بطوية ، ثم فشتالة ، ثم سدراتة ، ثم بهلولة ، ومديونة ، هؤلاء هم السابقون لبيعته ، فوضع عنهم الخراج ، وأخرج اليهم الحفاظ ، وكان ذلك سنة أربع عشرة وستمائة .

وصالح أهل فاس ، وتازى ، ومكناسة ، وقصر عبدالكريم على أموال معلومة ، يؤدونها اليه فى كل سنة ، واستمرت حاله الى أن اغتاله عليج له كان رباة صغيرا ، ضربه بحربة فى نحره ، فمات من حينه ، رحمه الله سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

فكانت امارته على مرين وبوادي المغرب ، من يوم وفاة والده الأمير ابى محمد عبد الحق رحمه الله ثلاثا وعشرين سنة ، وسبعة أشهر .

28 — الم بنسخة د من هنا سقط كبير .

وأما الامير أبو معرف محمد ، فاجتمع عليه أشياخ بنى مرين ، لما قتل أخوه أبو سعيد عثمان رحمه الله ، وبإيعود على السمع والطاعة ، وأن يحاربوا من حارب ، ويسالموا من سالم ، فاستقام له أمرهم ، وسار بسيرة أخيه ، وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه ، وكان شهما بطلا شجاعا ، لم يفتر في أيامه عن قتال ، عارفا بمكائد الحروب ، وخذعها ، فكان كما قال فيه الراجز :

ثم ولى من بعده محمد	وكان في أموره مسدد
فكان لا يفتر عن قتال	مواظبا للحرب والنزال
كم عسكر لاقى وكم حشود	ومن جموع جمة الجنود
وكل جيش جاء من مراکش	أفناه بالحروب والتناوش
نهاره وليله طعان	لكنه مؤيد معان

ولم يزل يحارب جيوش الموحدين ، فيرجعون عنه خاسرين ، وان السعيد كان قد بعث اليه في مدته بجيش كثيف من عشرين ألفا من الموحدين والعرب وهسكورة ، وقواد الروم ، فالتقى الجمعان بأغلان من أحواز فاس ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، من أول النهار الى آخره ، انجلت عن قتل الامير أبى معرف رحمه الله ، قتله زعيم من الروم في المعترك ، وانهزمت بنومرين ، لما توفي الامير أبو معرف ، وذلك في عشى يوم الخميس التاسع لجمادى الاخيرة سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

وأما الامير أبوبكر ، أبو يحيى : (29) فولى بعد أخيه أبى

29 — هو ابوبكر بن عبد الحق ، كانت كنيته : ابو يحيى .

معرف ، وكانت أمه حرة عبد الوادية (30) ، وكان مطلق اليدين يرمى بحربتين في حالة واحدة ، ولى مكان أخيه ، وكان أول نسيء فعله أنه جمع أشياخ بنى مرين ، وقسم عليهم ما كان بيده من المغرب ، فأنزل كل قبيلة في ناحية منه ، وجعل لها ما نزلت فيه من الأرض ، وما غلبت عليه من البلاد .

ونزل بجبل زرهون ، وكان يقاتل منه أهل مكناسة حتى تغلب عليها سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وفي سنة ست وأربعين وستمائة ملك مدينة فاس بعد موت السعيد .

وكانت وفاته سنة ست وخمسين وستمائة ، رحمه الله ، مرض بفاس ، ودفن بداخل باب الجيزيين من أبواب عدوة الاندلس ، بازاء قبر الشيخ الصالح أبى محمد الفشتالى ، رحمه الله . هذا تلخيص الخبر عن هؤلاء الامراء الثلاثة ، رحمهم الله .

وقد كان (31) أبوهم الامير أبو محمد عبد الحق ، رحمه الله ، قام بأمر بنى مرين بعد وفاة والده الامير أبى خالد محيو بن الامير أبى خالد محيو بن الامير أبى بكر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

وكان الامير أبو محمد عبد الحق مشهورا بالتقوى ، والدين ، وكانت بينه وبين عرب رياح حروب ووقائع ، قتل في أثناءها هو وولده ادريس في سنة أربع عشرة وستمائة ، حسبما تقدم قبل ، وقد كان والده الامير أبو خالد محيو بن أبى بكر رحمه الله ، شهد غزوة الارك ، مع أمير المؤمنين يعقوب المنصور متطوعا ، فعقد له

30 — اى من الفرع المرنى الذى استقر في الجزائر .

31 — بداية سقط في المطبوع .

في ذلك اليوم على من في عسكره من زناتة ، وأبلى بلأا حسنا ،
وتوفى رحمه الله سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ببلاده من قبلة
الزاب باغريقية ، بعد انصرافه من غزوة الارك المذكورة ، من
جراحات نالته فيها ، فانقضت عليه ، غمات شهيدا ، وفي انتقالهم
الى المغرب ، قال بعض الشعراء :

قدمت مرين الى بلاد مغرب والسعد يصحبها بنيل المطلب
في عام عشرة كان بدء دخولهم من بعد ست مئين فاحفظ واكتب
وقال أبو فارس عبد العزيز الموزوي في جزءه :

في عام عشرة وست مائة أتوا الى المغرب من البرية
جاءوا من الصحراء والسبابس على ظهور الخيل والنجائب
كمثل ما قد دخل الملثمون من قبل ذا وهم ميمون (32)
فكان أول ظهورهم بالمغرب في مدة أبي يعقوب يوسف
المستنصر بن الناصر من الموحيدين رحمهم الله .

قال كاتب هذا المختصر : لا يفى هذا ببسط القول وشرح
الجزئيات ، واستيفاء التعريف ، اذ لم يكن من شرط الكتاب
أولا قصد التطويل فيه ، ولا بنى موضعه عليه ، لكن نستوفي في
ذلك ان نساء الله في موضع يفرد له ، وكتاب يختص به ، تورد فيه
جميع الدولة المرينية ، ويذكر فيه ما يحصل لليد من مناقبهم
السنية ، ان قضى الله بذلك ويسر .

فأرجع الى ما كنت بسبيله من نسق الملوك ، وتاريخ المدد ،
وان السلطان أبا يوسف يعقوب ابن عبد الحق كان قد جاز الى

32 — انظر روض القرطاس : 282 — 283 . الذخيرة السنية : 26 — 27 .

الاندلس (33) في خلافته أربع مرات :

الجوز الاول

سنة أربع وسبعين وستمائة ، من قصر المجاز .

وفي هذه السنة قتل اليهود بفاس .

وفي شوال منها ابتداء ببناء فاس الجديد ، بخارج مدينة فاس ، وهي المدينة البيضاء ، وأتمها في ذي الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة .

الجواز الثاني

سنة ست وسبعين وستمائة من قصر المجاز ، الى طريف ، قاصدا الى مدينة اشبيلية ، دخل اليها على جهة رنـدة ، وكان معه في هذه العزوة ابناء الاميران : أبو يعقوب ، وأبو زيان منديل ، ودخلوا قري الشرف .

الجواز الثالث

سنة احدى وثمانين وستمائة ، شرع عند ذلك في بناء سور « البنية » بالجزيرة الخضراء ، واجتمع بصخرة عباد ، (33 م) من أحواز رنـدة ، مع صاحب تمشتالة ، ورغب منه في اعانته على القائم عليه من أهل ملته .

33 — نهاية الزيادة من النسخ الخطية . ويبدو أن صاحبها نهل معلوماته من الذخيرة السنية .

33 م — كذا في الاصل ، وهو موافق لنص القرطاس المطبوع — من 306 — ، وجاء في نسخة خطية منه خاصة « بركة عناد » .

الجواز الرابع

كان سنة أربع وثمانين وستمائة ، وجاء معه ابنه الاميران أبو يعقوب ، وأبو زيان منديل ، وحاصر في هذا الجواز مدينة شريش مدة من أربعة أشهر ، وذلك في سنة خمس وثمانين وستمائة .

وفاته « بالبنية » من الجزيرة الخضراء ، في محرم سنة ست وثمانين وستمائة ، ونقل منها الى سلا (34) ، رحمة الله عليه ، وفي أيامه أنشئت الناعورة الكبرى ، على وادي مدينة فاس . مولده سنة تسع وستمائة — وولى بعده ابنه :

السلطان أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق
كانت مدته احدى وعشرين سنة ، وتسعة أشهر ، ونصف شهر .

بنوه : أبو سالم ، وأبو حامد عبد الله ، وأبو سرحان مسعود ، الذي توفي بطنجة ، وعبد المؤمن .

وجاز الى الاندلس سنة تسعين وستمائة ، ونزل على الجزيرة ، وقد كان جاز اليها مع أبيه .

وحاصر تلمسان الحصار المطويل الشهير ، وعليها هلك ، وفاته بتلمسان في ذي القعدة سنة ست وسبعمائة ، ونقل منها الى سلا (35) ، وولى بعده رحمه الله حفيده .

34 — كذا في الاصول ، والصحيح « هشالة » في مدينة الرباط ، حيث مقبرة المرينيين الشهيرة ، والمعروف انه اسم سلا كان يطلق في الماضي على منطقتي الرباط وسلا .

35 — انظر روض القرطاس : 376 — 388 .

السلطان أبو ثابت عامر

ابن الامير أبى عامر عبد الله بن السلطان أبى يعقوب بن السلطان
أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق

وذلك بتلمسان ، بعد اختلاف وقع ، ونزاع انجلى الامر فيه
عن قتل جماعة من أكابرهم ، رحمهم الله .

كانت مدته سنة واحدة وثلاثة أشهر ، وعمره أربع وعشرون
سنة ، وفاته بأحواز طنجة فى صفر سنة ثمان وسبعمائة ، ودفن
فى قصبته ، ثم نقل الى شالة فدفن فيها ملاصقا لجده أبى يعقوب
رحمه الله . وولى بعده أخوه :

السلطان أبو الربيع سليمان

ابن الامير أبى عامر عبد الله بن السلطان أبى يوسف يعقوب
تصير له الملك بعد أخيه ، وبويع له بطنجة .

وفى مدته عام تسعة وسبعمائة عادت سبتة الى ايالتهم .
كانت مدته سنتين وأربعة أشهر ، وثلاثة وعشرين يوما ،
وفاته بتازى ، فى مستهل رجب الفرد سنة عشرة وسبعمائة ،
وهو مدفون بصحن مسجدها ، ولم ينقل . وولى بعده رحمه الله
عم أبيه :

السلطان أبو سعيد عثمان

ابن السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق
مولده فى حياة جده ، سنة أربع وسبعين وستمائة .

كانت مدته عشرين سنة ونصف سنة .
وفاته في ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ، بخارج
فاس ، اثر مقدمه من تلمسان .
وولى بعده رحمه الله ابنه :

السلطان أبو الحسن على

كانت مدته عشرين سنة ، وأربعة أشهر .
وفاته رحمه الله بجبل هنتاتة من مراکش ، في آخر شهر
ربيع الاول المبارك من عام اثنين وخمسين وسبعمائة .
وولى بعده رحمه الله ابنه :

السلطان أبو عنان فارس

تلقب بالمتوكل على الله أمير المؤمنين .
كانت مدته سبع سنين ، وتسعة أشهر .
وفاته في الرابع والعشرين من ذى الحجة عام تسعة وخمسين
وسبعمائة .
وولى بعده ابنه :

السلطان أبوبكر السعيد

كانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما .
ولى بعده رحمه الله عمه :

السلطان أبو سالم ابراهيم بن السلطان أبي الحسن

تلقب بالمستعين بالله .

كانت مدته سنتين ، وثلاثة أشهر ، وخمسة أيام .

وولى بعده أخوه :

السلطان أبو عامر تاشفين بن السلطان أبي الحسن

كانت مدته ثلاثة أشهر .

وولى بعده ابن أخيه :

السلطان أبو زيان محمد بن الامير أبي عبد الرحمن

يعقوب بن السلطان أبي الحسن

كانت مدته نحو خمسة أعوام

وفاته عام ثمانية وستين وسبعمائة .

وولى بعده رحمه الله عمه :

السلطان أبو فارس عبد العزيز بن السلطان

أبي الحسن

كانت مدته نحو خمسة أعوام .

وفاته بتلمسان في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين

وسبعمائة .

وولى بعده ابنه :

السلطان محمد السعيد

وسنه اذ ذاك خمسة أعوام .

كانت مدته نحو سنتين ، وخلق في محرم من سنة ست وسبعين وسبعمائة .

وولى بعده بحضرة مراکش :

السلطان أبو زيد عبد الرحمن المتوكل على الله

ابن الامير أبى الحسن على بن السلطان أبى على عمر بن

السلطان أبى سعيد عثمان بن السلطان أبى يوسف

يعقوب بن عبد الحق

استقر بحاضرة مراکش في شهر الله المحرم ، عام ستة وسبعين وسبعمائة ، وهو بها الى هذا العهد الذى ألفت فيه ، هذا المجموع ، وهو يوم الخميس الثانى عشر ، لشهر ربيع الاول من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ، عرف الله منه المسلمين ، وارف الخير واليسر ، وأنجز لهم الموعد فيما هم فيه يرتقبونه من طلائع النصر ، وظهور هذه الملة الحنيفة على أشياع الكفر ، فيجب لذلك من المدة سبعة أعوام وشهران ، والله تعالى يجبر حاله ، ويسنى في صلاح المسلمين مبتغاه وأمله ، بفضله وكرمه .

وتخلص من هذا الاختصار ، المبني وضعه على حديث الحصار ، وما اجتلبته القصص من الانباءات ذوات العبرة والاستبصار ، أن مدينة مراکش يجب لها من السنين الى هذا الزمان من لدن اختطاط المكان ، والاحتلال بها بالسكان ، وتصيرها

بالعمران ، بعد أن كانت مريضا للأسد ، ومسكنا للغزلان ، حسبما
تتقدم قبل بأوضح بيان : ثلاثمائة سنة وعشرون سنة ، منها من حين
تحليقها بالسور البعيد القطر ، الطويل الخطر ، بسبب ما ذكر من
ظهور المهدي على المرابطين مائتا سنة وثلاث وستون سنة ،
والمختص بدولة ملوك المرابطين رحمهم الله من بدء الاعتماد
تسع وسبعون سنة .

والمختص بدولة الموحدين ، رحمهم الله ، من حين
استيلائهم على دار الخلافة بمراكش ، واستقرارهم بحاضرتها ،
على حسب ما تقدم في موضعه مائة سنة وست وعشرون
سنة .

والمختص بدولة ملوك بني مرين ، أعزهم الله ، من حين
انقراض دولة الموحدين ، الى هذه الغاية مائة واحدة وخمس
عشرة سنة .

فالمجتمع من هذا التفصيل ، الذي لا يليق جهله ، بمن عني
بلاخبار من ذوى الادراك والتحصيل ثلاثمائة سنة وعشرون
سنة ، مبدؤها سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، حسبما تقدم قبل .
ومبلغ عدد خلفائهم رحمة الله عليهم اثنان وثلاثون ،
ويتفسر بعد ذلك ان شاء الله تعالى :

المرابطون رحمهم الله ، أربعة وهم : يوسف بن تاشفين ،
ثم بعده ابنه علي بن يوسف ، ثم بعده تاشفين بن علي ، ثم بعده
ابنه ابراهيم بن تاشفين .

وقد تقدم التعريف بنسبهم ، وأنهم يرجعون الى حمير .

وأنهم خرجوا من اليمن الى الصحراء الى المغرب ، وفي ذلك يقول
أبو فارس عبد العزيز الملزوزي في ارجوزته :

مرابطون أصلهم من حمير قد بعدت أنسابهم من مضر
وقد رأيت في كتاب النسب قولاً به أعجز أهل الأدب
بأن صنهاج سليل حمير وهو ابنه لصلبه لا العنصر
أكرم به من نسب صريح وقل لا تخف من التصريح
عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعيهم مشكور (36)*

والمرابطون الذين هم من لمتونة ، يرجعون الى صنهاجة ،
وصنهاجة ترجع الى حمير ، وحمير أحد العشرة من أولاد سبأ بن
ثحيب بن يعرب بن قحطان بن عامر بن ثالخ بن أرفخشذ بن
سام بن نوح عليه السلام .

وكان هؤلاء العشرة تيامن منهم ستة ، وتشاءم أربعة
حسبما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكان حمير ممن تيامن ، واتخذ اليمن قراراً ، ثم انتقلوا من
اليمن الى الصحراء ، ومن الصحراء خرجوا الى المغرب . هذا
تلخيص نبأ المرابطين رحمهم الله .

والموحدون : أربعة عشر ، أولهم الامام المهدي محمد بن
تومرت ، ثم بعده خليفته وأحد العشرة من أصحابه ، أبو محمد
عبد المؤمن بن علي ، ثم بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن عبد
المؤمن ، ثم بعده ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور ، ثم بعده ابنه
أبو عبد الله محمد الناصر ، ثم بعده ابنه أبو يعقوب يوسف

36 — انظر روض القرطاس : 120 . نظم السلوك ص 98 من طبعة
الرباط ، مع خلاف .

المنتصر ، ثم بعده عم أبيه أبو مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ، ثم بعده ابن أخيه العادل ، أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور . ثم بعده أخوه المأمون ، أبو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور . ثم بعده ابن أخيه المعتصم ، أبو زكريا يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ، ثم بعده ابن أخيه الرشيد أبو محمد عبد الواحد بن المأمون ، أبي العلاء ثم بعده أخوه السعيد أبو الحسن علي بن المأمون ، ثم بعده ابن عم والده المرتضى أبو حفص عمر بن السيد أبي ابراهيم اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن ، ثم بعده ابن عم والده أبو دبوس الواصل بالله أبو العلاء ادريس بن السيد أبي عبد الله محمد بن السيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ، الذي انقرضت على يده دولتهم وأما نسب الامام المهدي فقد تقدم قبل هذا ، عند ذكره ، وأنه يرفع الى الحسن بن علي بن ابي طالب رضى الله عنه ، وما فوقه من النسب الشريف مشهور ، أصله من هرغة من بلاد السوس الاقصى هو بلاد ماسة ، وهو على يمين القبلية من جبل درن الى أن يتصل بالصحراء .

وأما نسب عبد المؤمن ، فقد تقدم في اسمه وأنه يرفع الى قيس بن عيلان ، يقال فيه قيس عيلان ، واسمه الياس ، وهو أبو قبيلة من مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وأصل عبد المؤمن من كومية هنين ، زناتى الاصل ، ومن موضع يعرف بتاجرا على ثلاثة أميال من مرسى هنين ، من عمل تلمسان ، وطن زناتة . انقرض الكلام في الموحددين ، وأعود الى من ولى بعدهم على جهة الاختصار :

بنو عبد الحق

منهم من درج ، ومنهم من عز وخلف . قد تقدم نسبهم .
قال الفقيه الكاتب أبو على الملياني (37) : يرجع نسبهم الى
بنى مرين ، وبنو مرين يرجعون الى زناته ، وزناته من أولاد جنا
بن يحيى بن ضريس بن زحيك بن مادغيس بن بر ، وهو في بعض
الاقوال : ابن قيس بن عيلان ، وقد كان جماعة من العلماء ممن
له اعتناء بهذا الشأن ينسبونهم لبر بن قيس المذكور ، وأجاز في
كتابه أنهم عرب صرحاء ، وانما تبربروا بالمجاورة والمخالطة
للبربر

قال ابن رثنيق : ان البربر بأجمعهم من واء جالوت ، الا
قبيلتي صنهاجة وزناته ، فانهما ينتسبان الى حمير .

وفي ذلك يقول صاحب الرجز :

فجاءت زناته البرابرا	فصيروا كلامهم كما ترى
ما بدل الدهر سوى أقوالهم	ولم يبدل مقتضى أحوالهم
بل فعلهم أربى على فعل العرب	في الحال والآثار ثم الأدب
فانظر كلام العرب قد تبدلا	وحالهم عن حاله تحولا
لا يعرفون اليوم ما الكلام	ولا لهم نطق ولا افهام
وان تصادت بهم الاحوال	لم تبق في الدهر لهم أحوال
كذلك كانت قبلهم مرين	كلامهم كالدر اذ يبين
فاتخذوا سواهم خيلا	فبدلوا كلامهم تبديلا (38)

37 - من كتاب الدولة المرينية ، نقل عنه صاحب القرطاس ، انظر ص : 275 .

38 - انظر روض القرطاس : 281 . الذخيرة اسنية : 19 . نظم السلوك : 68 . ولم يرد هذا الرجز في المطبوع .

أصلهم

أصل بنى مرين من أحواز تلمسان ، قاعدة المغرب الاوسط ،
ودار مملكة زناتة على قديم الزمان ، وكان وطنهم ما بينها وبين
تاهرت من شرقها ، يجاورهم فى السكنى من زناتة بنو يغمراسن ،
وبنو تجين ، وبنو مغراوة ، وبنو راشد ، وغيرهم ، وكان غالبهم
الفرسان .

قال ابن رشيق : أصل زناتة من الشام ، وكانت دارهم
بفلسطين ، وملكها جالوت ، فلما قتله داود عليه السلام ، جاءت
البربر الى المغرب ، فانتشروا الى السوس الاقصى ، وقد وقع
ذكر البرابر ، فأشير الى طرف من أصول أنسابهم من جهة زناتة ،
وغيرها على جهة الاختصار .

وأعياص البربر هم : هواره ، ومغيلة ، وضريسة ، ومغراوة ،
وبنويفرن ، وبنودمر ريغ ، وسدراتة ، ومسطاسة ، وملزوزة ،
ونفزة ، وبنو غجدامة ، ولهاصة ، ولواتة ، ومديونة ، ومطماطة ،
وكتامة ، ومزاتة ، ولمطة ، ومديونة ، وعجيسة ، ومكناسة ،
وزواغة ، وزواوة ، وصدفورة ، وزهيلة ، ومسارة ، وزداجة ،
ومغرة ، ومصمودة ، وغمارة ، وبنو زروال ، وبنو سعيد ،
وبنو سنجوم ، وبنو يازين ، وبنو خالد ، وبنو مرموشة ،
وبنو شراحيل ، وبنو ورتجين ، ولماية ، وغير هؤلاء ، وهم بطون
كثيرة ، وتفرعوا تقريبا عريضا ، ليس هذا الموضع محل بسط
القول ، وتقصى الانباء ، انما بنى فيه على الاختصار ، واطراح
التطويل .

فأعود الى ما كنت بسبيله من ذكر الملوك من بنى عبد الحق ،
عددتهم : أربعة عشر ملكا من ملوك مراکش ، أولهم السلطان
أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ، ثم بعده ابنه السلطان أبو
يعقوب يوسف بن يعقوب ، ثم بعده حفيده أبو ثابت عامر بن
الامير أبي عامر عبد الله بن السلطان أبي يعقوب ، ثم بعده أخوه
السلطان أبو الربيع سليمان بن الامير أبي عامر عبد الله ، ثم
بعده عم أبيه السلطان أبو سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف
يعقوب بن عبد الحق ، ثم بعده ابنه السلطان أبو الحسن على ،
ثم بعده ابنه السلطان أبو عنان فارس ، ثم بعده ابنه السلطان
أبوبكر السعيد ، ثم بعده السلطان أبو سالم ابراهيم بن
السلطان أبي الحسن ، ثم بعده أخوه أبو عامر تاشفين بن السلطان
أبي الحسن ، ثم بعده ابن أخيه السلطان أبو زيان محمد بن
الامير أبي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبي الحسن ، ثم
بعده عمه السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي
الحسن ، ثم بعده ابنه السلطان محمد السعيد ، ثم بعده بقاعدة
مراكش المذكورة السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن الامير أبي
يوسف بن عبد الحق ، الى هذا الزمان الذى نتعرف فيه أهل كلمة
الايمان ، عوارف اليمن ، وعوائد الامان ، وذلك بسعادة مولانا
الامام خليفة رب العالمين « **الغنى بالله** » ، تأمير المسلمين ، كبير
الملوك ، وقدوة الخلفاء ، المخصوص من الله بمزايا الاجتباء
والاصطفاء ، عز الاسلام ، وبهجة الايام ، حامل الكل ، وكافل
الكل ، أدام الله حياته ، وعصم الكريم ذاته ، بفضله وكرمه ،

فلقد أضاء الاسلام بحسن تدبيره ، وجميل سعيه ، وبدت شواهد
 الاغتياب على من أوى الى كنف رعيه ، حتى ملوك الاقطار مهما
 استشاروه يحمدون عاقبة تلك الاستشارة ، وتصدر وفودهم من
 بابه بأنجح رأى ، وأعظم بشارة ، فأمالهم اليه مصروفة ،
 وأحكامهم على سياسته الحسنة موقوفة ، فسبحان الذى خص
 هذه الايالة النصرية الخرجية ، بخالص السريرة ، وكـرم
 السجية ، وطوبى لمن نشأ فى خدمتها العزيزة تحت ظلال أكنافها ،
 ولحقت لابائه عناية أسلافها ، فلقد نال من حظ الدنيا والآخرة
 مبتغاه ، وأمن من عدوان الزمان ووغاه ، على أنه من اطلع على
 أخبار الخلائق ، ونظر فى السير من العهد السالف يرى هذه
 الاندلس بوجودهم كفهاها الله عميم جودهم ، كأن لم تمر
 أعاصيرها ، ولا عدم « منصورها » ولا « ناصرها » (39) ، أحيوا
 فيها رسوم العدل بعد عفائها ، وأربوا المحاسن المتعددة على
 خلفائها ، وأما ما يكابد فيها ، وما كان آباؤه قبله يكابدونه ،
 فباتصال العافية دون الادراك ، ومن دونه لا يعتبر حرب الزمان
 ولا هدونه ، ولا يعلم أن عدو الاسلام — وان وجد السلام —
 مازالوا يجاهدونه ، والله سبحانه هو الذى يجزى فعلهم من
 الخير ، الذى عنده عز وجل يجدونه .

ومع هذا فليس له أبقاه الله فى الروحة من أهل الزمان
 والعدوة ، الا اعمال الفكر فى مصالح الاندلس والعدوة ، يتكلف فى
 اصلاح ذات بين المسلمين أنهض الكلف ، ويكلف بتسكين أحوالهم

39 — اى المنصور بن أبى عامر ، وعبد الرحمن الناصر .

أشد الكلف (40) ، وقد ألف الآن بنيته الصالحة في تلك العدو بين القلوب ، وأغمد بيده العريضة سيوف الفتنة بين الطالب والمطلوب ، ما زال يجاهد في اطفاء نارها ، من أولها وآخرها ، يتناول أمر المسلمين أحسن تناول ، غكم حقن من الدماء ، وتدارك من الذماء ، وفرج من الغماء ، وسكن من الدهماء ، فبصالح تدبيره يرتفع الشنآن والاختلاف ، ويغتنم الاتفاق والائتلاف ، وتستقيم أحوال كل فريق ، ويستأنم السلوك على كل طريق ، ويستقبل الناس هدوا مستأنفا ، ويعود العمران لتامسنا وأنفا (41) ، وأما أحواز أزمور ، فتصلح به الاحوال وتستقيم الامور ، وأما وادي أم الربيع ، فيرجع سوقا للشراء والبيع ، وأما وطن دكالة ، فعلى نظره الجميل وقف اتكاله ، وأما بلاد صنهاجة ، فتصلح وان مستها الحاجة ، وأما أهل وريكة وأغمات ، فببركة رأيه يهدى من عاش ، ويرحم من مات ، وأما أهل تتصغرت وكيك ، غما في استقامة طاعتهم ريب ولا تشكيك ، وأما أهل جبل درن ، ما بقى في خلقهم جماح ولا حزن ، وأما أهل تينمال ، فتنمشى أحوالهم على نهاية الكمال ، وأما قبيلة هكورة ، فتصدر عنهم أفعال مشكورة ، وأما أهل هنتانة فيبدي كل واحد منهم خلوصة ومئاته ، وأما سائر الاثياخ والمزاورة (42) . فيودون بلادهم لبلادنا مجاورة ، وأما أهل السوس الاقصى ، فيغتربون من الخير ما

40 — كلف بالشيء عشقه وتعاق به .

41 — الاسم القديم لمدينة الدار البيضاء .

42 — جمع أزموار ، وهو الرئيس أو المقدم في الاسرة أو العشيرة بين قبائل المغرب .

لا يحصى ، وأما أهل جزولة ، فيرتفع عنهم ما يتوقعون نزوله ،
وأما أهل سيف آسفى ، فيقولون على يد هذا الملك المجاهد الوفى ،
عاملنا الله باللطف الخفى ، فتأمن البرابر ان شاء الله ، ويضعون
أوزار حربهم ، وتصلح أحوال مصامدتهم وعربهم ، فتتوالد الخيل
والابل ، وتكثر الماشية ، وتسكن بسعادة تدبيره كل فتنة ناشئة ،
وتتصل بالعدوتين أيدينا وأيديهم ، وتصرف الوجوه الى أسياع
الكفرة ، أعادينا وأعديهم ، فمساغيه الكريمة فيما يؤول لاجتماع
الكلمة ، وانتظام أمر الامة المسلمة ، لا يعلمها الا الذى اختصه
بها ، وفضله ، واختاره للخلافة فى أرضه وأهله ، فالله تعالى
يحفظ بوجوده هذه الدولة ونظامها ، ويبقى لآظهار الدين
دراها بغضله وكرمه .

اللهم واحفظ اياته الكريمة ، التى كرم منتهاتها ، واشكر
سعيه فى حوزة الاسلام التى دافع عنها وحماها ، اللهم واحفظ
بحسن سيرته جميع الاحياء ، وأبلغه من فضلك أقصى الامانى ،
وغاية الرجاء ، اللهم أبقه يحيى فى هذه الجزيرة رسوم طارق بن
بن زياد ، وأدم لنا أيامه التى هى المواسم والاعياد ، انك قدير
على اتمام الليالى والايام بالدوام .

وهذا ما حضر والسلام ، فتبليغ المنى متكفل لمن دعا لكاتبه
على الدوام ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنام .

الفهارس

1 - اعلام الافراد

2 - اعلام الجماعات

3 - الاماكن

4 - المحتوى

أبوبكر بن الجد 46 — 147 — 148
 . أبوبكر بن حبش 151
 . أبوبكر بن زيدون 42
 . أبوبكر بن السجهره 147
 أبوبكر السعيد المرنى 179 — 187
 . أبوبكر الصيرفى 93
 أبوبكر بن العربى 140 — 147 —
 148
 . أبوبكر بن عقاب 66
 . أبوبكر بن على 74
 أبوبكر بن عمر 15 — 16 — 23 —
 24 — 25 — 26 — 27 — 28
 . أبوبكر بن القصيرة 50
 . أبوبكر اللمتونى 102 — 110
 . أبوبكر بن حجر 145
 أبوبكر بن يوسف : سير بن يوسف
 . البسذق 138
 بيكور بن على : أبوبكر بن على .

ت

تاشفين بن على 84 — 120 — 121
 — 122 — 123 — 128 — 129 —
 130 — 131 — 132 — 133 —
 134 — 137 — 141
 . أبو تاشفين عبد الرحمن 187
 . تميم بن بلقين 52 — 68 — 71
 . تميم بن على 84
 . تميم بن يوسف 24 — 77 — 83 —
 93 — 98 — 112

ا

أبراهيم بن تاشفين 84 — 121 —
 131 — 135 — 138 — 139 —
 142 — 156 — 182
 . أبراهيم بن على 84
 . أبراهيم بن يوسف 24 — 110
 أبو إبراهيم من اصحاب المهدي 108
 أحمد بن هود 73 — 75
 . ادريس بن جامع 157
 اذفنش بن شاتجة 38 — 40 — 41 —
 42 — 43 — 44 — 46 — 52 —
 53 — 54 — 55 — 56 — 57 —
 60 — 61 — 63 — 69 — 70 —
 122 — 141
 . اذفنش صاحب قشتالة 169
 . أبو اسحق الرئيسى 114
 . اسحق بن على 84 — 135
 . اسحق بن ينتيان 84
 . اسحق بن يوسف 168
 . أبو الاصبع بن عياش 151
 . اسماعيل بن مخلوف 108
 . اسماعيل بن موسى 108
 . أبو الاصبع وزير ابن هود 75
 . البرهانس — القرط 39

ب

ابن بجر 100 — 110
 . بدر بن ورقاء 91
 . بطى اللمتونى 112
 . أبوبكر بن تيفلويت 98 — 99

ث

أبو ثابت عامر المرينى 178 — 186 .

ج

جالوت 186 .

أبو جعفر بن سعيد العنسى 155 — 170 .

أبو جعفر بن عطية 142 .

جؤذر الحشمى 73 .

ح

أبو حامد الغزالى 104 — 105 — 148 .

أبو الحسن الزهرى 197 .

أبو الحسن بن صاحب الصلاة 147 .

أبو الحسن بن عبد المؤمن 151 .

الحسن بن على بن أبى طالب 184 .

أبو الحسن على المرينى 179 — 187 .

أبو الحسن بن هردوس 151 .

أبو حفص بن عبد المؤمن : عمر بن عبد المؤمن

ابن حماد الصنهاجى 131 .

ابن حمدون وزير صاحب بجاية 149 .

ابن حمد بن القاضى 104 .

خ

أبو خالد محبو 174 .

الخير بن خزر 28 .

د

داود بن على 84 .

داود النبى 186 .

أبو دبوس : الواثق بالله

ذ

ابن ذى النون 44 .

ر

الراضى بن المعتد : يزيد المعتد .

أبو أنربع سليمان 178 — 187 .

ابن ردمير 90 — 91 — 93 — 94 — 95 .

98 — 95 .

الرشيد المعتد 44 — 50 — 63 — 72 .

72 .

ابن رشيق صاحب مرسية 69 — 70 — 185 — 186 .

186 .

رياضى الحسن 84 .

الريحانة فرس تاشفين 133 .

ز

أبوزكريا بن الصيرفى 124 .

أبوزكريا بن أبى عامر 163 .

أبو زكريا بن عبد المؤمن 158 .

أبو زكريا بن عمر : يحيى بن عمر

أبو زكريا بن واسينو 72 .

أبوزيان محمد 180 — 187 .

أبوزيان منديل 172 — 176 — 177 .

177 .

أبوزيد بن أبى زكريا 165 .

أبو زيد عبد الرحمن 181 .

أبو زيد الفزارى 165 .

زيرى بن عطية 28 — 33 .

زينب بنت على 143 .

س

أبو سالم ابراهيم 172 — 187 — 180 .

180 .

عبد الرحمن الناصر 30 — 182 —

• 188

عبد السلام الكومي 142

عبد العزيز بن الایام 57 •

عبد العزيز الصدفی 147 •

عبد العزيز بن المأمون 163 •

عبد العزيز المزوزی 180 — 183 —

• 187

عبد الله بن بلقين 24 — 52 — 53

• 69 — 71 •

عبد الله الجيانی 156 •

أبو عبد الله بن الحاج 72 •

أبو عبد الله الحضرمی 104 •

عبد الله بن أحمد الزهری 112 •

أبو عبد الله بن سليمان 108 — 151

عبد الله العادل بالله 163

عبد الله بن عيد البر 64 •

عبد الله بن عبد الرحمن العراقي

• 104

عبد الله بن عبد المؤمن 151 — 153

عبد الله بن ملویات 108 •

أبو عبد الله بن ميمون 132 — 154

عبد الله بن همشك 114 — 115 •

عبد الله بن وانودين 161 •

أبو عبد الله بن وردی 190 •

عبد الله بن ياسين 20 — 21 — 22

• 23

عبد الله بن يعقوب 162 •

عبد الله بن يوسف 177 •

أبو عبد الله بن يوسف 159 •

عبد الملك بن هود 74 — 98 — 99

عبد المؤمن بن علی 106 — 108 —

أبو سالم بن يوسف 177 •

أبو سعيد عبد المؤمن : عثمان بن

عبد المؤمن

السعيد الموحدي 173 — 174 —

• 183

سير بن أبي بكر 24 — 72 •

سير بن الحاج 139 •

سير اللمتونی 110 •

سير بن يوسف 24 — 66 •

سليمان النبي 31 •

ش

ابن شالب اليهودی 41 — 42 •

ص

ابن صاحب الصلاة 116 — 143 •

صلاح الدين الايوبي 89 •

صنهاج 183 •

ط

طارق بن زياد 156 — 190 •

أبو الطاهر بن يوسف : تميم بن

يوسف

ع

أبو عامر تاشفين 180 — 187 •

أبو عامر عبد الله بن يعقوب 172 •

أبو عامر وزير ابن هود 75 •

العباس بن عبد المطلب 87 •

أبو العباس بن مضأ 151 •

العباس بن يحيى الزناتي 38 — 33 •

عبد الجبار الشقري 141 •

عبد الرحمن بن اسباط 49 •

— 86 — 84 — 83 — 82 — 79
 — 100 — 97 — 90 — 89 — 87
 — 111 — 110 — 104 — 102
 — 119 — 114 — 113 — 112
 — 139 — 135 — 128 — 120
 · 182 — 156 — 144 — 141

عهد الدولة أبو مروان : عبد الملك

ابن هود ·

عمر بن عبد المؤمن 42 — 148 —

· 157 — 153 — 151

عمر بن علي أزناق 108 ·

عمر — الكبير — بن علي 74 ·

عمر بن يحيى الهنتاتي 108 — 146

· 158

عمر — الصغير — بن يوسف 67

· أبو عمران بن عبد المؤمن 158 ·

· أبو عمران الفاسي 19 ·

· أبو عمرو بن حجاج 147 ·

· أبو عنان فارس 179 — 187 ·

· عيسى بن مريم 164 ·

غ

غرسية ابن عم أذفنش 59 — 62

· الغنى بالله 187 ·

ف

· الفتح بن المعتمد 72 ·

· الفتوح بن دوناس 28 — 33

· أبو الفضل بن أبي الطاهر 159

· الفلكي الأندلسي 113 ·

ق

· أبو القاسم العزفي 168

— 121 — 119 — 117 — 116
 — 135 — 133 — 132 — 130
 — 139 — 138 — 137 — 136
 — 145 — 144 — 143 — 142
 — 149 — 148 — 147 — 146
 — 157 — 154 — 152 — 150
 · 184 — 183 — 158

عبد المؤمن بن يوسف 177 ·

عبد الواحد بن أبي حفص 160 —

· 161

عبد الواحد الرشيد 163 — 167 ·

· عبد الواحد بن يعقوب 172 ·

· عبد الواحد بن يوسف 162 ·

· أبو عبيد البكري 21 — 76 ·

عثمان بن عبد الحق 172 — 173 —

· 187 — 178

عثمان بن عبد المؤمن 151 — 155 —

· 158

· عثمان بن عفان 152 ·

· عثمان بن المأمون 163 ·

العزیز بن الناصر : علي بن يحيى

ابن تميم ·

· أبو العلاء المأمون 166 ·

· أبو علي الأشيري 130 — 149 ·

· أبو علي بن أبي زيد 159 ·

· علي السعيد بن المأمون 163 —

· 167

· أبو علي الملياني 184 ·

· علي بن الموفق بالله 76 — 77 ·

· علي بن يحيى بن تميم 106 ·

· علي بن يوسف 24 — 77 — 78

القاضي المكدي 165 .
ابن القطان 103 .

ل

لط 17 .

م

مالك بن وهيب 100 — 101 .
المامون الوحدي 163 — 165 — 166 .
المتوكل على الله ابن الانطس 33
36 — 53 — 59 — 63 — 71 — 72 .
ابن محشرة : ابو الفضل بن ابي
الطاهر .
ابو محمد البشير 107 — 108 — 114 — 116 .
محمد بن تاشفين 70 .
ابو محمد الجبائي 135 — 136 .
ابو محمد بن ابي حفص 150 .
محمد بن الخلف 66 — 83 .
محمد السعيد 181 — 187 .
ابو محمد عبد الحق المريني 172 — 174 .
ابو محمد بن عبد الغفور 78 .
محمد رسول الله 12 .
محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن :
المهدي بن تومرت .
محمد بن عبد الله بن هود 146 .
ابو محمد عبد الواحد 142 .
محمد بن عبد الواحد 162 .
محمد بن علي التغلبي 81 .
محمد بن عيسى المغامي 55 — 56 .

ابو محمد الفشتالي 174 .
محمد بن المعتضد : المعتد بن عباد
محمد بن معن بن صمادح : المعتصم
ابن صمادح .
محمد الناصر 160 .
ابو محمد بن وانودين 115 — 151 .
محمد يحيى الزهري 17 .
المرتضى الوحدي 168 — 169 — 172 — 183 .
ابو مروان بن صاحب الصلاة 103 .
ابو مروان العذري 62 .
المستظهر بالله العباسي 87 — 89 .
المستعين بالله : ابو سالم ابراهيم
ابن مسرة الجبلي 80 .
مسطوف 17 .
مسعود بن وانودين 22 .
مسعود بن يوسف 177 .
المعتصم بالله الوحدي 163 — 166 .
المعتصم بن صمادح 52 — 69 — 72 .
المعتد بن عباد 38 — 39 — 40 — 41 — 42 — 44 — 45 — 47 — 50 — 51 — 52 — 57 — 58 — 59 — 60 — 61 — 62 — 63 — 64 — 67 — 68 — 69 — 71 — 72 .
ابو معرف محمد بن عبد الحق 172 — 173 .
المعز بن يوسف 24 .
المعلي بن المعتد 60 .
المقتدر بالله ابن هود 76 .
ابن منسا 60 .

يحيى بن عمر 21 — 22 — 24 ·
يحيى الفهرى : أبوبكر بن مجبر
أبو يحيى بن أبى محمد 159 ·
يحيى بن الناصر : المعتصم بالله ·
أبو يحيى بن اليسع 62 — 82 —
107 — 132 — 138 — 139 —
146 — 148 ·
يخلف بن الحسين 151 ·
يزيد بن المعتمد 51 — 73 ·
يعقوب بن عبد الحق 169 — 171

175 — 186 ·
يعقوب المنصور 157 — 159 —
165 — 174 — 183 ·

أبو يعقوب : يوسف بن عبد المؤمن
يعيش الملقى 144 — 155 ·
يغمراسن بن زيان 167 ·
ينتيان بن عمر 84 — 101 ·

يوسف بن تاشفين 16 — 23 —
24 — 25 — 26 — 27 — 28 — 29 —
32 — 36 — 37 — 42 — 43 —
45 — 47 — 50 — 52 — 53 —
57 — 58 — 60 — 61 — 63 —
66 — 68 — 69 — 70 — 72 —
75 — 76 — 77 — 78 — 81 —
98 — 120 — 128 — 139 —
141 — 182 ·

يوسف بن سليمان 151 ·
يوسف المنتصر 160 ·
يوسف بن عبد المؤمن 157 ·
يوسف بن يعقوب 172 — 176 —
177 — 178 — 186

المنصور بن أبى عامر 37 — 188 ·
المهدى بن تومرت 87 — 90 — 98
99 — 100 — 101 — 102 —
103 — 105 — 106 — 110 —
111 — 114 — 116 — 117 —
119 — 120 — 142 — 143 —
146 — 148 — 150 — 156 —
157 — 159 — 164 — 168 —
171 — 182 — 183 — 184 —
موسى بن نصير 156 ·

ن

الناصر العباسى 89 ·
نصر بن السلطان أبى عبد الله 169 ·

هـ

الهادى الماسى : محمد بن عبد الله
أبن هود

و

الوائى بالله الموحدى 169 — 170
171 — 184 ·
وكاك بن زلو 20 ·
أبو الوليد بن رشد 90 — 97 —
98 ·
أبو الوليد الطرطوشى 104 ·

ى

يحيى بن ابراهيم 19 — 20 ·
يحيى بن اسحق المسوفى 144 ·
أبو يحيى أبوبكر بن تنجيت 108 ·
أبو يحيى بن رواد 86 ·
أبو يحيى بن عبد الحق 168 — 172
173 ·

2 - اعلام الجماعات

بنو دهر وريغ 186 .	ا	بنو امية 30 - 150 .
ر	ب	البربر 17 - 19 - 86 .
بنو راشد 186 .	برغواطة 23 .	بطوية 172 .
رقانة 136 .	بهلولة 172 .	
رياح 172 - 174 .	ت	التبابعة 18 .
ز	بنوتجين 186 .	تسول 172 .
زداجة 186 .	تينمال 109 - 138 .	
زروال 186 .	ج	جدالة 16 - 17 - 19 - 20 -
زكارة 172 .	21 - 23 - 33 .	جدميوه 109 .
زناته 22 - 33 - 86 - 122 .	جزولة 33 .	جنفيسة 109 .
123 - 130 - 132 - 136 -	ح	بنو حماد 149 - 153 .
178 - 184 - 185 - 186 .	حبر 18 - 182 - 183 .	
زهيلة 186 .	خ	بنو خالد 186 .
زواغة 186 .	د	دكالة 138 - 147 .
زواوة 186 .		
س		
سبا 19 .		
سدراطة 172 - 186 .		
بنو سعيد 186 .		
سنجوم 186 .		
السودان 17 - 25 - 28 .		
ش		
بنو شراحيل 186 .		
ص		
صدفورة 186 .		

لتونة : 16 — 17 — 21 — 22
 — 23 — 24 — 26 — 33 — 60
 — 109 — 111 — 112 — 135
 · 139 — 144
 لحطة : 17 — 23 — 33 — 156
 · 186
 لواتة : 186 ·
 اللمتونيون : 15 — 21 — 133
 · 138

م

مديونة : 172 — 186 ·
 المرباطون 21 — 48 — 114 —
 — 115 — 116 — 120 — 121
 — 122 — 123 — 131 — 132
 — 133 — 135 — 136 — 137
 — 139 — 140 — 141 — 153
 · 182 — 183
 مرموشة 186 ·
 بنو مرين 172 — 173 — 174 —
 · 175 — 182 — 184 — 185
 · مزاتة 186 ·
 مسارة 186 ·
 مسطاسة 186 ·
 مسوفة 17 — 23 — 33 ·
 المصامدة 16 — 23 — 26 — 83
 · 86 — 115 — 150 — 151
 مصمودة 33 — 186 ·
 مضر 183 ·
 مطباطة 186 ·
 مفراوة 28 — 186 ·
 مفرة 186 ·
 مغيلة 186

صنياجة 17 — 18 — 19 — 60 —
 — 86 — 109 — 128 — 131 —
 · 138 — 185

ض

ضريبة 186 ·

ع

بنو عباد 153 ·
 بنو العباس 29 ·
 بنو عبد الحق 184 — 186 ·
 بنو عبد الواد 174 ·
 الحجم 18 ·
 عجيسة 186 ·
 العرب 18 ·
 العلوج 25 ·

غ

غجدامة 186 ·
 غمارة 186 ·

ف

فشتالة 172 ·

ق

قيس عيلان 184 — 185 ·

ك

كنامة 186 ·
 كزناية 136

ل

لماية 186 ·

هزميرة 15 - 23
 هسكورة 109 - 138 - 173
 189
 هنتانة 109 - 110 - 138
 هواره 172 - 186
 بنو هود 73 - 83 - 98 - 153
 هيلانة 155 - 23
 و
 بنو وائل ب 140
 بنو ورتجبين 186
 وريكة 1 - 23
 ولهامة 186

ي

يازين 186
 بنو يغمير اسن 185
 بنو يغمير 186
 اليهود 25

مكاتنة 136
 مكناصة 172 - 186
 الملتبون 16 - 17 - 19 - 23
 حلزوزة 186
 الموحدون : 112 - 114 - 115
 116 - 119 - 121 - 130
 131 - 133 - 135 - 139
 142 - 143 - 144 - 146
 149 - 151 - 156 - 160
 164 - 170 - 171 - 173
 182 - 183

ن

نفزة 186

ه

هرغة 103 - 107 - 109
 184
 هزرجة 23

بجاية 106 - 131 - 149 -

· 150 - 170 ·

· البحرين ؟ 81 ·

· البراجلات 96 ·

· بريشتر 74 - 76 ·

· برشانة 70 - 92 ·

· بستان عبد المومن 145 - 150 ·

· بسطة 67 - 69 - 92 - 97 ·

· بشارات 95 ·

· بطليوس 52 - 53 - 57 - 122 ·

· بغداد 87 - 104 - 148 ·

· بلش 96 ·

· بلنسية 67 - 70 - 91 ·

· البنية 176 ·

· بونة 154 ·

· بيانة 95 ·

· بيش 94 ·

· بيت المقدس 89 ·

ت

· تاجرا 106 - 184 ·

· تادلا 143 ·

· تازة 167 - 172 - 178 ·

· تامسنا 23 - 33 - 189 ·

· تاهرت 185 ·

· تطيلة 73 ·

· تلمسان 28 - 106 - 113 -

130 - 131 - 132 - 133 -

135 - 151 - 167 - 177 -

ا

· الارض الكبيرة 76 ·

· الارك 159 - 174 - 175 ·

· ارغونة 91 ·

· ارئيسون 95 ·

· ازمو 168 - 189 ·

· اسفى 168 - 189 ·

· استجة 95 ·

· اشبيلية 41 - 42 - 44 - 45 - 52 -

54 - 63 - 64 - 67 - 68 -

72 - 80 - 147 - 164 - 176 -

· اطرابلس 156 - 158 ·

· اعلان 173 ·

· اغمات 15 - 23 - 25 - 26 -

27 - 71 - 77 - 101 - 112 -

116 - 145 - 184 ·

· افراغة 74 ·

· افريقية 131 - 148 - 150 -

156 - 175 ·

· انفا 189 ·

ب

· باب اغمات 198 ·

· باب الجيزين 174 ·

· باب الدباغين 138 ·

· باب دكالة 138 ·

· باب الفتوح 138 ·

· باب الفتوح 136 ·

· باب القرمادين 131 ·

دار الحجر 144 .

دار الصنعة 154 .

دانية 76 — 77 — 92 .

دجمة 94 .

درعة 22 — 23 — 143 .

دروقة 74 .

دلسر 96 .

ر

الرابطة 168 .

الرباط 137 — 157 — 158 .

رندة 73 — 176 .

ز

الزاب 175 .

الزلاقة 53 — 54 — 57 — 62 —

66 — 122 .

س

سبتة 51 — 72 — 73 — 148 —

154 — 158 — 168 .

سجلماصة 22 — 23 — 131 —

156 .

سرقسطة 73 — 76 — 99 .

سرية ؟ 35 .

السكة ؟ 94 .

سلا 90 — 136 — 137 — 146 —

152 — 155 — 157 — 177 .

السند ؟ 93 .

سوس 87 — 101 — 102 — 103 —

107 — 110 — 146 — 156 — 184 .

178 — 179 — 180 — 185 .

تنصرفت 189 .

تنبال 109 — 112 — 114 —

116 — 157 — 158 — 162 —

168 .

تونس 152 — 153 .

ث

الثغر الاعلى 73 .

ج

جامع قرطبة 152 .

جامع مراكش 90 — 97 — 100 .

جبال تادلا 130 .

جبال درن 10 — 82 — 102 — 113 —

184 — 189 .

جبال غمارة 130 .

جبل زرهون 174 .

جبانة فاس 148 .

جبل تامزردكت 167 .

جبل جليز 137 — 139 .

جبل الفتح 155 .

جبل كيك 122 — 189 .

جزيرة الاندلس 38 — 66 — 147 .

الجزيرة الخضراء 44 — 50 — 51 —

68 — 71 — 85 — 176 — 177 .

الجمة 113 .

جبان 69 — 78 .

د

دار الانشاء 158 .

الدار البيضاء بغرناطة 162

ش

شاللة 178 .

الشمام 77 — 89 — 104 — 186 .

الشرف 42 — 176 .

شرق الاندلس 59 — 73 — 77 —

80 92 98 .

شريش 177 .

شقر « جزيرة » 92 — 158 .

شقورة 66 .

شلب 159 .

شلبرة 161 .

شنترين 72 — 158 .

ط

طريف 176 .

طلبرة 85 .

طليطلة 38 — 39 — 54 — 55 —

78 85 .

طنجة 144 — 178 .

ع

عباد (تلمسان) 131 .

العدوة : 56 — 59 — 70 — 71 —

82 87 90 92 188 —

98 120 121 146 —

156 .

عدوة الاندلس 174 .

العدوتان 29 — 120 .

العتاب 161 .

غ

غانة 17 .

غرناطة 52 — 68 — 71 — 72 —

78 80 168 169 —

91 93 151 155 162 .

ف

فاس : 28 — 32 — 107 — 130 —

135 136 146 144 —

151 154 167 168 —

171 172 173 174 179 .

فاس الجديد 176 .

فحص البرنس 26 .

فلسطين 180 .

فنيانة 93 .

ق

قابس 113 .

القادسية 66 .

قبرة 95 .

قرطبة 72 — 80 — 83 — 86 —

90 102 104 105 —

123 156 .

قسنطينة 149 .

قشالة 44 — 57 — 169 — 176 .

قصر الحجر 25 — 139 .

قصر السيد 163 — 168 .

قصر عبد الكريم 149 — 172 .

قصر المجاز 176 .

قصر نجد 162 .

قلعة أيوب 73 .

قلعة رباح 78 .

قلعة يحصب 94 .

قلمرية 86 .

مكناسة (المدينة) 90 — 136

174

ملالة 106

المنصورة 92

مدينة طليطلة 85

المهدية 106 — 153 — 154

154

ن

النبل (قرية) 94

نفيس 15

نهر تاجه 158

ه

همدان (قرية) 94

هنين 184

و

وادي آش 93 — 96

وادي تاجلة 92

وادي الحجارة 94

وادي سبو 68

وادي فاس 136

وادي فردش ؟ 94

وادي متريل 95

وشقة 74

ونشريس 106

وهران 132 — 133 — 135

ي

اليرموك 66

اليسانة 80

اليمن 18 — 19 — 183

تورينة 35

القيروان 19

ل

لاردة 74

لسانة 95

لشبونة 72

اللقون ؟ 96

لك ؟ 94

لورقة 52 — 67

ليبسط 52 — 67 — 68 — 69

م

مالقة 52 — 68 — 71 — 72

163

مدينة سالم 74

المدينة المنورة 29

مرسانة 94

مرسية 67 — 69 — 70 — 92

96

المرية 49 — 52 — 69 — 72

132

المزوقة ؟ 94

مسجد اشبيلية 63 — 157

مسجد تازة 178

مسجد جبل جليز 137

مسجد دار الحجر 144

مسجد سبتة 72

المعمورة 68

مقبرة مراکش 166

مقصورة مراکش 144

مكة المكرمة 29

الصفحة

3	تقديم
12	مقدمة المؤلف
15	ذكر السبب فى اختطاط مدينة مراکش
17	ذكر السبب فى خروج الملتين
	ذكر يوسف بن تاشفين .
38	الجواز الاول للاندلس
66	الجواز الثانى للاندلس
71	الجواز الثالث للاندلس
77	الجواز الرابع للاندلس
81	سيرة امير المسلمين يوسف بن تاشفين
	امير المسلمين على بن يوسف
85	الجواز الاول والثانى
86	الجواز الثالث والرابع
103	ذكر ظهور المهدي وابتداء امره
114	ذكر حصار المهدي لمراكش
121	امير المسلمين تاشفين بن على بن يوسف
135	امير المسلمين ابراهيم بن تاشفين
137	ذكر حصار مراکش
142	الخليفة عبد المومن بن على
152	ذكر توجه الخليفة عبد المومن الى المهدي
155	جوازه الى الاندلس
157	الخليفة يوسف بن عبد المومن
159	الخليفة يعقوب المنصور وجوازه الى الاندلس
160	محمد الناصر لدين الله وجوازه الى الاندلس

161	يوسف المنتصر بالله
162	ال خليفة ابو مالك عبد الواحد بن يوحف
	ال خليفة عبد الله العادل
163	ال خليفة المامون ابو العلاء ادريس
166	ال خليفة يحيى الناصر
167	ال خليفة ابو الحسن على بن المامون
168	ال خليفة عمر المرتضى
169	ال خليفة ابو العلاء ادريس الواثق
171	ال سلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق
176	جوازه الى الاندلس
177	ال سلطان ابو يعقوب يوسف بن يعقوب
178	ال سلطان ابو ثابت عامر
	ال سلطان ابو الربيع
	ال سلطان ابو سعيد
179	ال سلطان ابو الحسن
	ال سلطان ابو عنان
	ال سلطان ابو بكر السعيد
180	ال سلطان ابو سالم
	ال سلطان ابو عامر تاشفين
	ال سلطان ابو زيان محمد
	ال سلطان ابو فارس عبد العزيز
181	ال سلطان محمد السعيد
	ال سلطان ابو زيد عبد الرحمن المتوكل
184	بنو عبد الحق
191	الفيارس